الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

شعبة الثقافة الشعبية

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب الشعبي

توظيف المعتقد الشعبي في دراسة القصص القرآني

-ابن كثير أنموذجا -

إعداد الطالبة:

بلعربي فاطمة

إشراف:

أ.د. موسوني محمد

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د/ مقنونيف شعيب	أستاذ التعليم العالي	جا تلمسان	رئيسا
أ.د/ موسوني محمد	أستاذ التعليم العالي	جا تلمسان	مشرفا
أ.د/ طول محمد	أستاذ التعليم العالي	جا تلمسان	عضوا
د/ حشلافي لخضر	أستاذ محاضرا	جا الجلفة	عضوا
د/ بن داود ابراهيم	أستاذ محاضرا	جا الجلفة	عضوا
د/ شعيب ابراهيم	أستاذ محاضرا	جا الأغواط	عضوا

السنة الجامعية 2012-2013

الإهداء

إلى والدي اللذين ربياني

إلى أرواح: جدي ويحياوي محمد البشير وبلقاسم الحسين .

إلى زوجي الوفي (مصدق) الذي شاركني هموم الحياة، وصبر معي على شدائد العلم والتحصيل، ووفر لي الأجواء المناسبة للبحث، فكان لي نعم المؤازر والمعين .

إلى أشقائي وشقيقاتي وأخوالي وأعمامي الذين حرصوا على رفع معنوياتي في كل الظروف والأحوال .

إلى الذين نهلت من ينابيعهم العذبة الصافية الكلمة الطيبة، فكان لهم الفضل علي في هذا المقام .

إلى فلذات أكبادي ورياحين قلبي (عبير . سليم و محمد البشير)

إلى طلاب العلم في كل مكان .

أهدي هذا البحث المتواضع .

شكر وتقدير

بعد شكر الله تعالى والثناء عليه بما هو أهل له – جل وعلا – أتوجه بخالص الشكر والعرفان للأستاذ الدكتور موسوني محمد الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وأحاطني برعايته ولطفه، وأكرمني بعلمه ووسعني بقلبه، ولم يبخل علي بأي نصح وتوجيه وإرشاد، والذي كان لتشجيعه وحثه لي أثر كبير في إتمام الرسالة، فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أتوجه بالشكر إلى كل من قدم لي يد العون من قريب ومن بعيد .

وأتوجه بكثير من الامتنان و العرفان إلى:

أعضاء لجنة المناقشة : **أ.د مغنونيف شعيب** **استاذ التعليم العالي** **جا تلمسان** **رئيسا**

أ.د موسوني محمد **استاذ التعليم العالي** **جا تلمسان** **مشرفا**
ا.د طول محمد **استاذ التعليم العالي** **جا تلمسان** **عضوا**
د حشلافي لخضر **استاذ التعليم العالي** **جا الجلفة** **عضوا**
د بن داود ابراهيم **استاذ محاضر (أ)** **جا الجلفة** **عضوا**
د شعيب ابراهيم **استاذ محاضر (أ)** **جا لاغواط** **عضوا**

لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة

والله ولي التوفيق.

مقدمة

لقد منح الله بعض خلقه مواهب كثيرة وكان من زمرة هؤلاء العالم الكبير إسماعيل بن عمر القرشي ابن كثير البصري ثم الدمشقي إنه عماد الدين أبو الفداء الحافظ المحدث الشافعي المولود سنة 705 هـ والمتوفى في774 بعد حياة زاخرة بالعلم، فقد كان فقيها متقنا ومحدثا بارعا ومؤرخا ماهرا، ومفسرا ضابطا ولقد انْتُفع بعلمه في كثير من الأمصار في حياته وبعد مماته ولعل من أهم كتبه "البداية والنهاية في التاريخ" وهو من أهم المراجع للمؤرخين و"الكواكب الدرارى" في التاريخ و"تفسير القرآن"و"الاجتهاد في طلب الجهاد"و"جامع المساند"و"السنن الهادي لأقوم سنن"والواضح النفيس في مناقب الأمام محمد بن إدريس"، لقد كان ابن كثير إماما جليلا حافظا، كان ملازما لابن تيمية تابعا ومؤيدا له في كثير من أفكاره وآرائه وقد أقر له العديد من العلماء بوفرة علمه في التفسير والحديث والتاريخ، وكتابه في التاريخ " البداية والنهاية" مرجع أصيل للتاريخ الإسلامي كما أن كتابه في التفسير، تفسير القرآن العظيم من أشهر ما دون في التفسير بالمأثور وهو في المرتبة الثانية بعد كتاب ابن جرير فهو يفسر كلام الله بالأحاديث والآثار بالاستناد إلى أصحابها مع الكلام عما يحتاج إليه جرحا وتعديلا، وترجيح بعض الأقوال على بعض وتضعيف بعض الروايات وتصحيح بعضها الآخر كما يمتاز بأنه ينبه في كثير من الأحيان إلى ما في التفسير بالمأثور من منكرات الإسرائيليات، كما يذكر أقوال العلماء في الأحكام الفقهية، ويناقش مذاهبهم، وأدلتهم أحيانا وقد طبع تفسيره مع "معالم التنزيل للبغوي" كما طبع مستقلا في أربعة أجزاء من الحجم الكبير وطبعه الشيخ أحمد محمد شاكر بعد أن جرده من أسانيد.

وسنقف في هذه الدراسة عند جانب من الجوانب التي أوردها ابن كثير في كتابه قصص الأنبياء ألا وهو المعتقدات الشعبية التي ألفيناها متناثرة هنا وهناك كالسحر والكهانة والطيرة والرؤيا، عبادة الأصنام، المسخ، تقديم القرابين، العين، الحسد، الشيطان، توظيف العدد سبعة. وابن كثير حين وظف هذه المعتقدات لم يقصد تبنيه وإنما أراد من وراءه تعريفنا بالفضاء الثقافي السائد آنذاك ولعله أراد بطريقة غير مباشرة التنبيه والتحذير من خطورتها، كما أن كثرة استخدامه لها يعكس مدى اتساع معارف الرجل وانفتاحه على جميع الديانات خاصة السماوية والوضيعة،

وكون الدين جزءا لا يتجزأ عن المجتمع فإنه ربما حاول إزالة اللبس الحاصل عند عامة الناس، بين معتقدات دينية لا أصل لها وأفكار وارتبطت وموروست باسم الدين إما عن جهالة أو كوسيلة اتخذها أصحابها لتحقيق مآرب ومصالح لهم في الحياة في زمن كثر فيه الاعتقاد بالكهانة والسحر والشعوذة وتداخل مع الدين.

وبالتالي فقد سعينا في بحثنا هذا ربط المعتقدات الشعبية والتي حاولنا جمع مادتها المتفرقة من كتاب ابن كثير "قصص الأنبياء" بأمور دينية.

وقبل أن نتطرق إلى فصول البحث ومراحله، رأينا أن نبين أنه قد واجهتنا صعوبة بالغة في استخراج مادة البحث من الكتاب لما وجدناه من تداخل في بعض المعتقدات الشعبية والذي يعتبر أمرا حاصلا بفعل جريان النسبية وامتناع الإطلاق في تحديد مفهوم مصطلح المعتقدات، حيث يرى المدقق في مفهوم هذا المصطلح أنه يعم مجالات تاريخية وأنثروبولوجية وثقافية واجتماعية وسياسية ودينية، ولعل المجال الديني هو أكثر المجالات التي ارتبطت بمفهوم المعتقدات التي استخرجناها من قصص الأنبياء.

<u>الأسباب والأهداف</u>:

من البديهي أن يكون وراء اهتمامي بهذا الموضوع دوافع وأسباب محفزة تفرض على كل باحث الجرأة والمغامرة مع الاحتراس على جدية البحث وموضوعية الدراسة وتحقيق النتائج المرجوة منه، والأسباب الكافية لانجاز هذا البحث يمكن ذكرها كما يلي:

1- حبا في خدمة كتاب الله الجليل وكسب رضاه دنيا وآخرة.
2- بغية توطيد صلتنا الروحية به.
3- محاولة استغلال التخصص الذي أجد ضالتي فيه.
4- كما أن الموضوع في تصورنا لا يزال بكرًا ولم يتناول بالدراسة بشكل مفصل وعميق.
5- أن عرض القصص القرآني بالتحليل والدراسة لم يسلم من درس المعتقدات الشعبية والدراسات الحديثة تكاد تغفل عن مثل هذه المواضيع.

إشكالية البحث:

يطرح الموضوع الذي نحن بصدد دراسة إشكاليته التي تتمثل في كيفية ارتباط المدنس بالمقدس، وما السبيل في استعانة بعض الدارسين كما هو شأن ابن كثير في عملية توظيفها في استقراء القصص القرآني في هذا التناول تمخض عنه تساؤلات جزئية تتمثل فيما يلي:

1. ما طبيعة الارتباط بين المقدس والمدنس في دراسة القصص القرآني؟
2. ما طبيعة العلاج الذي تنشده هذه العلاقة؟
3. ما قيمة الربط بين المقدس والمدنس في علاج موضوعات القصص القرآني؟
4. بحث علاقة المعتقد الشعبي بالدرس القرآني.

منهج الدراسة:

جاءت طبيعة دراستي تاريخية وصفية تحليلية وإحصائية؛ حيث انطلقت من المادة القصصية المؤسسة للحدث عبر الزمان والمكان من خلال الدرس الذي حظيت به عند ابن كثير في كتابه قصص الأنبياء، فتناولها بالبحث والتحقيق والوقوف على أهمية المعتقد في عملية التوجيه العلمي في دراسة القصص القرآني خلال الفترة التي عاشها ابن كثير، كما أنني لم أغفل الجانب الإحصائي الذي أحصيت خلاله أبرز المعتقدات الشعبية المتضمنة في كتاب قصص الأنبياء لابن كثير، ولقد اعتمدت على جملة من المصادر والمراجع لإنجاز هذه الدراسة أهمها: أحمد شلبي – مقارنة الأديان (المسيحية – اليهودية– الإسلام – أديان الهند الكبرى)، محمد عزت الطهطاوي – الميزان في مقارنة الأديان، محمد سيد طنطاوي – بنو إسرائيل في الكتاب والسنة، ابن كثير (البداية والنهاية – قصص الأنبياء – تفسير القرآن العظيم) بالإضافة إلى السيد الجميلي– السحر وتحضير الأرواح، محمد سليم الحوت– في طريق الميثولوجيا عند العرب، زهير الحموي (الإنسان بين السحر والعين والجان) مناع القطان (مباحث في علوم القرآن)، محمد بن محمد أبو شهبة (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير)...

ومن أجل دراسة توظيف المعتقد الشعبي في دراسة القصص القرآني- ابن كثير- أنموذجا- قسمت البحث بعد المقدمة والتوطئة إلى بابين بالباب الأول فصلين، و في هذا الباب تطرقنا إلى الدراسة النظرية حيث عرفنا بالنص المقدس، أما في الفصل الأول فقد عرفنا بالديانات السماوية كاليهودية والمسيحية والإسلام، وفي الفصل الثاني تطرقنا إلى الدراسة النظرية حيث عرفنا بالمعتقد الشعبي كالطيرة، العين، السحر، الجن... و بالباب الثاني ثلاثة فصول وقد عنونا هذا الباب بطبيعة تناول القصص القرآني أما الفصل الأول فقد تطرقنا إلى القصص القرآني إذ عرفنا به وبالتفسير مع ذكر أهم المفسرين للقرآن الكريم، فالتعريف بالإسرائيليات وأهم أقطابها وأهم الأسباب التي دعت إلى الاستعانة بها وما موقف الإسلام منها؟ وموقف ابن كثير أيضا، ثم ذكرنا الفائدة من وراء الاستعانة بالإسرائيليات وتعرضنا بالدرس في الفصل الثاني إلى توظيف المعتقدات الشعبية في قصص الأنبياء لابن كثير، وهي دراسة تطبيقية مباشرة، حققنا خلالها للمعتقد وأوردنا في الفصل الثالث القيمة العلمية لتوظيف المعتقد الشعبي، وأنهينا البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها وهي عبارة عن استنتاجات للتساؤلات المطروحة.

بلعربي فاطمة

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

الثلاثاء 15 رجب 1433هـ الموافق لـ 5 جوان2012.

تَوطِئَة

على الرغم من التطور التكنولوجي الذي يشهده المجتمع البشري لا تزال الخرافات والمعتقدات البشرية تسيطر و بقوة على فئات كبيرة منه مما ساعد الدراسات في علم الفلكلور على أن تطفوا – ولو بوتيرة بطيئة – على سطح عالم البحث، ولعل السبب في تقدمها – ولو نسبيا – مرده إلى أن الدراسات الشعبية في الحقيقة نشأت في ظل الدراسات اللغوية وظلت مرتبطة بمنهجها القديم، ومع ذلك بدأت تبرز في الساحة العربية إلى الوجود[1] .لقد برزت في الآونة الأخيرة دراسات عربية انصب اهتمامها على إزالة الإبهام و الغموض على بعض الألغاز التي ظلت إلى فترة غير قصيرة عند غالبية الناس من الأمور الغيبية .[2]

ولما كانت دراسة التراث الشعبي عملية ترتبط أصلا بالوازع الحضاري وعلاقته وطيدة بهوية الشعوب كما أكده روث بنيد كنت: "بأن الحضارة شيء أبعد من كونه حصيلة الآثار المتفرقة، فقد نعرف شكل الزواج عند القبيلة من القبائل وقد نعرف طقوسها المرتبطة باحتفالاتها، ومع ذلك فإننا لا نعرف شيئا عن حضارتها بوصفها كلا[3] إن حديثنا عن المعتقدات في هذا السياق لن يكون مستقلا عن بقية الأجناس الأخرى، لكن لابد أن لا نتجاهل حقيقة أن للمعتقدات والخرافات مميزات وخصائص تجعلها أكثر شمولية من الأشكال الأخرى المكونة لمقومات شخصية الأفراد، فالتطرق إلى موضوع المعتقدات سيجرنا حتما إلى التذكير بإشكالية طالما عانت وتعاني منها الدراسات العربية، والمتعلقة بالإصلاح الذي أصبح هاجسا يدفع بالباحث العربي إلى المغامرة أو الابتكار أو الانتحار في بعض الأحيان[4]. انه مصطلح الفلكلور وما يحمله من معان، جعلت التعاريف بالإجماع والاتفاق بين المدارس سواء كانت عربية أم غربية لا تحصل على الإطلاق و إلى يومنا هذا، مما جعل تصنيف المأثورات الشعبية يختلف من مدرسة إلى أخرى ومن فترة إلى أخرى.

لقد صنّف الدكتور محمد الجوهري[5] موضوعات الفلكلور، باعتباره أحد رواد الدراسات الفلكلورية العربية والذي صنفها كالآتي:

المعتقدات والمعارف الشعبية.

1) العادات والتقاليد الشعبية.
2) الأدب الشعبي وفنون المحاكاة.
3) الفنون الشعبية والمادية.

---

[1]– نبيلة إبراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلي الواقعية، دار العودة بيروت، د.ط، 1974 ص 20.

[2]– سبوح رشيد المعتقدات الشعبية في الجزائر –ظاهرة العين نموذجا– بتصرف إشراف د.شايف عكاشة والأستاذ محمد رمضان رسالة ماجستير –السنة الدراسية 2000–2001

[3] –Ruth Benedict, Paten of culture, New York, p 43

[4]– المنصف وناس، الخطاب العربي والتناقضات، الدار التونسية للنشر، د.ط، 1992، ص 13.

[5]– محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، د.ط، 1983، ص 11.

مفهوم المعتقد الشعبي:

لقد كثرت الظواهر المختلفة وتعددت من بيئة إلى بيئة ومن مجتمع إلي آخر لا يمكن إنكار ما تتركه الحياة الأولية من بصمات، ومعتقدات وأفكار تجدرت في أعماق النفس الإنسانية وفي حياة الناس، وسلوكا تهم وتصرفاتهم.

فمنذ أن وجدنا في هذه الحياة وجدنا أنفسنا نعيش في مجتمع محاط بأفكار وطقوس وعادات ومراسيم شعبية ضاربة بجذورها في أوغال القدم، وعبر أجيال غابرة كان لها الأثر العميق في وجدان الفئات الشعبية.

فالمعتقدات أخذت جانبا كبيرا من حياة الشعوب واختلفت حسب بيئاتهم ومبادئهم أحاطت بهم في شتى ميادين الحياة وأول ما قد يتبادر في تفكيرنا هو التساؤل عن أصل هذه المعتقدات "علما إذا كانت نبعت من معتقدات دينية ثم تحولت في صدور الناس إلى أشكال أخرى بفعل التراث القديم الكامن على مدى الأجيال[1].

ولكي نحيط بهذه الظاهرة فلابد في البدء من أدلال هذا المفهوم لغة واصطلاحا ومعرفة تطور دلالته وقضاياه ومهما يكن من أمر، فإن الفهم الشائع لهذه اللفظة، والذي طغى على كل المفاهيم الأخرى، هو دلالتها على الطبقات السفلية أو الدنيا في المجتمع، وإشارتها إلى كتل الفلاحين وأهل الريف، مستثنية من ذلك طبقة البرجوازيين والمثقفين.

والمعتقدات الشعبية هي كل ما آمن به الشعب من ظواهر خيالية أو حقيقية، تتعلق أساسا بالأمور الغيبية وعوالم ما فوق الطبيعة، وهي تمثل جزءا لا يتجزأ من التراث الشعبي للأمم، كما أنها، امتداد فكري وثقافي وعقائدي لما آمن به الأسلاف، ولذلك فإن دراسة المعتقدات الشعبية، وما يرتبط بها من ممارسات وطقوس، ضرورة ملحة، لفهم عقلية الشعوب وتطورها الفكري والعقائدي عبر العصور.

ولا يزال الكثير من الأفراد في المجتمع سواء أكانوا مثقفين أو غير مثقفين يؤمنون بالكثير من المعتقدات الشعبية كظاهرة زيارة الأضرحة والتبرك بالأولياء الصالحين، والاعتقاد في العين، والتفاؤل والتشاؤم، والتبصير، والاعتقاد بالجن والشياطين، وهي كلها معتقدات بأمور غيبية، الأمر الذي يجعل دراساتها غاية في الصعوبة، ذلك أن الباحث يتعامل مع أمور مجهولة، غير ملموسة، تتداخل فيها كل المتناقضات، مما يجعله بحاجة

[1]– محمد الجوهري، المرجع السابق، ص 42.

إلى أسلحة يتزود بها لاقتحام هذا المجال المعقد من الدراسات، تتمثل في اكتسابه لمعارف واسعة وشاملة لمختلف العلوم التي من شأنها أن تساعده في فهم هذه الظواهر وتفسيرها تفسيرا علميا بحتا.

ودراسة المعتقدات هي من اختصاص علم الفلكلور، باعتبار الفلكلور "المعتقدات والأساطير والعادات التقليدية الشائعة"[1].

فالمعتقدات تؤثر تأثيرا غريبا على سلوكات الأفراد الاجتماعية والنفسية، وتلعب دورا فعّالا في تكوين شخصياتهم لذلك على الدارس للمعتقدات الشعبية أن يتسلح بمختلف المعارف، ويطّلع على ما أمكنه الاطلاع عليه من العلوم حتى يتمكن من الغوص في أعماق هذه المعتقدات.

1- التعريف اللغوي:

إن البحث في المعاجم والقواميس، يثبت أن للمادة اللغوية معان مختلفة الاستعمال من خلال أصلها الاشتقاقي لأن أصل الميزان المصرفي لكلمة اعتقد هو عقد، فعل ثلاثي مزيد بحرفين الهمزة والتاء، على وزن افتعل " لها أوجه استعمالات مختلفة وأنها ترمي في الظاهر إلى معنى يكاد يكون واحد، يتمثل في الإيمان والتصديق في أمر ما والعقيدة هو ما عقد وصدق عليه المرء بضميره وعقله فلا يحتمل فيه الشك أو الكذب أو التراجع أو التنازل عليه فالمعتقدات انجاز الفكر[2] وقد ورد استعمالها في المعاجم اللغوية القديمة والحديثة بشكل ظاهر، ففي لسان العرب[3] وردت على النحو التالي: عقد ، العقد : نقيض الحل ، عقده، يعقده ، عقدا وتعاقدا، وعقده :

أنشد ثعلب :

لا يمنعنّك من بغا ۞ الخير تعقاد التائم

---

[1]- هو لتكرا نس ايكه، قاموس مصطلحات الأنثربولوجيا والفلكلور، ترجمة ل. مجد الجوهري، ود: حسن الشامي دار المعارف، مصر ط2، 1973.

[2]- محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان ط1 1306، ص234.

[3]- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرما ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ج 3، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1994.

واعتقده كعقدة قال جرير :

أسيلة معقدة السمطين منـها ۞ و ربا حيث تعتقد الحقا يا

واعتقد الدر والخرز وغيره إذا اتخذ منه عقدا قال عدي بن الرقاع :

وما حسينة إذا قامت تودعنا ۞ للبين واعتقدت شدرا ومرجانا

عقد التاج فوق رأسه واعتقده عصبه به أنشد ثعلب

يعتقد التاج فوق مفرقه ۞ على الجبين كأنه الذهب

وكل ما يعتقد الإنسان من العقار، فهو عقدة له.

اعتقد ضيعة ومالا أي اقتناهما اعتقد كذا بقلبه وليس له معقود أي عند رأي وفي الحديث أن رجلا كان يبايع وفي عقدته ضعف أي في رأيه ونظره مصالح نفسه.

اعتقد الشيء : صلب واشتد.

عقد قلبه علي الشيء : لزمه والعرب تقول : عقد فلان ناصيته إذا غضب وتهيأ للشر وقال ابن مقبل :

أثابوا أبو أخاهم إذا أرادوا زياله ۞ بأسواط قد عاقدين النواصيا

عقد لسانه يعقد عقدا وفي لسانه عقدة وعقد أي التواء.

عقد كلامه: أعوصه عماه و كلام معقد أي مغمض والعقدة هي العقد وهو ما عقد عليه ما يمسك الشيء ويوثقه الجماعة على البلد[1] أما في المنجد الإعدادي[2] فتعني الكلمة ما يلي:

- اعتقد، اعتقادا، عقد: الأمر، صدقه، عقد عليه قلبه وضميره: تدين به.
- اعتقد أن ذالك ممكن : ظن ورأى أنه ممكن.
- عقد، عقدا، الحبل: نقيض حله.
- عقد البيع أو اليمين: أحكمه
- عقد الخيط: جعل فيه عقدة .
- عقد العزم على: صمّم النية على.
- عقد القوم اجتماعا: اجتمعوا للتباحث والتشاور.

[1]– علي بن هادية – بلحسن الجيلالي، القاموس الجديد، تقديم محمد السعدي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 7 – 1991.

[2]– المنجد الإعدادي، ط4، دار المشرق، بيروت لبنان، 1984، ص (52، 410–411).

- عقد الأمل على: بناه على، واتكل على.
- عقد الزهر: انضمت أجزاؤه فصار نمرا
- عقد العسل ونحوه غلط.
- عقدة، العقدة.

الشعبية:

أما كلمة الشعبية فهي مشتقة من كلمة الشعب التي تكررت – وتقريبا – في جميع أمهات اللغة بنفس المعنى، فشعب الرأس هو شأنه الذي يضم قبائله وفي الرأس أربع قبائل[1] وهو القبيلة العظيمة، الحي العظيم يتشعب من القبيلة وقيل هو القبيلة نفسها، والشعب أبو القبائل الذي ينتسبون إليه أي جمعهم[2] ولعل هذا الطرح أيده القرآن الكريم فورد في التنزيل: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3] وهو القول الذي ذهب إليه البعض بأن كلمة الشعوب بلفظ الجمع غلبت على جيل العجم، والقبائل البطون، بطون العرب وسواء أصاب الأول أم الثاني في تحديد المفهوم الصحيح لهذا المدلول، يبقى أن العرب أو العجم نشئوا في شكل قبائل، اجتمعوا تارة واختلفوا تارة أخرى بحكم ظروف وعوامل مختلفة، وهذا ما يؤكده ابن السكيت في تحديده لمدلول كلمة شعب لغة بأنها تكون بمعنيين تكون إصلاحا وتكون تفريقا، ومن منظور فسيولوجي محض يبدوا وأن التعريف الذي باشرنا به هذا الطرح يحمل بين طياته نسبة عالية من الصواب إذا ما شرّحناه تشريحا علميا فقد قال الشيخ ابن برى: "الصحيح في هذا ما رتبه الزبير ابن بكار وهو الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة[4]. قال أبو أسامة هذه الطبقات على ترتيب خلق الإنسان فالشعب أعظمها مشتقة من شعب الرأس، ثم القبيلة من القبيلة لاجتماعها ثم العمارة وهي الصدر ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهي الساق"[5]. إن قولي كل من الشيخ ابن البري او ابي أسامة ينصبان في المعين ذاته –رغم الاختلاف البسيط الشكلي –فالشعب اعتبر قديما راس مال الهرم الذي يقابله في المكانة ذاتها رأس الإنسان الذي يحوي الدماغ ويمثل مركز التفكير عنده'فهو ببساطة رمز الوحدة و القوة [6]. لقد أشار الدكتور محمد الجوهري في حديثه عن الشعبية تدل صفة الشعبية هنا على ما تدل عليه عبارة الأغاني الشعبية أو العادات

---

[1]– ابن منظور، المرجع السابق، المجلد الأول، ص 498.

[2]– محمد مرتضى الحسيني الزوبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، كويت ج 3، 1967، ص 378.

[3]– من سورة الحجرات، الآية: 13

[4]– ابن المنظور، المرجع نفسه، ص 499

[5]– ابن المنظور، المرجع نفسه، ص 498.

[6]– سبوح رشيد، المرجع السابق– بتصرف– ص35

الشعبية أي أننا نقصد المعتقدات التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي والعالم فوق الطبيعي[1] وقد يفهم من كلمة الشعبية كصفة ألحقت بالثقافة عند المفكر فايس كل ما تقبله الشعب وتبناه وتحمله[2].

التعريف الاصطلاحي:

إن التعريف الاصطلاحي للمعتقدات الشعبية يؤكد حسب الدراسات التي عمت علم الفلكلور ، التغير الذي طرأ على هذا المصطلح ، فقديما كانت المعتقدات تسمى بالخرافات أو الخزعبلات خاصة عند رجال الدين، لأنها لم تكن تمثل لهم أكثر من مفاهيم وأفكار لا علاقة لها بالدين ولم يكن هذا التغير سائدا في اللغة العربية فحسب، بل شمل حتى اللغات الأخرى ففي الانجليزية مثلا : كان يطلق عليها قديما اسم superstitions ثم أصبحت تسمى في ما بعد Folle Belft[3].

والمعتقدات الشعبية كباقي الألوان الشعبية الأخرى، بل تعد أصعبها دراسة، لأنها تتعلق بالمشاعر والأحاسيس العميقة، اتجاه العوامل والظواهر المؤثرة على النفس الإنسانية المتعلقة بالعالم الروحي وفوق الطبيعي: والمعتقد قناع كاشف يختلج في نفوس الشعب من إحساس وشعور وفرح وخوف وإيمان وتطيّر خاصة إذا تعلق الأمر بالعالم الروحي أو بعض مظاهر الواقع المعيشي[4] فالمعتقدات الشعبية راسخة في قلوب الناس تؤثر على نفوسهم وترسم لها مخيّلاتهم أشكالا مختلفة، وهي من لا تلقن من الآخرين ولكنها تختمر وتتشكل بصعوبة ويلعب فيها الخيال الفردي دوره ليعطيها طابعا خاصا.

ولم تأت لهذا الوجود صدفة أوفي مرحلة تاريخية معينة بل هي مزيج من الحضارات الغابرة كالحضارة الفرعونية والحضارة القبطية أو الحضارة الإسلامية وحضارات الشعوب الأخرى[5]. وقد ذهب بعض الباحثين إلى اعتبار المعارف الشعبية التي يعبر بها الإنسان عن سلوك اجتماعي أو قضية أخلاقية أو حرفة أو طب سواء إزاء الطبيعة أو المجتمع البشري بمثابة الوجه العملي الشعبي إما نتيجة تجربة حديث بالصدفة أو بهروب مما يفزع

---

[1]– محمد الجوهري، المرجع السابق، ص 47.

[2]– أيكه هرلتكراس، المرجع السابق، ص 159.

[3]– محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، ص 42.

[4]– سرير الهام، توظيف التراث الشعبي في الرواية الجزائرية دراسة لهجية، رسالة ماجستير إشراف د.التجيني بن عيسي، جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان، 2011، ص 53.

[5]– محمد الجوهري، المرجع نفسه، ص 47.

الإنسان ويخفيه أملا في أن يحقق شيئا أفضل وأحسن[1]. فالمحلل لهذه الأطروحة يخرج بحقيقة مفادها أن المعتقدات كانت شعبية أو رسمية ليس وليدة حضارة معينة أو ديانة سماوية أو وضعية ولازمان محدد، ولا تقتصر على المجتمع البدائي ولا المتطور فهي عبارة عن شجرة ضاربة الجذور في الماضي متفرعة الأغصان في الحاضر لا يمكن قطع ظاهرها عن باطنها، وهي بمنظور أنثربولوجي نتاج المراحل الفكرية الأولى للحضارة الإنسانية التي قبلت بمظاهر مراحل الحياة الجديدة لكن لم تقبل بالتخلي نهائيا عن خصائصها القديمة التي لا يزال الإنسان المعاصر يتغذى منها وبها هذا الغذاء الذي تشكله رموز بدائية تجسدت في مختلف أنماط حياته ليتعامل معها برفق ويذهب به الأمر إلى حد الاستشهاد في سبيلها في أحيان أخرى[2].

أما من جهة الفن فالمعتقدات: "تعتبر شكلا منتشرا من أشكال التفكير الرائج بين الناس يعكس طريقة تخمينهم وطبيعة أفكارهم ومواقفهم إزاء أحداث وأماكن خاصة وهي إحدى ميادين التراث الشعبي الرائجة والمهمة جدا[3] وبذلك استطاعت المعتقدات أن تشكل عنصرا من ثقافة المجتمعات وأن تتوارث من جيل إلى آخر رغم مرور الزمن.

---

[1]– أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، 1971، ص 123.

[2]– شوقي عبد الحكيم، الفلكلور والأساطير العربية، دار ابن خلدون، بيروت، ط2، 1983، ص 11.

[3]– سرير إلهام، المرجع السابق، ص53.

الباب الأول

التعريف بالنص المقدس

التعريف بالنص المقدس:

لم تأت كلمة (قدس) في لغة العرب إلا بمعنى الطهر والبركة التنزه، لا على المعنى الشائع عند النصارى واليهود بمعنى التنظيم والعصمة، ومنه قولهم الكتاب المقدس. ثم إن عقيدة المسلمين في كتاب الله المنزلة على أنبياءه ورسله تقضي الإيمان بجميع ما أنزل عليهم ﴿ قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1].

إلا أن جميع الكتب السماوية قد طالها التحريف والتبديل والتزوير إلا القرآن الكريم الذي هيمن عليها وجاء بما فيها وزيادة و حوى من الخير كله، ومن الأحكام ما هو أبدى صالح لكل زمان ومكان ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا [2]﴾.

ولقد جاء الأنبياء والرسل من لدن آدم –عليه السلام– إلى نبينا محمد ﷺ بدعوة واحدة، وهي توحيد الخالق سبحانه، وإثبات الألوهية له وحده﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ[3]﴾.

وقوله: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ [4]﴾، فأمور العقيدة الإسلامية من إيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وقضائه وقدره واليوم الآخر... إلخ، ثوابت دينية ومقدسات عقدية لا يجوز تغييرها ولا تحريفها ولا تبديلها ولا الاستعاضة عنها بحال من الأحوال.

---

[1]– من سورة البقرة، الآية: 136.

[2]– من سورة المائدة، الآية: 48.

[3]– من سورة الأنبياء، الآية: 25.

[4]– من سورة الأعراف، الآية: 65.

أما الشرائع بمعنى المناهج، فهي تتغير من رسول إلى آخر: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً [1]﴾.

فهناك بعض الأمور التي أحلت في بعض الشرائع وحرمت في أخرى، كنكاح الأخوات أحل في شريعة آدم ثم حرم في باقي الشرائع، والغنائم كانت تجمع وتنزل نار من السماء فتحرقها، ثم شرع تقسيمها في الإسلام بين المحاربين وقد تشترك الشرائع السماوية في تحريم أمور بعينها، كتحريم الخمر والقتل والسرقة والزنا، وهذا ما يسميه الأصوليون، المقاصد الضرورية، وهي محفوظة في كل الشرائع.

ودين الله واحد، ما في ذلك شك... والبرهان على ذلك سهل ميسور، فلقد أثبتت أبحاث العلم الألماني الدكتور ميلر: "أن الناس كانوا في أقدم عهودهم على التوحيد الخالص، وأن الوثنية عرضت عليهم بفعل رؤسائهم الدينين"[2]

...هذا ما أثبته العلم الحديث... وهو ما سبق أن قاله القرآن– ولا زال يقوله للناس – منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان. ففي تقرير موجز نجده يقول: ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ "[3] ﴾وبشيء من التفصيل نجده يقول: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ [4]﴾.
إنّ دين الله يقوم على قاعدتين أساسيتين، الأولى: إيمان بالله الواحد الأحد الذي تنزه عن الشبيه والمثل، وتصاغ هذه العقيدة ببساطة ووضوح في قول: لا إله إلا الله.

والثانية: عمل صالح وفق شرع الله الذي أرشد إلى الخيرات وحث على فعلها، وحدد السيئات ونهى عنها. وبتحقيق هذين العنصرين – الإيمان والعمل الصالح – يرتقي الإنسان إلى مستوى الأبرار، فيضمن بذلك الحياة الأبدية في سلام دائم ونعيم مقيم[5] يملك كل دين من أديان

---

[1]– من سورة المائدة، الآية: 48.

[2]– من مقدمة "تفصيل آيات القرآن الحكيم" وضعه بالفرنسية: جول لابوم – نقله على العربية: محمد فؤاد عبد الباقي نقلا عن لواء أحمد عبد الوهاب، الإسلام والأديان الأخرى – مكتبة التراث الإسلامي القاهرة، د.ط، 1991، ص4.

[3]– من سورة يونس، الآية: 19.

[4]– من سورة البقرة، الآية: 213.

[5]– لواء أحمد عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 4.

التوحيد الثلاثة مجموعة خاصة به من الكتب المقدسة، تؤلف ركيزة الإيمان عند كل مؤمن به، يهوديا كان أم مسيحيا أم مسلما. وهي تمثل لدى كل من هؤلاء صورة مادية لوحي إلهي مباشر[1].

فاليهودية التوراة العبرية كتب مقدسة، وهي تختلف عن العهد القديم المسيحي بزيادة بعض الأجزاء غير الموجودة في العبرية، وهذا الاختلاف لا يغير في العقيدة شيئا من الناحية العملية، غير أن اليهودية لا تعترف بأي وحي جاء بعد وحيها، وقد تبنت المسيحية التوراة العبرية، وزادت بعض الإضافات عليها، ولكنها لم تقبل كل الكتابات المنشورة لتعرف الناس بدين عيسى. وقد أوقعت الكنيسة في مجموعة الكتب التي تفصل حياة عيسى وتعاليمه التي أعطاه حذوفات على غاية من الأهمية، ولم تحتفظ من العهد الجديد إلا بعدد محدود من الكتابات وأهمها الأناجيل الربعة القانونية. ولا تعترف المسيحية بعد هذا بأي وحي جاء بعد عيسى ورسله، وبالتالي فإنها تسقط القرآن من هذا الحساب[2].

أما الوحي القرآني الذي نزل عقب ستة قرون من المسيح، فقد احتفظ بالعديد من تعاليم التوراة والإنجيل... بل فرض على كل مسلم الإيمان بالكتب السابقة[3].

كما أبرز المكانة المهمة التي شغلها –في تاريخ الوحي– رسل الله كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى الذي كان فيهم في مقام مرموق، أظهر القرآن ولادته، كما في الأناجيل، كحدث معجز، كما كرم والدته تكريما خاصا وأطلق اسمها على إحدى سوره وهي سورة مريم[4] والقرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي ليس محل شك وريب من بين الكتب السماوية المتداولة في كونه متصلا بالنبي، وفي صدوره عنه بحروفه وألفاظه وسوره بوحي من الله، وقد تكرر فيه تقرير بشرية النبي وكونه في طبيعته البشرية كسائر البشر وكون قصارى مهمته دعوة الناس إلى الله وحده، وإخراجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، والحث على مكارم الأخلاق، والتحذير من الشر والأذى والفواحش[5].

---

[1]– موريس بوكاي، ترجمة الشيخ حسن خالد، التوراة والإنجيل والقرآن، المكتب الإسلامي، ط3، 1990، ص.13.

[2]– موريس بوكاي، المرجع نفسه، ص13.

[3]– المرجع نفسه، ص 14.

[4]– المرجع نفسه، ص 14.

[5]– محمد عزة دروزة، القرآن المجيد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط، د.ت، ص.7

مضمونه:

القرآن الكريم هو الكتاب المقدس للمسلمين المنتشرين في كل صقع من أصقاع الأرض والذين تتمثل فيهم شتى أممها، فيه أصول دينهم وشرائع حياتهم ونبع إلهامهم ونبراس أخلاقهم ونور هدايتهم في مختلف شؤونهم الدينية والدنيوية، الروحية والمادية. العامة والخاصة، السياسية والقضائية والاجتماعية... وصفه الله فيه بأنه يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بعظم الأجر [1].

[1]– محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص 5 و6.

الفصل الأول

التعريف بالديانات السماوية

1. التعريف بأهل الكتاب:

اختلف العلماء في تحديد من هم أهل الكتاب؟

فالحنفية: يرون أن الكتابي هو من يؤمن بنبي ويقرّ بكتاب، فيدخل ضمن هذا التعريف اليهود والنصارى، ومن آمن بزبور داود، وصحف إبراهيم، وشيث، فكلهم أهل كتاب عند الحنفية لصدق التعريف عليهم"[1].

أما الشافعية وأكثر الحنابلة: قد اختصوا أهل الكتاب باليهود والنصارى دون غيرهم. قال صاحب التهذيب في فقه الإمام الشافعي: ويعني بأهل الكتاب أهل التوراة والإنجيل[2].

أما السامرة والصابئة والمجوس فاختلف العلماء في حكمهم:

فالسامريون: طائفة من اليهود، يدعون أنهم من الإسرائيليين الذين دخلوا الأرض المقدسة، ويزعمون كذلك انتسابهم إلى ثلاثة من أسباط بني إسرائيل الإثني عشر وهم سبط (لاوي–لفي–ابن يعقوب) وإليه ينسب كهنتهم، وسبط منسي "منشاي"، وأفرايم ابن سيدنا يوسف، وإليهما ينتسب باقي السامريين، وقد ارتبطت تسميتهم بالسامرة التي يقطنوها، والسامرة جزء من أرض فلسطين، وتعرف ليوم بمدينة نابلس[3].

أما الصابئون: فقد اضطربت أقوال العلماء فيهم، فقيل: إن هذا اللفظ ليس بعربي وقيل: إنه من صاب بمعنى مال، ويسمى الصابئ بذلك لخروجه عن الدين الحق إلى الدين الباطل وقيل هو من صبأ إذا خرج، ومنه صبأت النجوم من مطالعها إذا خرجت، ومن هنا تسمت العرب كل من خرج عن دينه إلى غيره صابئا[4].

---

[1]– السيوسي، محمد عبد الواحد، السكندري، شرح فتح القدير 31،229، دار الفكر ، بيروت ط2،ى د.ت.

[2]– البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، التهذيب في فقه الإمام الشافعي تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض 5/ 371 دار الكتب العلمية، بيروت ط1 1418–1997.

[3]– موسى محمود طه سعيد، كشف القرآن الكريم لانحرافات أهل الكتاب وإبطالها، رسالة ماجستير نابلس فلسطين 1424هـ– 2003م ص12.

[4]– الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن تحقيق محمد خليل عياني، دار المعرفة ببيروت ط 2 1420–1999م ص 276.

وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ [1]﴾.

وقال الإمام ابن كثير بعد ذكره لأقوال السلف: وأظهر الأقوال –والله أعلم– قول مجاهد ومتابعيه ووهب بن منبّه: أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين وإنما باقون على فطرتهم ولا دين لهم مقرر يتبعونه، ولهذا كان المشركون ينبذون من أسلم بالصابئ، أي أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض آنذاك[2].

أما المجوس: فمجوس: كلمة فارسية تطلق على أمة من الناس ويقال: تمجس الرجل إذا صار مجوسيا، فمجوس كصبور، رجل صغير الأذنين أو هو من صنع دينا ودعا إليه[3].

ومجسه تمجيسا: صيره مجوسيا، والنحلة المجوسية، ويقطن المجوس بلاد فارس[4].

وورد ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [5]﴾.

إذا نذهب إلى ما ذهب إليه الشافعية وأكثر الحنابلة في أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى "أهل الكتاب المراد التعريف بهم هنا هم اليهود والنصارى فهاتان الأمتان هما أهل الكتاب، والأمة اليهودية أقدم وأسبق، والحديث عن تشريعاتهم أكثر لأن الشريعة كانت لموسى عليه السلام وجميع بني إسرائيل كانوا متعبدين بذلك مكلفين بالتزام أحكام التوراة.

---

[1]– من سورة البقرة، الآية: 62.

[2]– ابن كثير، أبو الفداء، القرشي الدمشقي، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم(1 –104) دار الدعوة تركيا، د.ط، د.ت.

[3]– وقيل إن لفظ مجوس معرب "مينح كوش" وذكر بعضهم أن كلمة مجوس، معرب موكوش فأطلق على أولئك القوم مجوس لأنهم كانوا يرسلون شعور رؤوسهم إلى آذانهم.

[4]– محمد شكري الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج1 دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص129،17.

[5]– من سورة الحج، الآية: 17.

أما الإنجيل النازل على المسيح عليه السلام، فإنه لا يتضمن أحكاما، ولا يستنبط حلالا ولا حراما و لكنه رموز وأمثال ومواعظ و زواجر، وما سواها من الشرائع والأحكام فمحالة على التوراة"[1].

وكلمة "أهل الكتاب" أُريدَ بها في كتاب الله تعالى اليهود والنصارى، وذلك في مواضيع كثيرة منه كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ [2]﴾.

وربما أطلقت وأريد بها اليهود خاصة كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ۞ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ"[3]﴾.

وربما أريد بها النصارى كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ"[4]﴾.

1.1- اليهودية:

تمهيد:

أ. أصل اليهود:

كان اليهود قبائل متفرقة وقد سكنوا شرق الفرات بعد ذلك هاجروا إلى أرض "كنعان" المعروفة باسم فلسطين، وعاشوا بها معيشة أهل البادية، يرتادون مساقط المياه، يرعون غنمهم، ويلتمسون رزقهم، ولما حدث الجدب والقحط، نزحوا إلى مصر في عهد يوسف عليه السلام/ حيث تناسلوا هناك وتكاثروا، غير أنهم أبوا أن يندمجوا في الشعب المصري، فعزلوا أنفسهم عنه، وتواصوا فيما بينهم على الاحتفاظ بنسبهم اعتزازا به، وتكبروا على غيرهم اعتبارا أنهم من ذرية الأنبياء.

إن العزلة التي عاش فيها اليهود في مصر مع الشعور المصاحب لهم، من التعالي بنسبهم، هو الذي أعزى فراعنة مصر والمصريين بهم واعتبارهم كائنا غريبا في

---

[1]– الشهرستاني، أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي محمد، الملل والنحل– تحقيق عبد العزيز محمد. ص 14،13. د.ط، د.ت.

[2]– من سورة آل عمران، الآية: 65.

[3]– من سورة آل عمران، الآية: 71– 72.

[4]– من سورة المائدة، الآية: 77.

بلدهم فأنزلوا بهم أقسى العقوبات نكالا وبلاء وفي ذلك يقول عز وجل: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ"[1]﴾.

وقدّر الله تعالى لهم أن يخرجوا من أرض مصر بقيادة النبي موسى –عليه السلام– فنجاهم من فرعون وجنوده، وشق لهم طريقا في البحر، ورزقهم المنّ والسّلوى، ولمّا ذهب موسى –عليه السلام– لمناجاة ربه، استضعفوا أخاه هارون وعبدوا العجل الذهبي، وتعنتوا على موسى بعد دعوته إليهم فقالوا له: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً"[2]﴾.

ب. التعريف باليهود:

جاء في تفسير الألوسي في قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ والَّذِينَ هَادُوا"[3] أي تهودوا: يقال هاد و تهوّد إذا دخل في اليهودية و(يهود) إمّا عربي من هاد إذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل، ووجه التخصيص بهذه التوبة كون توبتهم أشق الأعمال عليهم، وإمّا معرّب(يهوذا) كأنهم سموا بأكبر أولاد يعقوب– عليه السلام–[4].

ج. التعريف ببني إسرائيل:

قال تعالى :﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ"[5]﴾.

جاء في تفسير الألوسي: "إسرائيل" اسم أعجمي و قد ذكروا أنه مركب من "إيل" اسم من أسمائه تعالى و"إسرا" وهو العبد أو الصفوة أو الإنسان أو المهاجر، و هو لقب سيدنا يعقوب –عليه السلام– ثم قال الألوسي رحمه الله تعالى: وأضاف سبحانه وتعالى هؤلاء المخاطبين –أي اليهود– إلى هذا اللقب تأكيدا لتحريكهم إلى الطاعة فإن (إسرائيل) ما ليس في اسمه الكريم يعقوب[6].

فالمراد ببني إسرائيل، ذريته أي ذرية يعقوب–عليه السلام– من أسباطه أي أولاده اثني عشر[7].

---

[1]– من سورة البقرة، الآية: 49.

[2]– من سورة البقرة، الآية: 55.

[3]– من سورة البقرة، الآية: 62.

[4]– محمود شكري الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، ص 278 .

[5]– من سورة البقرة، الآية: 40.

[6]– محمود شكري الألوسي، المرجع نفسه – ص 241.

[7]– محمد رشيد رضا، تفسير المنار – دار المنار– ط2 – 1947ص 289.

وأول من دخل مصر من بني إسرائيل هو يوسف عليه السلام ابن يعقوب عليه السلام، وانضم إليه بعد ذلك إخوته، ونما نسله فيها وكثر حتى قيل إنهم كانوا يوم خرجوا من مصر ستمائة ألف وهذا النمو كان في مدة أربعمائة سنة[1].

د. الديانة اليهودية:"التسمية":

أُستعمل مصطلح "يهود" أو "يهودي" أوّل مرة من قبل البابليين إشارة إلى من جيء بهم من يهوذا وهو الاسم الكنعاني لمنطقة أورشليم وهذا الأسلوب كان شائعا قديما كما هو الحال الآن، حيث يطلق على من جاء إلى فلسطين من مصر بالمصري ومن جاء إلى العراق من الشام بالشامي ومن جاء إلى سوريا من العراق بالعراقي...إلخ وقد وردت مثل هذه التسمية و بهذا المعنى على لسان سنحاريب (705-681 ق. م) أثناء وصفه لانتصاراته على يهوذا بحيث أشار إلى "حزقيا اليهودي" أي الذي أحضر من يهوذا.

لفظة "ديانة يهودية لم تظهر في المراحل الأولى من كتابة الأسفار، فالاسم إضافة إلى البنية العقائدية لليهودية جاءت متأخرة عن السبى ولم يبدأ الحديث عن الديانة اليهودية" إلا بعد القرن الرابع قبل الميلاد[2].

---

[1]- محمد رشيد رضا، المصدر نفسه - ص 312.

[2]- جودت السعد، أوهام التاريخ اليهودي، الأهلية للنشر والتوزيع - عمان، الأردن- ط1 1998 - ص146.

أ- التعريف بمعتقداتهم

ترتكز العقيدة اليهودية على وحدانية الخالق واختياره لبني إسرائيل كوسيط بينه وباقي البشر، وتسمى الشريعة اليهودية بـ "الحلقة *halakhah* " والتي تعني باليهودية الطريق هي تلخص طريقة حياة المؤمن باليهودية والعادات والطقوس والتقاليد بصورتها الشمولية تماما مثل "الشريعة" في الإسلام.

وتتضمن الطقوس اليهودية الصلاة الجماعية ثلاث مرات في اليوم يقوم المتعبدون خلالها بتلاوة الشعائر والأدعية التي تعرف بالعبرية ب"تفيلاه *tefillah*" وهم مستقيمون ورؤوسهم مغطاة كما تعد دراسة التوراة واجبا دينيا لدى اليهود وإحدى طقوس العبادة الهامة.

ويحرم اليهود أكل الخنزير وأي طعام يمتزج فيه اللحم بالحليب، كما يلتزمون بالذبح الحلال "الكوشير" الذي يستوجب إفراغ الدم كاملا من جسم الذبيحة قبل أكلها، ويتحاشى اليهود العمل يوم السبت تيمنا بيه كيوم للراحة بعد أن خلق الله العالم في ستة أيام . ويحتفل اليهود سنويا بيوم الخروج من مصر أيام الفراعنة" *passove* ". ويعد يوم كيبور أقدس الاحتفالات اليهودية باعتباره يوم الكفارة أو التعويض" *Day of atonement*" كما يحتفل اليهود بيوم الحصاد الخريفي" *sukkot*".

ب- التعريف بكتبهم:

ترتكز الديانة اليهودية على مصدرين أساسيين وهما: التوراة (العهد القديم) والتلمود، ومعناه التعاليم أو الشرح والتفسير.

1- التوراة: وتتكون من 39 سفرا وتقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ويتألف من خمسة أسفار وهي: التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية، وقد أطلق على هذه الأسفار اسم: كتب"موسى الخمسة".

الثاني: الأنبياء، ويشتمل على مجموعتين: الأولى: خاصة بالأنبياء الأوائل، والثانية بالأنبياء المتأخرين، والأولى تحتوي على سفر يشوع، سفر القضاة، سفر صموئيل الأول والثاني، سفر الملوك الأول والثاني، وسفر الأخبار الأول والثاني، الثانية: خاصة

بالأنبياء المتأخرين، تتألف من أربعة عشر سفرا هي: أشيعا، أرميا، حزقيال، يوئيل، عاموس، عوبيديا. يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجي، زكريا، ملاخي.

الثالث: تتألف الكتابات من اثني عشر سفرا وهي:

مزامير داود، أمثال سليمان، أيوب، نشيد الإنشاد، راعوت، هوشع، مراثي أرميا، الجامعة، استيرا، دانيال، عزار، نحميا[1].

ونستنتج مما سبق أن الديانة اليهودية تقوم على مصدرين أساسيين هما: "**التوراة**" **(العهد القديم)** أو العهد العتيق لتمييزه عن العهد الجديد "**الإنجيل**"، ويسمى كل من العهدين، العتيق والجديد "الكتاب المقدس". أما المصدر الثاني فهو "**التلمود**" ومعناه التعاليم أو الشرح ويشتمل على مجموعة الشرائع اليهودية وشروح وتعليقات على التوراة، وضعها علماء اليهود والأحبار والحاخاميون بعد المسيح.

وقصارى القول، أن التوراة الحالية –في مجموعها– قد كتبت بعد موسى –عليه السلام– بأزمان متفاوتة، وبأفكار مختلفة، وان اليهود كتبوها انعكاسا لأخلاقهم، وتاريخهم وآمالهم وآلامهم، وكان مقصدهم الأول من وراء ذلك إظهارهم الشعب الإسرائيلي بمظهر الشعب المقرب إلى الله تعالى والمفضل على غيره من الشعوب، ولكثرة الأشخاص الذين اشتركوا في كتابتها، امتلأت بالأخطاء والمفتريات والمتناقضات[2].

2– التلمود:

يعد التلمود أحد أهم الكتب الدينية وأقدسها عند اليهود، وهو النتاج الأساسي للشريعة الشفوية، أي تفسير الحاخامات حول الشريعة اليهودية، والأخلاق والعادات والأساطير والقصص، التي يعدها التراث اليهودي مؤصلة بالتواتر الشفوي، وهو مصدر أساسي للتشريع والأعراف وللتواريخ الواقعية والمواعظ الأخلاقية.

يتألف التلمود من مكونين رئيسيين: "المشناه" وهي أول مجموعة مكتوبة من الشريعة الشفوية للدين اليهودي، و "الجمارا" هي نقاش حول المشناه[3].

---

[1]– جودت السعد، المرجع السابق– ص. 181.

[2]– محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في الكتاب والسنة– دار الشروق – ط2 2000– ص77–78 .

[3]– أحمد إيبش، التلمود كتاب اليهود المقدس، دمشق، د.ط، آذار 2006، ص 25.

ويعتقد معظم اليهود أن التلمود كتاب مقدس، ويضعونه في منزلة التوراة، ويرون أن الله تعالى أعطى موسى التوراة على طور سيناء مدونة، ولكنه أرسل على يده التلمود شفاها، و بعض اليهود يضع التلمود في منزله أسمى من منزلة التوراة، وقد نسب بعض اليهود إلى (أشعيا) أنه قال إن التوراة كالمياه، والميشنا كالخمر، والجيمارا كالخمر المعطر، فالعالم لا يمكنه الحياة بدون مياه وخمر معطر والغني لا يدع واحدة تفوته، لهذا السبب فإن العالم لا يمكنه الثبات بدون التوراة والمشناة والجمارا، فالشريعة هي كالملح، والميشنا كالبهار والجمارا كالتوابل..... [1].

نستنتج مما سبق أن كتاب التلمود جزء من أحكام الديانة اليهودية، وهي مجموعة الشرائع اليهودية التي نقلها الأحبار اليهود شرحا وتفسيرا للتوراة واستنباطا من أصولها، ويقسم التلمود إلى قسمين المشناة والجمارا.

ج- التعريف بفرقهم

كثيرة هي الفرق اليهودية إذ تختلف هذه الأخيرة في مبادئها وأسس حياتها ونظرتها إلى الكون، والى ما وراء الكون.

1- الفريسيون:

كلمة الفريسيين معناها المنعزلون والمنشقون، فهم بذلك يناظرون إلى حد ما فريق المعتزلة عند المسلمين، وقد أطلق عليهم أعداؤهم هذه التسمية، ولذلك فهم يكرهونها ويسمون أنفسهم "الأحبار" أو "الإخوة في الله" أو "الربانيين " *Godly oves* [2].

ويعتقد الفريسيون أن التوراة بأسفارها الخمسة خلقت منذ الأزل، وكانت مدونة على ألواح مقدسة ثم أوحي بها إلى موسى، ويعتقد الفريسيون في البعث، وقيام الأموات، والملائكة، والعالم الآخر، وأكثرهم يعيشون في مظهر الزهد والتصوف، لا يتزوجون، ويحافظون على وجودهم، ولا يقدمون القرابين في المعابد [3].

---

[1]- عن كتاب (همجية التعالم الصهيونية) للأستاذ بولس حنا سعد، طبعة – بيروت –16 نقلا عن محمد سيد طنطاوي ، المرجع السابق- ص 79.

[2]- أحمد شلبي، مقارنة الأديان، اليهودية ، دار العلوم ، جامعة، القاهرة- ط8 1988 ص218.

[3]- أحمد شلبي ، المرجع نفسه – ص 218

إن فرقة الفريسيين متشددون يسمون بالأحبار أو الربانيين هم متصوفة رهبانيون لا يتزوجون، لكنهم يحافظون على مذهبهم عن طريق التبني، يعتقدون بالبعث والملائكة وبالعالم الآخر، كما أنهم يؤمنون بجميع كتب العهد القديم مع التلمود.

2- الصدوقيون:

يرى بعض الباحثين أن هذه التسمية نسبة إلى صادوق الكاهن الأعظم في عهد سليمان، أوالى كاهن آخر بهذا الاسم وجد في القرن الثالث قبل الميلاد[1].

وهم ينكرون البعث والحياة الأخرى والحساب والجنة والنار ويرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا، فالعمل الصالح ينتج الخير والبركة لصاحبه، والعمل السيئ يسبب لصاحبه الأزمات والمتاعب[2].

وينكر الصدوقيون كذلك التعاليم الشفوية "التلمود" وحتى التوراة لا يرون أنها مقدسة قدسية مطلقة، وينكرون الخلود الفردي، كما ينكرون وجود الملائكة والشياطين، ولا يقولون بالقضاء والقدر ويؤمنون بحرية الاختيار، ويرون أن الأفعال مخلوقة للإنسان لا لله، وينكرون كذلك المسيح المنتظر ولا يترقبونه[3].

إن تسميتهم من الأضداد ذلك لأنهم مشهورون بالإنكار، فهم ينكرون البعث والحساب والجنة وينكرون التلمود، كما ينكرون الملائكة والمسيح المنتظر.

3- القراءون :

كان القراءون يمثلون القلة بين اليهود، فلما تدهور شأن الفريسيين نما فريق القرائين وورث أتباع الفريسيين ونفوذهم.

والقراءون لا يعترفون إلا بالعهد القديم كتابا مقدسا، وليست عندهم روايات شفوية كالتي قيل إن الحاخامات توارثوها الواحد بعد الأخر، وبالتالي لا يعترف القراءون بالتلمود، ويقولون بالاجتهاد، فإذا تبين الخلف خطأ السلف.....فإن للخلف تصحيح هذا الخطأ[4].

---

[1]- أحمد شلبي ، المرجع نفسه – ص221

[2]- أحمد شلبي ، المرجع نفسه – ص221

[3]- احمد شلبي ، المرجع السابق – ص232

[4]- أحمد شلبي، المرجع نفسه – ص 233

وقد أسست هذه الفرقة في القرن الثامن الميلادي، وتولى رئاستها (داود عنان) أحد علماء اليهود في بغداد[1].

عن القرائين قلة من اليهود ظهروا عقب الفريسيين وورثوا أتباعهم، لا يعترفون إلا بالعهد القديم ولا يخضعون للتلمود ولا يعترفون به بدعوى حريتهم في شرح التوراة.

4- الكتبة:

وأفراد هذه الفرقة ووظيفتهم كتابة الشريعة لمن يريدها، فهم أشبه ما يكونون بالنساخ، وقد نتج عن كثرة مزاولتهم لهذا العمل أن عرف عدد منهم بالإلهام بأحكام شريعتهم، فاتخذوا الوعظ والتدريس مهنة لهم.

وبمرور الأيام تولوا المناصب، وعانوا الحكام في بلوغ غاياتهم وأصبحوا هم الرعاة للمدارس والمعابد[2].

لقد عرف الكتبة أو ما يسموا أيضا بالنساخ، الشريعة من خلال عملهم في النسخ والكتابة، فاتخذوا الوعظ وظيفة لهم، يسمون بالحكماء وبالسادة.

أفكار ومعتقدات أخرى :

يعتقد اليهود بأن الذبيح من ولد إبراهيم هو إسحاق المولود من سارة والصحيح أنه إسماعيل.

- لم يرد في دينهم شيء ذو بال عن البعث والخلود والثواب والعقاب إلا إشارات بسيطة وذلك أن هذه الأمور بعيدة عن تركيبة الفكر اليهودي المادي.

- الثواب والعقاب إنما يتم في الدنيا، فالثواب هو النصر والتأييد، والعقاب هو الخسران والذل والاستعباد.

- التابوت: و هو صندوق كانوا يحفظون فيه أغلى ما يملكون من ثروات و مواثيق وكتب مقدسة.

- المذبح: مكان مخصص لإيقاد البخور يوضع قدام الحجاب الذي أمام التابوت.

---

[1]- محمد سيد طنطاوي ، بنو إسرائيل في الكتاب والسنة، ص82

[2]- محمد سيد طنطاوي، المرجع نفسه، ص 82

– الهيكل : هو البناء الذي أمر به داوود وأقامه سليمان، فقد بني بداخله المحراب (أي قدس الأقداس وهيأ كذلك بداخله مكانا يوضع فيه تابوت عهد الرب)[1].

– الكهانة: وتختص بأبناء ليفي (أحد أبناء يعقوب) فهم وحدهم لهم حق تفسير النصوص وتقديم القرابين، وهم معفون من الضرائب، وشخصياتهم وسيلة يقرب بها إلى الله، فأصبحوا بذلك أقوى من الملوك.

– القرابين: كانت تشمل الضحايا البشرية إلى جانب الحيوان والثمار ثم اكتفى الإله بعد ذلك بجزء من الإنسان وهو ما يقتطع منه في عملية الختان التي يتمسك بها اليهود إلى يومنا هذا.

– يعتقدون بأنهم شعب الله المختار، وأن أرواح اليهود جزء من الله، وإذا ضرب امي(جوييم) إسرائيليا فكأنما ضرب العزة الإلهية وأن الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بمقدار الفرق بين اليهود وغير اليهودي.

– يجوز غش غير اليهودي وسرقته وإقراضه بالربا الفاحش وشهادة الزور ضده وعدم البر بالقسم أمامه ذلك أن غير اليهود في عقيدتهم كالكلاب والخنازير والبهائم، بل أن اليهود يتقربون إلى الله بفعل ذلك بغير اليهودي[2].

– الولد الأكبر هو أول من يرث وله حظ أنثيين من إخوته، و لا فرق بين المولود بنكاح شرعي أو غير شرعي في الميراث.

– بعد الزواج تعد المرأة مملوكة لزوجها، وملكها له.

– من بلغ العشرين ولم يتزوج فقد استحق اللعنة، وتعدد الزوجات جائز شرعا بدون حد، فقد حدده الربانيون بأربع زوجات بينما أطلقة القراءون[3].

---

[1]– اليهود، مقال من الإنترنت بعنوان: اليهودية نظرة و تحليل: .Http://w.w.w sbee/alislam.Net.v/b/shoth Reed

[2]– مقال من الإنترنت بعنوان: اليهودية نظرة وتحليل، المرجع السابق.

[3]– مقال من الإنترنت بعنوان: اليهودية نظرة وتحليل، المرجع نفسه.

د- التعريف ببروتوكولات حكماء صهيون:

1. التعريف:

كلمة "بروتوكول" كلمة إنجليزية لها عدة معان، ولعل أقربها للمعنى المقصود في السياق الحالي هو" محضر مؤتمر سياسي " وبروتوكولات حكماء صهيون وثيقة يقال إنها كتبت عام 1897 في بازل بسويسرا، أي في نفس العام الذي عقد فيه المؤتمر الصهيوني الأول، بل ويزعم البعض أن *تيودور هرتزل* تلاها على هذا المؤتمر، وأنها نوقشت فيه، بل ويذهب هؤلاء إلى التأكيد على أن المؤتمرات الصهيونية المختلفة إن هي إلا مؤتمرات حكماء صهيون[1]... وإن الهدف من المؤتمر السري الأساسي الأول الذي ضم حاخامات اليهود هو وضع خطة محكمة....لإقامة إمبراطورية عالمية تخضع لسلطان اليهود وتديرها حكومة عالمية تكون مقرها القدس.

وتقع البروتوكولات البالغ عددها أربعا وعشرين بروتوكولا في نحو مائة وخمسين صفحة في الأصل الروسي والإنجليزي[2].

2. بعض محتويات بروتوكولات حكماء صهيون:

- يجب أن نلاحظ أن ذوي الطبائع الفاسدة من الناس أكثر عددا من ذوي الطبائع النبيلة ، وإذن فخير النتائج في حكم العالم ما ينتزع بالعنف والإرهاب، لا بالمناقشات الأكاديمية.
- إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء، والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسي بارع، وهو لذلك غير راسخ على عرشه.
- ...في هذه الأحوال الحاضرة المضطربة لقوى المجتمع ستكون قوتنا أشد من أي قوة أخرى، لأنها ستكون مستورة حتى اللحظة التي تبلغ فيها مبلغا لا تستطيع معه أن تنافسها أي خطة ماكرة.
- ... إن هذا الشر هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هدف الخير ولذلك يتحتم ألا نتردد لحظة واحدة في أعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا في تحقيق غاياتنا.

---

[1]– د. عبد الوهاب المسيري، البروتوكولات واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة– ط3 2003 ص11.

[2]– د. عبد الوهاب المسيري، المرجع نفسه ص12.

- سنختار من بين العامة رؤساء إداريين ممن لهم ميول العبيد، ولن يكونوا مدربين على فن الحكم، ولذلك سيكون من اليسير أن يمسخوا قطع شطرنج ضمن لعبتنا في أيدي مستشارينا العلماء الحكماء الذين دربوا خصيصا على حكم العالم منذ الطفولة الباكرة[1].
- ونحن نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يؤججها الضيق والفقر، وهذه المشاعر هي وسائلنا التي نكتسح بها بعيدا كل من يصدوننا عن سبيلنا .
- إن المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لأغراضنا، ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة في خطة عملنا و في مركز قيادتنا ما تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيرا.
- لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأمم ين الشخصية والقومية، بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرنا. ومن هذا كله تتقرر حقيقة: هي أن حكومة منفردة لن تجد لها سندا من جاراتها حين تدعوها إلى مساعدتها ضدنا، كل واحدة منا ستظن أن أي عمل ضدنا هو نكبة على كيانها الذاتي.
- إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض وقد منحنا الله العبقرية كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل، إن كان في معسكر أعدائنا عبقري فقد يحاربنا، ولكن القادم الجديد لن يكون كفؤا لأيد عريقة[2].

[1]– سرجي نيلوس، بروتوكولات حكماء صهيون، مكتبة الزهراء، الجزائر– ط1 1990 ص37.

[2]– سرجي نيلوس، المرجع نفسه، ص53.

3. تاريخ البروتوكولات:

في سنة 1901 تمكنت سيدة فرنسية الأصل اسمها *"جوليدا ديمتربلينا"* من التسلل إلى المحفل الماسوني وسرقة نسخة واحدة من هذا الدستور السري، اختلستها من زعيم كبير في المحفل الماسوني بعد اجتماع خاص جدا جرى بأحد أوكار الماسونية في باريس وسلمتها للأستاذ *"سيرجي نيلوس"* الروسي فنشرها بعذلك بسنة واحدة، إي سنة 1902 وكان نشرها أكبر صدمة تلقتها الصهيونية في تاريخ عملها السري الطويل منذ بدأ معلمهم *"هرتزل"* فقد ظن اليهود يومئذ أن ظهور بروتوكولاتهم معناه افتضاح أمرهم وتجميد نشاطهم والقضاء على أحلامهم ومخططاتهم ..فبادروا –عن طريق الرشوة– إلى جمع كل النسخ المطبوعة من المكتبات العالمية وإحراقها إلا أن هذه العملية لم تكن من الدقة، بحيث تسللت بعض النسخ من روسيا إلى بريطانيا حيث ظهرت طبعة في لندن سنة 1921 و من هذه الطبعة الإنجليزية عرفت البروتوكولات طريقها إلى أيدي الناس[1].

[1]– أبوجرة سلطاني، بروتوكولات خبثاء صهيون – شركة الشهاب – الجزائر– د.ط، د.ت، ص13.

2.1- النصرانية

أ. لغة:

النصارى: جمع نصران ونصرانه، وقيل سموا بذلك لقوله تعالى: ﴿... كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ... [1] ﴾.

يقال رجل نصراني وامرأة نصرانية، ونصره: جعله نصرانيا وقيل سموا بذلك نسبة إلى مدينة الناصرة في فلسطين حيث ترعرع فيها السيد عيسى –عليه السلام–[2].

ب. اصطلاحا:

النصرانية اصطلاحا هي دين النصارى يزعمون أنهم يتبعون المسيح عليه السلام وكتابهم الإنجيل.

وقد أطلق على أتباع الديانة النصرانية في القرآن الكريم: "نصارى" و"أهل الكتاب" و"أهل الإنجيل "وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح، ويسمون ديانتهم بالمسيحية وأول ما دعي النصارى "بالمسيحيين" في أنطاكية حوالي سنة 42م، ويرى البعض أن ذلك أول الأمر، كان من باب الشتم، ولم ترد التسمية بالمسيحية في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة كما أن المسيح حسب الإنجيل لم يسم أصحابه وأتباعه بالمسيحيين، و هي تسمية لا توافق واقع النصارى، لتحريفهم دين المسيح، فالأصل أن يطلق عليهم نصارى أو أهل الكتاب[3].

ولا يجوز أن يسموا مسيحيين، لأن في ذلك نسبة لهم إلى المسيح –عليه السلام– وهو بريء من دينهم هذا الذي هم عليه، وحتى أتباعه الذين آمنوا به نبيا مرسلا لم يسموا بذلك لأنه لا تسمى الأمة منسوبة إلى نبيها، فلا يقال عن أتباع إبراهيم –عليه السلام– الإبراهيميون،....والجدير بالذكر أن المسيح–عليه السلام– ما دعا إلى توحيد وعبادة الله

---

[1]– من سورة الصف، الآية: 14

[2]– الفيروز أبادي ، بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز م5 ، المكتبة العلمية – بيروت – لبنان– د.ط، د.ت، ص69–70.

[3]– بسمة أحمد جستنية ، تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ، أسبابه وتاريخه ، دار العلم دمشق– سوريا ط1 1420هـ– 2000م ص 19.

وحده لا شريك له ﴿إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ [1]﴾. وقد وجه دعوته لبني جنسه، وهم بنو إسرائيل خاصة: ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ"[2]﴾.

وكان عليه السلام متبعا لشريعة موسى ومكملا لها: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ [3]﴾. مع التخفيف لبعض الأحكام التي شدّد الله بها على اليهود من قبل، فكانت رسالة إصلاح لما طرأ على الشريعة التي أنزلت على موسى من التحريف من قبل اليهود[4]، "الذين حرّفوا شريعة موسى وجعلوا همهم جمع المال، وامتد هذا التفكير المادي إلى العلماء والرهبان، فأخذوا يحرضون العامة على تقديم القرابين والنذور للهيكل، رجاء أن يحصلوا على الغفران، وربطوا الغفران برضا الرهبان ودعائمهم وتعمقوا في المادية وبعدوا عن الروحية، فأنكر فريق منهم القيامة والحشر، ومن ثم أنكروا الحساب والعقاب، فانغمس الكثيرون منهم في متاع الحياة الدنيا غير خائفين من عاقبة ، ولا متوقعين حساباً لقد فسدت العقيدة وفسدت الأخلاق ولم يكن بدّ من منقذ يحاول أن يردّهم عن طغيانهم الذي كانوا فيه يعمهون[5].

- **المسيح:**

وجاء في تفسير ابن كثير: وسمي المسيح، كما قال بعض السلف لكثرة سياحته، وقيل لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص لهما.

وقيل لأنه كان إذا مسح أحدًا من ذوي العاهات برئ بإذن الله تعالى[6].

وجاء في تفسير الألوسي: المشهور أن "المسيح" لقب عيسى –عليه السلام– وهو له من الألقاب المشرفة كالفاروق، وأصله بالعبرية "مشيحا" ومعناه المبارك. وعن كثير من السلف أن "المسيح" مشتق من "المسح" أما وجه إطلاقه على عيسى –عليه السلام– فقيل

---

[1]– من سورة آل عمران، الآية: 51.

[2]– من سورة آل عمران، الآية: 49

[3]– من سورة آل عمران، الآية: 50

[4]– بسمة أحمد جستنيّة – المرجع السابق – ص 70

[5]– أحمد شلبي، المسيحية، ص 30– 31

[6]– تفسير ابن كثير – ج1– ص 363

لأنه مُسح بالبركة واليُمن، أو لأنه كان يمسح على عين الأكمه فيبصر وأنه لا يمسح ذا عاهة بيده إلا برئ[1].

وأما معنى "عيسى" وهو ما سمي به عليه السلام، فهو لفظ معرب من لفظ "ايشوع" بالعبرية ومعناه السيد، وهو مشتق من العيس وأنه سمي به عيسى – عليه السلام – كما جاء في تفسير الألوسي لأنه كان في لونه عيس أي بياض تعلوه حمرة، ثم قال الألوسي إن المعول عليه فيه أنه لا اشتقاق له وأن القائل به كالراقم على الماء[2].

المسيحيون هم أتباع عيسى بن مريم ابنة عمران عليه السلام، وسموا بذلك نسبة للمسيح عليه السلام ولفظ المسيح لقب لسيدنا عيسى عليه السلام كانوا في الأصل اثنا عشر رجلا يقال لهم الحواريون والرسل وقد أيد الله سيدنا عيسى بمعجزات خارقة لما فسدت حياة بني إسرائيل، أرسل الله عيسى إليهم ليردهم إلى جادة الطريق ويهديهم إلى صراط الله المستقيم فجاءهم بالإنجيل من عند الله فكفروا به وناصبوه العداء، ثم حاولوا قتله وقتلوا شبيها له، وقد اعتادوا قتل أنبياء الله فقتلوا من قبل يحي وزكريا، وولادة عيسى من غير أب في حدّ ذاتها معجزة من الله للبشر.

أ- التعريف بمعتقداتهم:

الشعائر المسيحية لا تسمو إلى مكانة العقائد التي سبق الكلام عنها فالعقائد أساس لدخول المسيحية، وبدون الإيمان بها لا يكون الإنسان مسيحيا، أما الشعائر فإنها لازمة، وعلى المسيحي أن يقوم بها، ولكن الشخص على كل حال يعتبر مسيحيا قبل أن يقوم بها مادام قد اعتنق العقائد السابقة، وأهم هذه الشعائر: التعميد، والعشاء الرباني وتقديس الصليب وحمله[3].

1. التعميد:

تكاد تتفق كل الفرق المسيحية على ضرورة التعميد، وكان التعميد موجودا قبل المسيحية عند اليهود، كان يحي يعمّد الناس في نهر الأردن ولذلك سمي "يوحنا المعمِّدان"، وقد قام يوحنا بتعميد المسيح.

---

[1]– تفسير الألوسي – ج2 – ص161

[2]– تفسير – الألوسي – ج2 – ص161

[3]– أحمد شلبي، المسيحية، ص 172

ولم يتفق المسيحيون على وقت التعميد، فبعضهم يعمَّد الشخص في طفولته، وبعضهم يعمّده في أي وقت في حياته، وبعضهم يُجري التعميد والشخص على فراش الموت بحجة أن التعميد إزالة السيئات وتطهير من الذنوب فيحسن أن يتم حيث لن تحصل ذنوب بعده، وقد عمد قسطنطين حامي المسيحية وهو على فراش الموت، والغالب أن يتم التعميد في الطفولة حتى ينشأ الإنسان طاهرا مبرَّرًا.

وطريقة التعميد هي رش الماء على الجبهة أو غمس أي جزء من الجسم في الماء، ويكثر أن يغمس الشخص كله في الماء، ولابد أن يقوم بهذه العملية كاهن يعتّمد الإنسان باسم الأب والابن و روح القدس[1]

2. العشاء الرباني: *saciament*

يطلق عليه أيضا "التناول" وهو أيضا عادة أخذت عن الأديان السابقة للمسيحية[2]، ويُرمز بالعشاء الرباني إلى عشاء عيسى الأخير مع تلاميذه إذ اقتسم معهم الخبز والنبيذ، والخبز يرمز إلى جسد المسيح الذي كسر لنجاة البشرية، أما الخمر فيرمز إلى دمه الذي سفك لهذا الغرض، ويستعمل في العشاء الرّبّاني قليل من الخبز وقليل من الخمر لذكر ما فُعِلَ بالمسيح ليلة موته وكذلك ليكون هذا طعاما روحيا للمسيحيين فمن أكل هذا الخبز و شرب هذا الخمر استحال الخبز إلى لحم المسيح والخمر إلى دمه فيحصل امتزاج بين الآكل وبين المسيح وتعاليمه[3].

3. تقديس الصليب وحمله :

إن تقديس الصليب عند المسيحيين سبق صلب المسيح نفسه، فقد ورد عن المسيح قوله "إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني"[4]، ومعنى حمل الصليب عندهم هو الاستهانة بالحياة والاستعداد للموت في أبشع صوره، أي صلبا على خشبة كما يُفعل بالمجرمين والآثمين، وقويت فكرة تقديس الصليب بعد صلب عيسى فأصبح أداة تذكّر المسيحيين بالتضحية الضّخمة التي قام بها المسيح من أجل البشر.

---

[1]– أحمد شلبي، المرجع نفسه، ص 173

[2]– أحمد شلبي، المرجع نفسه، ص 174

[3]– أحمد شلبي، المسيحية، ص 174

[4]– لوقا 9 : 23 نقلا عن أحمد شلبي، المرجع نفسه، ص 175

ومن العجيب أن الكنيسة تعلن الحرب على الأصنام هي بذاتها تقدّس صليبا مصنوعا من معدن أو خشب وتوصي بتقديسه[1].

- **بولس وتأثيره في عقائد النصارى:**

يعتبر بولس شخصية هامة في مسيحية اليوم، وهو الذي أحدث انقلابا شاملا في ديانة عيسى –عليه السلام– حيث أسس ديانة مختلفة عما جاء به المسيح –عليه السلام–[2].

أدخل بولس معتقدات جديدة إلى النصرانية، أهمها القول بتعدد الآلهة، وبأن عيسى – عليه السلام – نزل ليضحي بنفسه للتفكير عن خطيئة البشر، وأنه عاد مرة أخرى إلى السماء ليجلس على يمين أبيه، وقد ادعى بولس أن عيسى علمه هذه المعتقدات مباشرة[3]. وهو أول من ابتدع اللاهوت والناسوت في شأن المسيح –عليه السلام–، وكانت قبله كلمة النصارى واحدة، وهي أنه عبد الله ورسوله[4].

ويقصد باللاهوت والناسوت: أن المسيح خلق من أصلين لاهوت وناسوت، ولاهوته من الله، أما ناسوته فمن مريم، فاتحد الناسوت باللاهوت[5].

إن بولس هو أول من قال بتأليه عيسى –عليه السلام– وأول من دعا إلى بنوة المسيح لله – تعالى الله علوا كبيرا– و هو الذي حول النصرانية إلى ديانة كبرى عالمية قائمة على معتقدات دخيلة على النصرانية التي بشّربها عيسى –عليه السلام–[6].

وقد ألف بولس أربع عشرة رسالة من العهد الجديد[7] وعلى هذا يعتبر بولس واضع الديانة النصرانية المعروفة اليوم[8]، والتي تبعد كل البعد عن الديانة التي دعا إليها

---

[1]– عبد الأحد داود : الإنجيل والصليب ، ص 8 نقلا عن أحمد شلبي ، المرجع نفسه ص 175

[2]– محمد أحمد الحاج : المرجع السابق، ص 142.

[3]– أحمد شلبي : مقارنة الأديان، أديان الهند الكبرى ط4 –القاهرة– مكتبة النهضة المصرية 1976 ص 219

[4]– ابن قيم الجوزية: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى – بيروت، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون، د.ط، 1422هـ/2001م، ص203.

[5]– ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، قدم له: علي السيد– صبح المدني – ا لقاهرة– مطبعة المدني، د.ط، د.ت، ج2 ص 96

[6]– عماد الدين عبد الله الشنطي، اليهودية والمسيحية في الميزان ط1 ، مكتبة ومطبعة دار المنارة 1425هـ– 2004م ص192– 193

[7]– العهد الجديد هو الإنجيل المعتبر عند النصارى هذه الأيام ويتألف من أربعة أناجيل هي: متى، ومرقس، ولوقا، و يوحنا، وسبعة وعشرون رسالة

[8]– أحمد شلبي، مقارنة الأديان المسيحية، ص66

المسيح–عليه السلام– وقد صادفت تعاليم بولس عقولا تقبلتها بيسر لتأثرها بالديانات الوثنية التي سبقت النصرانية.

وهكذا استطاع بولس الدخول في النصرانية، وتحريفها عن أصولها، وكان له أكبر الأثر في نشر عقائدها المحرفة المستقاة من الديانة الوثنية القديمة، والتي تخالف أصل الدين الذي جاء به المسيح –عليه السلام–.

ذكر أنه بعد انقضاء مدة على رفع عيسى –عليه السلام– بدأ ظهور أولى الكتابات النصرانية، وهي ما يسمى رسائل بولس، والذي لم يكن من تلاميذ المسيح ولم يلقه يوما، إنما كان المعادين للنصرانية و لأتباع المسيح[1]. وتوالت كتابة الأناجيل بعد هذا حتى وصل عدد الأناجيل المنسوبة إلى عيسى –عليه السلام– حوالي مائة إنجيل، ويعود السبب في هذه الكثرة إلى أن مواعظ عيسى– عليه السلام – و أحاديثه كانت مشافهة، لم تكتب في عهد ولا في زمن قريب بعد رفعه، و كانت دعوته قد نشأت بين مجموعة من صيادي السمك في إقليم الناصرة[2].

ب- التعريف بكتبهم

- **الإنجيل**

الإنجيل كتابا لله تعالى المنزّل على عيسى –عليه السلام– وهي كلمة يونانية تعني البشارة[3]، وقد قال تعالى في معرض تذكيره لعيسى –عليه السلام– بنعمه عليه ﴿ وَإِذ عَلَّمْتُكَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلَ [4]﴾. مما يعني أنه عزّ وجل علّم عيسى –عليه السلام– الإنجيل، والذي لم يكن مكتوبا كما يعتقد البعض، إنما هو تعاليم ووصايا وإرشادات كان يلقيها على قومه خلال دعوته لهم[5].

---

[1]– أحمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ط1 – القاهرة– مكتبة وهبة 1978، ص 38.

[2]– الناصرة: مدينة فلسطينية تقوم على رقعة متوسطة الارتفاع داخل الجليل الأدنى، استمدت الناصرة مكانتها لأنها مدينة السيد المسيح ومريم –عليهما السلام– وفيها ولدت، محمد حسن شراب: معجم بلدان فلسطين ط2 الأهلية للنشر والتوزيع 1416هـ– 1996م ص 702–703

[3]– معجم اللغة العربية: المعجم الوسيط قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى– أحمد الزيات – حامد عبد القادر– حامد عبد القادر– محمد علي النجار تركية – دار الدعوة 1989 ص 29

[4]– من سورة المائدة، الآية: 110

[5]– إبراهيم لوقا، المسيحية في الإسلام ، ط 5 – سويسرا– 1995، ص 49.

وجاء عيسى –عليه السلام – بالهدى والتوحيد إلى قومه بني إسرائيل، مؤيّدا من ربه عزّ وجل بمعجزات عدة تبين للناس بأنه نبي مرسل، وآتاه الله سبحانه وتعالى فيه هدى ونور وتذكر الكتب أن عيسى –عليه السلام– كان في الثلاثين من عمره عندما بدأ دعوته، والتي استمرت ثلاثة أعوام وثلاثة أشهر وثلاثة أيام[1].

وهناك خلاف كبير في تحديد تاريخ كتابة الإنجيل، وتعيين الإنجيل الأقدم، فهناك من رأى أن رسائل *(بولس)* هي الأقدم.

العهد الجديد:

يتألف العهد الجديد من أربعة أناجيل: إنجيل *"متى"*وإنجيل "مرقس" وإنجيل *لوقا* وإنجيل *"يوحنا* "ثم أربعة عشر رسالة ل *"بولس"* ورسائل *"يعقوب"* و*"بطرس"* و*"يوحنا"* و*"يهوذا"* ومجموعها سبع وعشرون رسالة.

ويأتي إطلاق لفظ الإنجيل على هذه الرسائل مجازا، لأنها عبارة عن القصص التي حدثت زمن عيسى –عليه لسلام– وأحواله، وأعماله، وأقواله، و معجزاته، والإنجيل الذي بين يدي النصارى لم يكتبه المسيح، ولم يمله على من كتبه، وإنما كتبه بعد رفعه، *"متى"* و*"يوحنا"* و*"مرقس"* و*"لوقا"* ، ولم يحفظ الإنجيل خلق كثير يبلغ التواتر[2].

وكانت بعد عشرين عاما من رفع عيسى –عليه السلام – ومنهم من ذهب إلى إنجيل *"متى"* هوا قدمها، وكانت بعد تسع سنوات من رفع عيسى –عليه السلام– وهناك من حدّد تاريخ كتابة *"متى"* لإنجيله بأربعين عاما بعد الميلاد.

إن الإنجيل كتاب سماوي من عند الله عزّ وجل، والأصل أن ينقل من جيل إلى جيل متوترا دون تغير أو تحريف، لكن عدد الأناجيل وصل إلى ما يقرب المائة، وقد ظهرت أناجيل بنصوص مختلفة، ومع مرور الأيام، ظهرت نفس الأناجيل بنصوص مخالفة لما عرفت من قبل[3] ومن يطلع على الإنجيل بلغاته المتعددة يجد فيها اختلاف واضحا، وقد يكون هذا الفرق جوهريا أحيانا[4].

---

[1]– ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والنحل والأهواء والمنحل، ج 2، ص 60.

[2]– ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج1، د.ت، د.ط، ص356.

[3]– أحمد عبد الوهاب، المرجع السابق، ص39.

[4]– محمد أحمد الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ط1، دمشق بيروت، الدار الشامية 1992، ص279.

وبعد فترة من رفعه عليه السلام بدأ أتباعه بكتابة ما حفظته صدورهم من تعاليمه، وكان قد تسرب إلى عقائد بعضهم الانحرافات الوثنية المنتشر في تلك الأيام مما أثر في كتاباتهم، وحدث خلاف كبير بينهم أريقت له الدماء[1].

وقد حسم مجمع نيقية الخلاف لكنه أمر بحرق جميع الكتب التي لا تقول بإلوهية عيسى –عليه السلام–، وقرر إلوهيته، وأقر بعقيدة التثليث، وبقدسية الكتاب المتداول عند النصارى اليوم، وهو ما يسمى بالعهد الجديد[2].

ج- عقائد النصارى اليوم:

1. عقيدة التثليث:

لقد ذهب كثير من النصارى إلى القول بأن الله عزّ وجلّ ثالث ثلاثة، وقد قال تعالى فيهم: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَما مِنْ إِلَه إِلاَّ إِلهٌ وَاحِدُ [3]﴾ ، وقال عزّ وجلّ ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةُ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ [4]﴾ ، فالقول بالتثليث كفر بالله الواحد الصّمد. و قال بعض النّصارى بأن الله هو المسيح، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الّذين قَالُوا إِنَّ اللهَ هُو المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ [5]﴾.

هذا ويعتقد كثير من النصارى بأن الله واحد لكنه مؤلف من ثلاثة أقانيم (أي ثلاثة أشخاص) هي: الأب والابن والروح القدس، و هذه الثلاثة أقانيم هي ظواهر لحقيقة واحدة، أي واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد فالله هو الأب وهو الخالق، والمسيح هو الابن وهو المخلص، والروح القدس هو الرب المحيي[6].

ويقولون إن الله الأب إله، والابن إله، والروح القدس إله، لكنهم ليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحد[7].

---

[1]– محمد عزت الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان ط2– دمشق، دار القلم 1423هـ – 2000، ص143

[1]– اسكندر جديد شخصية المسيح في الإنجيل والقرآن ط2 ، القدس نداء الرجاء 1995، ص 103.

[2]– أحمد شلبي، المسيحية، ص 142 –143.

[3]– من سورة المائدة، الآية: 73

[4]– من سورة النساء، الآية: 171

[5]– من سورة المائدة، الآية: 17

[6]– محمد عزت الطهطاوي، المرجع السابق، ص143.

[7]– اسكندر جديد، شخصية المسيح في الإنجيل والقرآن، ط2 ، القدس نداء الرجاء 1995 ص 50

وهناك من النصارى من قال بألوهية مريم وعيسى –عليهما السلام – وهو ما يفهم من قوله تعالى لعيسى –عليه السلام – ﴿ ءَ أَنْتَ قُلْتَ للنَّاسِ اَتَّخِذُنِي وَأُمّي إلَهيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ [1]﴾.

لكن عيسى عليه السلام نفى أن يكون هو الذي أمرهم باتخاذه وأمه إلهين بقوله: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ [2]﴾.

وقد عبد بعضهم مريم –عليها السلام– وتوجه إليها بالصلاة والدعاء والاستغاثة، ومنهم من صام وسمى الصوم باسمها[3].

ولم تكن دعوة عيسى عليه السلام إلا عبادة الله عز وجل، كما قال سبحانه وتعالى على لسانه ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَهَ ربّي وَرَبَّكُمْ"[4]﴾.

ومن هنا فدعوة عيسى –عليه السلام– كغيره من الأنبياء والرسل توحيدية، فمتى، ومن أين جاء التثليث إلى عقيدة النصارى؟

مما لا شك فيه أن التثليث لم يكن معروفا عند النصارى حتى أواخر القرن الثاني الميلادي، وقد روي أن البابليين هم أول من قال بالثالوث في الألف الرابعة قبل الميلاد[5]. وهناك من قال بأن التثليث أو تعدد الآلهة كان موجودا في ثقافات عديدة قديمة، وبه قال المصريون القدماء والآشوريون والبابليون والفرس والهنود والصينيون واليونان[6] على اختلاف في عدد الآلهة، أما تحديد الآلهة بثلاثة فله صلة بعبادة الأبطال، فالبطل يحرز نصرا يسر له الناس فيمجدوه، ثم يتزوج البطل وينجب طفلا، فيمجد الناس زوجته وطفله[7].

2. عقيدة الصلب للتكفير عن الخطيئة :

تعتبر عقيدة الصلب الثانية من العقائد الأساسية في النصرانية في أيامنا الحاضرة، وأصل هذه العقيدة (في نظرهم) ذنب آدم –عليه السلام– فقد أكل من شجرة الخلد التي

---

[1]– من سورة المائدة، الآية: 116

[2]– من سورة المائدة، الآية: 116

[3]– محمد أحمد العدوي، دعوة الرسل إلى الله تعالى – بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ط، 1399 هـ/1979م، ص 350

[4]– من سورة المائدة، الآية: 117

[5]– داود علي الفاضلي، أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم–الرباط– مكتبة المعارف 1393هـ/1973م ص 212.

[6]– الشنطي، المرجع السابق ص 226 / 232

[7]– أحمد شلبي، المسيحية، ص 130 / 131.

حذره الله عز وجل من الأكل منها، فاستحق (كما يزعمون) القصاص الإلهي ويرون أن البشرية بعد هذا الذنب أصبحت أمام مطلبين متناقضين وهما: العدل الذي يتطلب تنفيذ الحكم على آدم وزوجته وذريته دون تساهل أو تفريط، والرحمة تتطلب الصفح عنهم دون حساب وعتاب[1].

وكان الحل بنظرهم الجمع بين مطلبي العدل والرحمة المتناقضين بتقديم فدية من جانب الله نفسه بحيث تكون طاهرة من كل عيب ودنس، ولا يوجد في البشرية إنسان طاهر بلا عيب، فلا يوجد في العالم بأسره من هو منزه إلا الله عز وجل، فظهر الله في جسد المسيح اتحد فيه اللاهوت والناسوت ليقدم نفسه فداء لخطيئة البشرية، ودل فعله هذا على محبته العميقة للبشر، مما جعله يفديهم بذاته المقدسة فعذّب المسيح وصلب فداء لخطيئة البشر[2].

3. عقيدة الدينونة:

يعتقد النصارى بأن المسيح –عليه السلام– بعد صلبه وموته قام من قبره، وصعد إلى السماء، وجلس على كرسي بجوار الأب استعدادا لاستقبال الناس يوم الحشر لمحاسبتهم على أعمالهم، ويعتقدون كذلك بأن الله عز وجل قد أعطى المسيح الحساب لأنه الإله الابن، ولأنه ابن الإنسان فهو أولى بمحاسبته، ويعتبر هذا الاعتقاد الأساس الثالث لعقائد النصارى بعد التثليث والصلب للتفكير عن خطيئة البشر[3].

إن هذه العقيدة باطلة لأن أساسها باطل، فقد بنيت على أساس ألوهية المسيح، لكن الله وحده هو الذي يملك الحق في محاسبة الناس[4] فالحكم يوم القيامة لله عز وجل وحده ، قال تعالى: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ"[5]﴾، إن عقيدة الدينونة تخالف عقيدة الصلب والفداء، فلا معنى للحساب إن كان عيسى– عليه السلام – قد مات فداءً لذنوب البشر، وهما عقيدتان مأخوذتان من الديانات الوثنية.

---

[1]– إبراهيم لوقا، المرجع السابق، ص 158.

[2]– إبراهيم لوقا، المرجع نفسه، ص 158 – 159.

[3]– أحمد شلبي، المسيحية ص 164/ 165، ومحمد الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص 56.

[4]– محمد الطهطاوي، المرجع نفسه، ص 57.

[5]– من سورة الأنعام، الآية: 57.

3.1- الإسلام

تعريف:

- **لغة:** تأتي كلمة الإسلام من مادة سلم، ويقال (سلّم): انقاد ورضي بالحكم وسلّم على القوم، حيّاهم بالسّلام، وسلّم أمره لله، أسلمه إليه سبحانه. السلام: السلامة والبراءة من العيوب. والسلام: الأمان والصلح، والسلام: اسم من أسماء الله الحسنى، وقد سميت الجنة: دار السلام لأنها دار السلام الأبدي والنعيم المقيم (سَالَمَ): صالح، واستسلم انقاد[1].
- **اصطلاحا:** الإسلام هو الخضوع والاستسلام والانقياد لله رب العالمين، وبهذا ورد اللفظ "الإسلام" وما اشتق منه في القرآن الكريم وهذا المعنى هو قوام حقيقته وجوهره[2].

أ- التعريف بالمصطلح

و"الإسلام " هو الدين الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ، والشريعة التي ختم الله بها الرسالات السماوية، وليس حصري على العرب إنما جاء لكافة الناس والإسلام يقوم على المساواة بين الناس، والإسلام لا يفرق بين أحد إلا من خلال العبادات والطاعات والالتزامات بالتقوى فهي تعتبر الأساس الذي يقيم عليه البشر[3].

ونجد هذا في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "[4]﴾.

الإسلام هو الديانة السماوية الثالثة حسب ترتيب النزول ولكن كنسبة تدين فهو يأتي في المرتبة الثانية بأكثر من مليار شخص بعد المسيحية التي يتراوح عدد أتباعها المليار وسبع مئة مليون شخص، وأما اليهود فعددهم يقدر بثماني عشرة مليون شخص[5]. فهم الأقل نسبة في العالم و ذلك لأن كل من المسيحية والإسلام تتقبل الأخر في دينها،

---

[1]– لواء أحمد عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 11.

[2]– د. عبد الكريم زيدان : موجز الأديان في القرآن ، مؤسسة الرسالة ط1 2002 م ص 117.

[3]– الموسوعة الحرة: http:// ar.wi ki pe aia .org/

[4]– من سورة الحجرات، الآية: 13.

[5]– أنطوان غدتر، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصايغ، المنظمة العربية للترجمة ، مؤسسة ترجمان، لبنان ط4 2005م ص 572.

بل وتقوم بدعوة الأخر إليها إما عن طريق التبشير أو عن طريق الدعوة على عكس اليهودية التي تعتبر ديانة مقفلة فهي لا تهتم بالدين أكثر من اهتمامها بالعرق فلا يعتبر الفرد يهوديا إلا من ولد من أم يهودية وذلك لاعتقادهم في فكرة شعب الله المختار أي أنهم شعب أرقى من الشعوب الأخرى، وهذه الشعوب يجب أن تكون عبيد وليس متدينة بدينها.

ب- مبادئ الإسلام:

يمكن تقسيم مبادئ الإسلام إلى مبدأين أساسين و هما العقيدة والشريعة:

أ. العقيدة:

وهي الجانب الروحي من الإسلام تتعلق بالإيمان والاعتقاد بالغيبيات فبدون عقيدة يعتبر إسلام الإنسان باطلا، فلا إسلام بلا إيمان وأركان الإيمان هي كالتالي:

1) الإيمان بالله: وهو التصديق بوجود قوة أكبر من الإنسان تدير هذا الكون وهو الله عز وجل وعلينا الإيمان به والتأكد من حقيقته وبأنه المطلق، فهو يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار وله الصلاحية المطلقة في هذا الكون.

2) الإيمان بالملائكة: و هي تلك المخلوقات الروحانية النورانية تعمل في طاعة تامة لله وهي مخلوقات معصومة من الخطأ.

3) الإيمان بالكتب السماوية: على المسلم أن يصدق بأن هنالك كتب سماوية من عند الله على أنبياء سابقين وجاءت قبل القرآن، لتنظم حياة الناس السابقين وهي:

- الصحف: أنزلت على إبراهيم عليه السلام .
- التوراة: أنزلت على موسى عليه السلام .
- الزبور: أنزل على داوود عليه السلام .
- الإنجيل: أنزل على عيسى عليه السلام .

4) الإيمان بالرسل: الرسل جماعة من البشر كرمت من عند الله عز وجل واختصها بالوحي، وذلك لمساعدة البشر، و هم خليفة الله في الأرض، أول هؤلاء الرسل هو آدم – عليه السلام – وأخرهم محمد بن عبد الله ﷺ.

5)الإيمان باليوم الآخر: أي أن الدنيا فانية ولابد أن يأتي يوم يحاسب فيه الإنسان على جميع أفعاله، واليوم الآخر عالم لا نعرفه إلا من خلال القرآن لا في الجنة ولا في النار.

6)الإيمان بالقضاء والقدر: على الإنسان أن يقتنع بأنه ليس حر كل الحرية في اختيار أفعاله، وإنما هنالك أمور مقدرة له من عند الله وليمكنه التحكم فيها لقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا"[1]﴾ .

والإيمان هو عقيدة المسلم وليست خاصة فقط بأمة محمد ﷺ وإنما كانت عقيدة الأمم السابقة أيضا، ولكنها في الحقيقة حرفت ولم تبقى على حقيقتها، فقط عقيدة الإسلام سلمت من هذا التحريف.

ب. الشريعة:

وهي القوانين التي سنها الله لعباده كي يسيروا وفقها، وجعلها منهاجا لحياتهم الدينية والدنيوية حتى لا يعيش الإنسان في حالة فوضى وضياع وهي كالتالي:

1- الشعائر الدينية: وهي تمثل علاقة الفرد بربه:

- **الصلاة:** هي عبارة عن صلة تربط الإنسان بربه وللصلاة في الإسلام منزلة لا تعد لها منزلة أي عبادة أخرى، فهي عماد الدين الذي لا يقوم إلا به[2] وهي مقسمة إلى خمس صلوات بين الليل والنهار " الصبح، الظهر، العصر، المغرب، العشاء ".
- **الزكاة** : حق الضعفاء على الأغنياء، وهي نسبة محددة في الإسلام يأخذها شخص من ماله و يقدمها إلى المحتاجين، وتقدر بنسبة 2.5 % من إجمالي رزقه بهدف التقليل من نسبة الفقر والعوز وتحقيق التفاعل الاجتماعي[3].
- **الصوم:** و هو الامتناع عن تناول الطعام والشراب لمدة شهر كامل من طلوع الشمس إلى غروبها، وهو ركن على الإنسان تأديته إلا عليه أداء الكفارة وهي صوم 60 يوما إذا أفطر عمدا في يوم من أيام رمضان، والغرض من الصوم هو تهذيب النفس والسيطرة عليها من الشهوات وهي في الإسلام جهاد، وهو الجهاد الأكبر[4].

---

[1]– من سورة التوبة، الآية:51.

[2]– عبد الملك القاسم: والثمن الجنة، ط1، دار القاسم للنشر – الرياض – 1993/ ص 5.

[3]– محمد أبو زهرة: المجتمع الإسلامي في ظل الإسلام ، دار الفكر العربي –القاهرة– د.ط، د.ت، ص 93.

[4]– محمد أبو زهرة: المرجع نفسه، ص 92

• **الحج** : وهي الشعيرة الخامسة في الإسلام وهو مفروض على المقتدرين فقط، حيث يقول أبو هريرة –رضي الله عنه– قال رسول الله ﷺ "ياأيها الناس فرض الله عليكم الحج فحجوا"[1]

2- العلاقات الاجتماعية: وهي علاقة الإنسان بالإنسان

في العهد الجاهلي كان الناس يعيشون في حالة من الضياع والإهمال، حيث لم يكن ثمة نظام جامع ولا قانون يحكم بين هذه القبائل[2] ولهذا فقد جاء الإسلام بمبادئ نظم بها المجتمع وشرع قوانين كانت بمثابة الطريق التي على الفرد سلوكها حتى يصل إلى بر الأمان، فأمر بكل ما هو حسن و رفض كل ما هو سيئ وهذا يعني أنه رفض جميع القوانين السابقة ولكنه حافظ على الأصلح منها ودعمها فرفض الخمر، والزنا، والربا ونظم علاقات الزواج، اهتم بالسوق والاقتصاد وكل ما يتعلق بعلاقات البشر فيما بينهم.

ج- علاقة الإسلام بالأديان السماوية :

وآخر الأديان السماوية نجد الإسلام وهي المنزلة على الرسول محمد ﷺ، وجميع هذه الأديان السماوية تقوم على أساس وحدة المصدر وهي كونها من عند الله وتقوم في جوهرها على أساس الاستسلام الكامل لله رب العالمين، وعلى هذا الأساس فإن دين الرسل واحد إذ تتفق وتتشابه في أصول الدين وأمور العقيدة مثل الإيمان بالله تعالى وإفراده بالعبادة، والإخلاص له، والإيمان باليوم الآخر والاستعداد له بالعمل الصالح كما شرعه الله، ونبذ الشرك بجميع أنواعه وصوره وقد وردت آيات كثيرة في هذه المعاني إذا قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ"[3]﴾.

فالأديان السماوية واحدة في مصدرها وهي كونها عندها، وواحدة في أصول العقيدة والإيمان ومقاصد التشريع العامة، ولكنها تختلف في الأحكام العملية والتفصيلات الجزئية

---

[1]– عز الدين بليق: منهاج الصالحين، من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين، ط1 دار الفتح للطباعة والنشر بيروت 1976/ ص190.

[2]– محمد أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة 1999/ص10

[3]– من سورة الأنبياء، الآية: 25.

المنظمة لعلاقات الأفراد بخالقهم أو بعلاقاتهم فيما بينهم[1] ولذلك قال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا [2]﴾.

إن الرسالة في الإسلام خاتمة الرسالات السماوية ومتممة لها على أحسن وأكمل وجه، وإن من تمام هذا الختم هيمنة القرآن الكريم على ما سبق من الكتب الإلهية، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ"[3] ﴾حيث دخل هذه الكتب الكثير من التحريف والتبديل بعد موت الرسل المنزلة عليهم، فكان من تمام رسالة نبينا محمد ﷺ أن يكشف عن بعض التحريفات التي أدخلت على التوراة والإنجيل بعد موت موسى عليه السلام ورفع عيسى عليه السلام حيًّا إلى السماء قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ [4] ﴾.ولعل السر في حفظ الله تعالى للقرآن دون سائر الكتب الإلهية هو أن كلا من التوراة والإنجيل كان موقوتا لرسالة موقوتة و لقوم مخصوصين، أما القرآن الكريم فقد كُتب له الخلود والسلامة من الضياع، أو التحريف،و هذا شيء طبيعي، إذا عرفنا أن القرآن الكريم آخر حبل بين السماء والأرض وإنه خاتمة الرسالات السماوية، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [5]﴾.

لقد كان الإسلام عكس الديانات السابقة، فالله وحده هو الإله، وليس محمد إلا بشرا رسولا، والقرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو ثابت لا شبهة حوله وهو كلام الله وليس منسوبا لأحد كما نسبت الأناجيل إلى متى، ومرقص، ويوحنا، ويشمل القرآن الكريم توضيح أساسي الإسلام، وهما العقيدة الإسلامية وشريعة الإسلام بما فيها من عبادات ومعاملات، وكلما أخطأ المسلمون طريق الهداية، عادوا إلى القرآن فوجدوا فيه ما يعيدهم إلى النور، وليس في الإسلام اعتقاد بخطيئة توارثها البشر، لأن بناء على الفكر الإسلامي لا تزر وازرة وزر أخرى، وليس في الإسلام سلطات إلهية للحاكم،.....هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالإسلام دين دولة ومن هنا شمل الحديث

---

[1]– د. عبد الكريم زيدان : المرجع السابق ص 135/134

[2]– من سورة المائدة، الآية: 48.

[3]– من سورة المائدة، الآية: 48.

[4]– من سورة المائدة، الآية: 15.

[5]– من سورة الحجر، الآية: 9.

عن الإسلام، مشكلات الإنسان حتى العصر الذي يعيش فيه ويقدم الإسلام حلولا لكل هذه المشكلات. [1]

وأعظم دليل على نبوة محمد ﷺ وأنه رسول الله، مع بقاء هذا الدليل قائما موجود بين أيدينا هو القرآن العظيم وإعجازه، فهو المعجزة الخالدة التي أوتيها نبينا محمد ﷺ في حياته وبقائها بعد وفاته، وحتى يومنا هذا تتحدى كل شاك أو مشكك في رسالة محمد ﷺ فهذه المعجزة – معجزة القرآن– تمتاز عن سائر معجزاته ﷺ ومعجزات من سبقه من المرسلين عليهم الصلاة والسلام ببقائها قائمة وباقية في كل مكان وزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها فهي شاهدة على صدق نبوة محمد ﷺ... لقد تحدى القرآن المخالفين للإسلام المنكرين نبوة محمد ﷺ، أن يأتوا بمثل هذا القرآن فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله– فعجزوا فعلا، فدل هذا التحدي وما عقبه من عجزهم عن إبطال هذا التحدي، على صدق ما ادعاه النبي ﷺ من أنه رسول الله حقا، وأن مخالفيه مبطلون كاذبون[2] قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ [3]﴾.

---

[1]– د. أحمد شلبي : مقارنة الأديان –الإسلام– مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،ط8 1989 / ص 26.

[2]– د. عبد الكريم زيدان : المرجع السابق ص 124/ 125

[3]– من سورة البقرة، الآيتان: 23– 24.

4.1- السنة

1. لغة: السنة في اللغة: الطريقة محمودة كانت أم مذمومة، ومنه قوله ﷺ "من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامة"[1].

2. اصطلاحا: وهي في اصطلاح المحدثين ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها[2].

في اصطلاح الأصوليين: ما نقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير

ا- فمثال القول: ما تحدّث به النبي ﷺ في مختلف المناسبات مما يتعلق بتشريع الأحكام كقوله عليه الصلاة والسلام "إنما الأعمال بالنيات"[3]

ب- ومثال الفعل: ما نقله الصحابة من أفعال النبي ﷺ في شؤون العبادة وغيرها كأداء الصلوات، ومناسك الحج، وآداب الصيام وقضائه بالشاهد واليمين.

ج- ومثال التقرير: ما أقره الرسول ﷺ من أفعال صدرت عن بعض أصحابه بسكوت منه مع دلالة الرضى، أو بإظهار استحسان وتأييد[4].

وفي اصطلاح الفقهاء: ما ثبت عن النبي ﷺ من غير افتراض ولا وجوب..... وقد تطلق عندهم على ما يقابل البدعة. [5]

لقد كان الرسول ﷺ أدرى الخلق بمقاصد شريعة الله وحدودها ونهجها ومراميها.

وقد أخبر الله في كتابه الكريم عن مهمته الرسول بالنسبة للقرآن أنه مبين له وموضح لمراميه وآياته حيث يقول تعالى في كتابه: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [6]﴾.

---

[1]- أخرجه مسلم عن جرير بن عبد الله البحلي: نقلا عن مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، دار الوراق للنشر والتوزيع، د.ط، 1960/ ص 65

[2]- قواعد التحديث ص 35/ 38 توجيه النظر ص 2 نقلا عن مصطفى السباعي المرجع نفسه ص 65

[3]- أخرجه البخاري والمسلم عن عمر نقلا عن مصطفى السباعي ، المرجع نفسه ص 65

[4]- مصطفى السباعي: المرجع السابق ص 65

[5]- إرشاد الفحول ص 31 نقلا عن مصطفى السباعي المرجع نفسه ص 66

[6]- من سورة النحل، الآية: 44.

كما تبيّن أن مهمته إيضاح الحق حين يختلف فيه الناس ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [1]﴾.

وقد أخبر تعالى أنه أوتي القرآن والحكمة ليعلم الناس أحكام دينهم فقال: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ [2]﴾.

[1]– من سورة النحل، الآية: 66.

[2]– من سورة آل عمران، الآية: 164.

الفصل الثاني

التعريف بالمعتقد الشعبي

(الدراسة النظرية)

1. 1. تصنيف المعتقدات:

لقد ظهرت الكثير من الأمور في المعتقدات الشعبية، التي لا يمكن تفسيرها أو معرفة ماهيتها، ولأسباب الكامنة وراءها، مما يجعل الباحث يتردد كثيرا قبل الولوج في تفاصيلها، وبعض هذه المعتقدات ظهرت نتيجة تجارب وخبرات متراكمة عبر الأجيال، قد يثبت صدقها، وجدواها بالتجارب وقد تمنى بالفشل الذريع، لذلك نرى الغموض يساورها ويعتريها الارتباك و تسودها الفوضى، ولكن مما لا شك فيه اثنان هو أن هذه المعتقدات آمن بها الكثيرون، ووثقوا من فاعليتها وجدواها ولازال الناس يؤمنون بها، ويسيرون على هديها رغم وصولهم إلى مدارك عالية من الفهم و الإدراك وحصولهم على الشهادات العالية في مختلف أنواع المعرفة، ولا يمكن إزالة هذه الرواسب التي تولدت عبر مئات السنين أو محاولة التقليل من شأنها وفاعليتها ذلك أن الإنسان بما خيل عليه من خوف إزاء المجهول، ورهبه مما لم يتمكن من إدراكه وفهمه، ومعرفة القوة الكامنة خلفه، ظل أسير ذلك الخوف، وتلك الرهبة تتقاذفه عوامل مختلفة تتفاوت من إنسان إلى آخر على حسب تمذ هبه و لقد ذكرنا في بحثنا على جملة من المعتقدات ألفيناها في قصص الأنبياء لابن كثير وهي: العين، والطيرة، والسحر، والكهانة، والحدقة، والجن، عبادة الأصنام–تقديم القرابين–الاستعانة بالشيطان لقضاء الحوائج –الإلهام–المسخ– توظيف العدد 7 بالإضافة إلى هذا نجد الخوارق و المبالغة في الوصف والعدد.

2- ماهية التراث الشعبي:

تستعمل عبارة التراث الشعبي عادة بمعنى الفولكلور أو التراث والاختلاف في أصل اللغة الذي تعود إليه كل كلمة، فالتراث عند العرب يعرف بالفولكلور عند الغرب، وهو اسم مركب من المصطلح الإنجليزي وترجمة الفورية والمباشرة هي المعرفة أو الحكمة الشعبية أو التراث الشعبي (شعب folk -- فولكلور folklore[1] -- Lore (المعرفة أو الحكمة).

....أما علماء الاجتماع، فنظروا إلى الفولكلور على أنه التراث غير المكتوب مثل الأساطير والقصص الشعبية والحكم والأمثال والأغاني... وهو علم تحليل المواد التي يتناولها الباحث من منظور التاريخ الثقافي[2]

....فالفولكلور هو كل أنواع الثقافة، من حكايات وأساطير وخرافات ومعتقدات وألغاز ونكت وأمثال وحكم، المتميزة جميعها بالمعرفة الشعبية، والحكمة الجماهيرية، والمهارة في التغير، والفنية في الصياغة الجزالة في البيان وبهذا يرقي التراث إلى مستوى الأدب الرفيع مكتوبا كان أم شفويا .مما مكنه من غزو المجال العلمي بمساعدة جهود الباحثين في ميدانه عن طريق مختلف النظريات. والفولكلور:" فن له خطورته وهو أقرب إلى الإدراك بما ينطوي عليه من نوادر وأساطير وحكم وأمثال .....فالفولكلور بقدر ما يحمل من ذاتية، يتضمن جوانب ضخمة من "جماعية" الشعب العربي كله، وهذه الجوانب هي التي تغري الأديب أو الفنان بالإقبال عليها لجمع المتشعب وتقريب وتقويه الأواصر وهناك تكمن موضوعية في الآن ذاته "[3]

---

[1]– معجم أكسفورد، يعني الشعب "folk "في هذا المعجم : مجموعة من الناس عامة أو أفراد العائلة أو الوالدين عند الأمريكان Oxford Dictionnary ,oxford university press, fouth edition ,Britain,1989,folk

[2]– محمد جلاب : (جريدة الرأي يومية إخبارية الإثنين 23 نوفمبر 1998 الموافق ل 4 شعبان 1419هـ العدد 171ص 77) المرجع السابق ص 77

[3]– محمد جلاب، المرجع نفسه، ص 17

1.2- التعريف بالمعتقد الشعبي:

إن مصطلح "المعتقد الشعبي" مركب من شقين "المعتقد" و"الشعبي" ولتعريفه يجب أن ننطلق أولا من تحديد معنى كل شق على حده.

أ. المعتقد:

وأصل هذه الكلمة من الفعل الثلاثي "عقد"، عقد قلبه على الشيء: لزمه[1] والمعاقدة: المعاهدة [2] واعتقد الشيء: صَلُبَ واشتد[3].

واعتقد يعتقد اعتقادا، الأمر صدقه وآمن به، الرجل تدين، واعتقد[4] فلان بالأمر: صدقه وعقد عليه قلبه وضميره، والعقيدة: ما لاشك معتقدة فيه، كعقيدة وجود الله، وبعثة الرسل(ج) عقائد، و المعتقدة: العقيدة ج (معتقدات) [5]. و" يشير اصطلاح المعتقد(belief) إلى حالات عامة يعتقد في صدقها أعضاء المجتمع [6] نستنتج أن المعتقد أو الاعتقاد أو العقيدة، هو ما آمن به الشخص، والتزم وتمسك به، وصدقة تصديقا لا يحتمل شكا أو كذبا، وقوي أمره في نفسه، لدرجة أنه يصعب عليه التراجع أو التنازل عنه لأي سبب من الأسباب.

كما أن لفظه المعتقد أو الاعتقاد أو العقيدة على علاقة وطيدة بالجانب الديني المقدس، كاعتناق الفرد لعقيدة دينية معينة وتمسكه بها (الاعتقاد بوجود الله و بالأنبياء و الرسل) والمعتقد جمعه المعتقدات التي يكتسبها الفرد داخل مجتمعه، والتي تنتقل، إليه جيلا بعد جيل، ومن خلالها يتبلور سلوكه وتتشكل فلسفته في الحياة.

وتظهر المعتقدات "التي تبدو في الشعور أن الكائنات فوق الطبيعة تدرك كل حركة للإنسان"[7] في إيمان الإنسان بالغيبيات، وعوالم ما وراء الطبيعة، وخاصة ما تعلق منها بالكائنات فوق الطبيعة، كالملائكة و الأرواح و الجن والشياطين، و التي تجلى في

---

[1]– ابن منظور: لسان العرب ج3 دار صادر بيروت ط3 1994 / ص298

[2]– المصدر نفسه ص 297

[3]– الجوهري، المرجع السابق، 1984 ص 510

[4]– علي بن هاديا، بلحسن البليش، الجيلاني بن الحاج يحي، القاموس الجديد للطلاب المؤسسة الوطنية للكتاب ط7، 1991، ص 70

[5]– مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز 1994ص 427/426

[6]– محمد حسن غامري، مقدمة في الأنثروبولوجية العامة، ديوان المطبوعات الجامعية 1991/ ص 126

[7]– المرجع نفسه ص 31

شعور الإنسان الدائم بوجودها معه و مشاركتها له حياته، وإدراكها لكل تحركاته وتدخلها في حياته.

إن المعتقدات قبل أن تصل إلى الفرد عن طريق عملية التعلم، لابد لها من أن تتبلور وتتشكل في النفوس أولا، ثم تنتقل بعد ذلك عبر الأجيال، إلا أنها أثناء عملية انتقالها تكتسب سمات خاصة بكل مجتمع، فتتحول إلى أشكال جديدة نتيجة تأثرها بعدة عوامل اجتماعية ونفسية وبيئية.

فالناس في المجتمعات المتحضرة و المتقدمة، مازالوا يصرفون أموالا طائلة على السحر والشعوذة وما يرتبط بهما من خرافات ويؤمنون بدور الكائنات غير المرئية فيما يصيبهم من خير أو شر، كما يفسرون الظاهر التي يعجزون عن فهمها بردها إلى قوى وكائنات خفية، على الرغم من تناقض هذه الأفكار مع العلم والمنطق.

ب. الشعبي:

إن تحديد مفهوم هذا المصطلح يثير إشكالا كبيرا نظرا لتعدد تعارفه القديمة والحديثة، والاختلاف الواضح بينها الذي يصل إلى حد التناقض.

والأصل اللغوي للفظه"الشعبي" مأخوذ من كلمة "الشعب" المشتقة من الفعل الثلاثي "شعب".

وقد ورد في لسان العرب: الشعب: الجمع[1] و الشعب: القبيلة العظيمة، وقيل الحي العظيم يتشعب من القبيلة، وقيل: هو القبيلة نفسها، والجمع شعوب، والشعب: أبو القبائل الذي ينتسبون إليه أي يجمعهم ويضمهم.

والشعب ما تشعب من قبائل العرب والعجم، و كل جيل شعب، والشعب أكبر من القبيلة، ثم الفصيلة، ثم العمارة، ثم البطن، ثم الفخذ، قال الشيخ ابن بري: الصحيح في هذا ما رتبه الزبير بن بكار: وهو الشعب، ثم القبيلة، ثم العمارة، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم الفصيلة، قال أبو أسامة: هذه الطبقات على ترتيب خلق الإنسان، فالشعب أعظمها،

[1]– ابن منظور : المصدر السابق ج1 ص 497

مشتق من شعب الرأس، ثم القبيلة من قبيلة الرأس لاجتماعها، ثم العمارة وهي الصدر، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم الفصيلة وهي الساق[1].

فكلمة الشعب في الثقافة العربية القديمة كانت رمزا للوحدة والاجتماع و التماسك والقوة و السلطة، وهي الأصل أو النواة الأساسية التي تنتمي إليها مجموعة من القبائل المختلفة، ويظهر ذلك من خلال الترتيب الذي أورده ابن منظور للمجتمع العربي القديم حيث يمثل الشعب الرأس أو الطبقة الأولى أو القمة التي تتشعب منها باقي القبائل.

إن هذا الترتيب يعكس براعة العربي و قدرته على التشبيه المنطقي، فقد جعل طبقات المجتمع القبلي العربي في ترتبها بمثابة أعضاء الجسد الإنساني و الشعب باعتباره قمة هذه الطبقات، كالرأس في جسد الإنسان. وبالتالي فالشعب هو أرقى طبقة في المجتمع العربي القديم، وإليه تنتسب أعظم القبائل وأقواها.

ومهما يكن من أمر، فإن الفهم الشائع لهذه اللفظة، والذي طغى على كل المفاهيم الأخرى، هو دلالها على الطبقات السفلية أو الدنيا في المجتمع، وإشارتها إلى كتل الفلاحين وأهل الريف، مستثنية من ذلك طبقة البرجوازيين والمثقفين.

والمعتقدات الشعبية هي كل ما آمن به الشعب من ظواهر خيالية أو حقيقية، تتعلق أساسا بالأمور الغيبية وعوالم ما فوق الطبيعة، وهي تمثل جزاء لا يتجزأ من التراث الشعبي للأمم، كما أنها امتداد فكري وثقافي وعقائدي لما آمن به الأسلاف، ولذلك فإن دراسة المعتقدات الشعبية، و ما يرتبط بها من ممارسات و طقوس، ضرورة ملحة، لفهم عقلية الشعوب وتطورها الفكري والعقائدي عبر العصور.

ولا يزال الكثير من الأفراد في المجتمع سواء أكانوا مثقفين أو غير مثقفين يؤمنون بالكثير من المعتقدات الشعبية، كظاهرة زيارة الأضرحة والتبرك بالأولياء الصالحين، والاعتقاد في العين، والتفاؤل والتشاؤم، والتبصير، والاعتقاد بالجن والشياطين، وهي كلها معتقدات بأمور غيبية، الأمر الذي يجعل دراستها غاية في الصعوبة، ذلك أن الباحث يتعامل مع أمور مجهولة، غير ملموسة، تتداخل فيها كل المتناقضات، مما يجعله بحاجة إلى أسلحة يتزود بها لاقتحام هذا المجال المعقد من الدراسات، تتمثل في اكتسابه لمعارف

[1]– ابن منظور: المصدر السابق ص 500 /5

واسعة وشاملة لمختلف العلوم التي من شأنها أن تساعده في فهم هذه الظواهر وتفسيرها تفسيرا علميا بحتا.

ودراسة المعتقدات هي من اختصاص علم الفلكلور، باعتبار الفلكلور" المعتقدات والأساطير والعادات التقليدية الشائعة"[1].

فالمعتقدات تؤثر تأثيرا غريبا على سلوكيات الأفراد الاجتماعية والنفسية، وتلعب دورا فعالا في تكوين شخصياتهم، لذلك على الدارس للمعتقدات الشعبية أن يتسلح بمختلف المعارف، ويطلع على ما أمكنه الاطلاع عليه من العلوم حتى يتمكن من الغوص في أعماق هذه المعتقدات.

إن الجن في مخيلة الكثيرين عالما مليئا بالخوف والرهبة، عالما يضج بالمخلوقات الفظيعة و الشنيعة وغدت الأساطير الشعبية هي المصدر الفعال في تكوين وتغذية هذه الصورة عن الجن، ولعل السبب في انتشار تلك الظاهرة يعود إلى بعد الناس عن تلقي هذه المعرفة (المعرفة بالجن) من مصادر الشرع وتلقيها من أساطير وأحاديث الناس ولاسيما الكهنة و السحرة الذين يحاولون إضفاء نوع من الهالة على ما يقومون به من عادات وتصورات لم يصححوها بعد إسلامهم، فتناقلت الأجيال هذه التصورات والعادات إلى يومنا هذا لتصبح جزءا من الموروث الشعبي الذي يتحدث عن عالم الجن.

1.1.2- تعريف الجن

1. لغة:

تدور الدلالة اللغوية للفعل (جَنَّ) حول معنى التستر والاختفاء، تقول:جنّ الشيء يَجِنُّهُ جِنّا: ستره، وبه سُمّيّ الجِنُ، لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار، و منه سمي الجنين، لاستتاره في بطن أمه، واستجنّ فلان إذا استتر بشيء، و جن الميْت،جَنّا، وأجَنَّه: ستره.

والجنان هو القلب، لاستتاره في الصدر، وربّما سمّي الروح جَنَانًا، لأن الجسم يَجَنُهُ، والجنّةُ ما وراءك من السلاح، واستترت فيه، والجِنَّةُ: السُّترة، والجُنّةُ: الخُرقة تلبسها المرأة، فتغطي رأسها.

ويفيد الفعل (جَنّ) معنى الجّدة والنشاط والالتفاف، وجِنُ الشباب: جدّته ونشاطه، وجَنّ أوّل شيء: هو شدته، وجُنّت الأرض: إذا جاءت بشيء معجب، وجنون النبت، التفافه، وأرض مجنونة:معشبة، لم يرعه

[1]– هو لتكرانس إيكه: قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور، ترجمة د. محمد الجوهري،ود. حسن الشامي، دار المعارف، مصر ط2 1973.

وكلُّ مُسْتَجِنٌّ، فهو جنّيُ، وجانٌّ، وجنين، ويقال جَنَّ اللَّيْلُ، وأجَنَّةُ، وأجنَّ عليه، وغطّاه، بمعنى واحد، إذا استره، وكان أهل الجاهلية يسمون الملائكة جنا، لاستتارُهم عن العيون[1].

وقد عرف الدّميري الجنّ بقوله: "هي أجسام هوائية، قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، لها عقول وأفهام، وقدرة على الأعمال الشاقة[2] و يقول القزويني: "زعموا أن ا أحد، والجنة البستان، والعرب تسمي النخيل جنة[3]. والجِنُّ: ولد الجَانّ، وهم نوع من العالم سُموا بذلك لاختفائهم عن الأبصار، ولأنهم استُجنُّوا، فلا يرون، والجانّ، أبو الجِن، خلق من نار، ثم خلق منه نسله، والجان: ضرب من الحيات، أكحل العينين يضرب إلى الصّفرة، لا يؤذي، وهو كثير في بيوت الناس[4].

الجن حيوان ناري... من شأنه أن يتشكل بأشكال مختلفة، واختلف الناس في وجوده، فمنهم من ذهب، إلى أن الجن والشياطين مردة الناس، ومنهم من ذهب إلى أن الله تعالى خلق الملائكة من نور النار و خلق الجن من لهبها والشياطين من دخانها وأن هذه الأنواع لا يراها الناظر.

وهكذا تبدو صورة الجن مخلوقات شبحية نارية، سريعة التنقل الحركة، تنتمي إلى عالم غيبي، تعيش تحت الأرض، وتحب زيارة الأرض ليلا، وخاصة الأماكن المهجورة والمقابر، وهي جنس يقابل الإنس من ناحية، وتشمل الملائكة والشياطين والغول والسعلاة...و كل ما لا يقع عليه البصر منا نحيه أخرى، ويؤكد ذلك قول ابن عباس" الخلق كلهم أربعة أصناف، فخلق في الجنة كلهم، وهم الملائكة، وخلق كلهم في النار، وهم الشياطين، وخلق في الجنة و النار وهم الجن والإنس2.

2. اصطلاحا :

ورد في تعريف الجن أنها: "مخلوقات من لهيب نار السموم، وجعل الله لها قدرة التشكيل وبذلك يمكنها أن تحيى حياتنا، وتظهر بيننا على الأرض، وتخاطبنا ويمكنها أن تنزل قاع البحر"[5].

---

[1]– ابن المنظور: المصدر نفسه المادة نفس

[2]– كمال الدين محمد بن موسى الدميري: حياة الحيوان الكبرى دار القاموس الحديث للطباعة و النشر، مكتبة البيان، بيروت، د.ت، د.ط،185/1.

[3]– ابن منظور: لسان العرب مادة (جن)

[4]– ابن منظور: المصدر نفسه المادة نفسها

[5]– السيد الجميلي: السحر وتحضير الأرواح، دار الشهاب باتنة الجزائر، د.ت، د.ط، ص 111.

وهناك من قال:" الجن نوع من الأرواح العاقلة المريدة المكلفة على نحو ما عليه الإنسان، ولكنهم مجردون عن المادة البشرية، مستترون عن الحواس، لا يرون على طبيعتهم، ولا بصورتهم الحقيقية، ولهم قدرة على التشكل[1].

و"الجن مخلوق من مخلوقات الله تعالى، يفترق عن الإنسان والملاك، ولكن بينهم وبين بني آدم قسطا مشتركا من الصفات، مثل صفة العقل و التمييز، وصفة الحرية والقدرة على الاختيار بين الحق والباطل والصواب والخطأ، والخير والشر، ويباينون البشر في أشياء جوهرية أهمها الأصل، حيث أن أصل الجن يختلف عن أصل الإنس[2].

أ- أنواع الجن :

الجن أنواع وأصناف ومن ذلك:

1- إبليس :

علم جنس للشيطان، قيل هو من إبلس، بمعنى يئس وتحير وندم، وهو اسم يطلق على نفر ينتمي إلى طائفة من الملائكة، يقال لها الجن، وكان اسمه عزازيل[3]. كان من خزان الجنة، ورئيس الملائكة وسلطانها فعصى وكفر، فمسخه الله شيطانا ملعونا[4].

ويتضح ذلك في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ [5]﴾ والثانية ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾. [6] وهكذا فقد كان إبليس ملكا من الملائكة، عصى ربه، فهبط إلى الأرض، وقد خلط معظم الكتاب بين الشيطان وإبليس، واعتبروا هاتين الكلمتين من المترادفات، إلا أنه يمكن التفرقة بينهما من خلال كون الشيطان ملازما للإنسان"إذ أن مع كل إنسان شيطانا، وليس معه إبليس[7] وإضافة إلى الشيطان فإن إبليس عدة أسماء وألقاب منها: "أبو الجان، و الحارث، وعزازيل

---

[1]- السيد سابق، العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت، د.ط، ص 133.

[2]- مصطفى عاشور، عالم الجن : أسرار وخفاياه- مكتبة رحاب الجزائر، د.ت، د.ط، ص 12.

[3]- ابن منظور: لسان العرب مادة بلس تحقيق عبد الله علي الكثير و محمد أحمد حسب الله، دار المعارف القاهرة د.ت، الزبيدي تاج العروس من جواهر القاموس مادة بلس تحقيق علي شيرى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، شفيق معلوف عبقر ط3 منشورات العصبة الأندلسية، دار الطباعة و النشر العربية 1949/ ص 55.

[4]- الدميري: المرجع السابق ص 191

[5]- من سورة البقرة، الآية: 34.

[6]- من سورة الكهف، الآية: 50.

[7]- محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها 2ط، العربية للنشر والتوزيع تونس 1994/ ص64

وسوميا أو شوميا، ونائل، وأبومرة، وشمازيل، وأبوكدوس، وأبو لبينى، كما أن له ذرية وأبناء، عبر عنهم القرآن الكريم، بلفظ جنود إبليس و ذريته، وذلك بقوله: ﴿أَفَتَتَخِذُونَهُ وَذُرِيَتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوُ﴾. [1] ومن أبنائه "ثبير" صاحب المصائب والأعور صحب الزّنا، ومبسوط صاحب الكذب، وداسم الذي يدخل بين الزوجين، ويوقع الخصومة بينهما، وزلنبور صاحب السوق، ومنهم اللافس والولهان..... [2].

2- الشيطان:

الشيطان لغة هو: روح شرير مُغْوٍ، والشاطن الخبيث، والشيطان، فيْعَال من شطن، إذا بَعُدَ، والشيطان البعيد عن الحق، وهو كل عات متمرد من الجن والإنس، والدواب وكل شيء والشيطان اسم يطلق على نوع من الحيات، له عرف قبيح المنظر، وقد تسمى الحية الدقيقة الخفيفة شيطانًا وجانًا[3] وقيل الشيطان الحية الخبيثة، وقد ورد عن الرسول ﷺ "حرجوا عليه فإن امتنع وإلا فاقتلوه فإنه شيطان"[4] والشيطان هو (Satan) في الإنجليزية « Diabolos » في الإغريقية وهو ساطان في العبرانية ومعناه عدو ومشتك في هذه اللغة[5]، فتلتقي معاني كلمة شيطان في اللغات المختلفة عند معنى الخبث والتمرد، والبعد عن رحمة الله، وبسب خبثه سمي شيطانا.

3- الغول:

غال في اللغة: هلك، والغول : فيقال، قتل فلاناً غيلةً، أي قتله في اغتيال وخفية، يقال لكل ما يُهْلِكُ الإنسان غول، الغول: الحبس، والتغول: التلون، فالمرأة تتغول، أي تتلون، وكل ما يغتال الإنسان من جن أو شيطان أو سبع، غول، ومن معاني الغول المفازة، لأنها تغتال كل من يمر بها، ويقال امرأة ذات غول أو طويلة لذلك تغول الثياب، فتقصر عنها، ويقال كذلك للمنطقة المنخفضة من الأرض غول، والغول: الصداع

---

[1]- من سورة الكهف ، الآية: 50.

[2]- الثعالبي : قصص الأنبياء المسمى (عرائس المجالس) دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، د.ط، 1994/ ص 36، القزويني المصدر السابق ص 387/ 388.

[3]- ابن منظور: المصدر السابق مادة شطن، الثعالبي ثمار القلوب في المضاف المنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط1 دار المعارف القاهرة 1965/ ص 422، القرطبي الجامع لأحكام القرآن 15- دار الكتب العربية للطباعة و النشر القاهرة، د.ط، 1967/ ص 87.

[4]- النيسابوري أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشري، صحيح مسلم 4 دار إحياء الكتب العربية لبنان 1757، د.ط، د.ت.

[5]- جواد علي، المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام 6 ط2 العلم للملايين، بيروت مكتبة النهضة بغداد 1976/ ص 730.

والسكر، والمشقة، والخيانة، والذكر من الجن، ويقال الغول ساحرة الجن والحية والجمع أغوال[1].

أما في الاصطلاح فالغول من أهم أنواع الجن التي سيطرت على مخيلة الإنسان الجاهلي خاصة، وهو اسم لكل شيء من الجن يعرض للسفار، ويتلون في ضروب الصور والثياب، ذكرا كان أم أنثى، إلا أن أكثر الكلام على أنه أنثى[2] يقو ل الجاحظ:" إن الجنية إذا تعرضت و تلونت، وعبثت بالإنسان شيطانه، ثم غول، أي أن الغول من الشياطين"[3]

4- السعلاة:

من أنواع الجن التي تتماثل مع الغول، في كونها عنوان الخطر المجهول وهي "من نساء الجن، تتغول لتفتن السّفّار، والمرأة إذا كانت جديدة الطرف والذهن، سريعة الحركة، ممشوقة ممحصة، سميت سعلاة[4] و"السعلاة ساحرة الجن[5] ويرى الدميري" أنها أخبث الغيلان"[6].

وذهب القزويني إلى أنها نوع من المتشيطنة، مغايرة للغول[7]. ومن العرب من يرى أن السعلاة ما يتراء للناس بالنهار والغول ما يتراء لهم بالليل[8].

5- جِنَّانُ البيوت:

بجيم مكسورة ونون مفتوحة مشددة، جمع جان" وهي الحية الصغيرة، وقيل الدقيقة الخفيفة البيضاء[9]، وهي ما يطلق عليها عمار البيوت، وهم سكان البيوت من الجن، كما جاء في قول رسول الله ﷺ "إن لهذه البيوت عوامر، فإذا رأيتم منها شيئا، فحرّجوا عليها

---

[1]- ابن منظور : المصدر السابق مادة "غول"، الزبيدي المصدر السابق مادة"غول" ابن دريد الإشتقاق 2 تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ط1 دار الجيل بيروت 1411هـ، 1991م ص 188.

[2]- الجاحظ : الحيوان-6- تحقيق عبد السلام هارون ط3 المجمع العربي الإسلامي دار إحياء التراث لبنان 1969/ ص 158، محمود سليم الحوت في طريق الميثولوجيا عند العرب، دار النهار للنشر بيروت، د.ط، 1983/ ص 221

[3]- الجاحظ : المصدر نفسه 6 ص 233

[4]- الجاحظ: المصدر السابق 6/ 162، محمد عجينة المرجع السابق ص 14

[5]- سميح دغيم : أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام ط1 دار الفكر اللبناني بيروت 1959 / ص 159

[6]- الدميري: المرجع السابق 2 / 18

[7]- القزويني: المصدر السابق ص 392

[8]- الدميري: المرجع نفسه 2 / 20 ، شفيق معلوف المرجع السابق ص 75

[9]- الدميري: المرجع نفسه 1 ص 196

ثلاثا، فإن بدالكم بعد ذلك،فاقتلوه"[1]، والعوامر: الحيات التي تكون في البيوت، واحدها عامرٌ وعامرةٌ، وقيل سميت عوامر لطول أعمارها[2]، وقد تنزل في الأودية، إذ حكي بعض الرعاة" أنه نزل بواد بغنمه، فسلب ذئب شاة من غنمه، فقام ورفع صوته، ونادى: يا عامر الوادي، فسمع صوتا، يقول: ياسر حان، ردّ عليه غنمه، فجاء الذئب بالشاة وتركها وذهب[3].

6- التابع:

الجن أو الشيطان يتبع الإنسان أينما كان، يقدم له ما يريده، إذا كان خيرا ويصرعه، ويسبب له الصَرَع و الجنون، إن كان شريرا، و لا تزال هذه المعتقدات شائعة في الأوساط العربية، فالجن مخلوقات خفية، سخرت لفتنة البشر[4].

وكما أن لكل إنسان ملكاً موكلاً به، له كذلك قرنان من الشياطين، بدليل ما ورد من حديث لعائشة "أن النبي عليه السلام خرج من عندها ليلا ورجع، فتوسم فيها الغيرة، فقال: ما لَكِ يا عائشة، أغِرْتِ؟ فقالت، وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ، فقال رسول الله ﷺ: لعن الله شيطانك، فقالت يا رسولا لله، أو معي شيطان، قال: نعم، ومع كل إنسان، قالت: ومعك يا رسول الله، قال: نعم، ولكنّ ربّي عزّ وجلّ أعانني عليه[5]﴾.

فقد أجمعوا أن لكل إنسان قرينا من الشيطان، إلا أن المقصود بالتابع في المفهوم الجاهلي، وقد يختلف عن هذا، لأنه هو الذي يتبع الكاهن يعلمه كهانة أو سحراً، ويتبع الشاعر يلقنه شعراً[6]

7- الرئي:

وهو جني يتعرض للرجل، يريه كهانة وطبا، فهو التابع الذي يرون أنه "إذا ألف الجني إنساناً وتعطّف عليه، و خبره ببعض الأخبار، وجد حسه،ورأى خياله، قالوا معه رئي من

---

[1]- النيسابوري أبو الحسين مسلم بن حجاج القشري: المصدر السابق 4/ 1757

[2]- ابن منظور، المصدر السابق، مادة عمر.

[3]- القزويني المصدر السابق ص 398، محمد عجينة المرجع السابق ص 45/ 46

[4]- محمود سليم الحوت: المرجع السابق ص 225

[5]- الشبلي آكام المرجان: في غرائب الأخبار وأحكام الجان ، تحقيق أيمن البحيري، ط1 مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت- لبنان 1995 / ص 26

[6]- جواد علي: المرجع السابق 6 / 759

الجن[1]، وعندما رأى القرشيون الرسول عليه السلام وسمعوا ما جاء به "اتهموه أن معه رأيا من الجن فقالوا: إنهم مستعدون أن يلتمسوا الطّبّ والتعاويذ كي يبرأ من علّتّه[2]

8- الهاتف: نوع من الجن "يهتف بصوت مسموع، وجسم غير مرئي، يقدم النصح والإرشاد للناس، أو يحذرهم من أضرار، توشك أن تلحق بهم[3] وينسب إليه ما يدل على أنه يقدر

نوع من الجن "يهتف بصوت مسموع، وجسم غير مرئي، يقدم النصح والإرشاد للناس، أو يحذرهم من أضرار، توشك أن تلحق بهم[4] وينسب إليه ما يدل على أنه يقدر على ما لا يقدر عليه إنسان، فينقل الأخبار عبر الجبال و القفار، بسرعة غريبة، ويأسى على ما ينزل بالكرام من حوادث، وقد يبشر بميلاد[5] كما ورد في رواية مولد كاهنة قريش الأم سوداء بنت زهرة من بني كلاب، إذا كان من عادة العرب وأد البنت، إذا ما جاءت إلى الوجود ناقصة التكوين، ولما كانت تلك الكاهنة، قد ولدت على بعض هذه الصفات، و لما رأوها كذلك، أمر والدها بوأدها، فأرسلها مع من جهز لها في الخلاء، وهمّ بدفنها، وإهالة التراب عليها، فسمع هاتفاً، يقول: لا تئد الصبية وخلّها البرية، فالتفت إلى الخفاء، فلم يرى شيئا فعاد ليدفنها، فسمع الهاتف يسجع سجعا كهنوتيا يمنعه من وأدها، فكان أن عاد بها إلى أبيها، وأخبره بما أشار إليه الهاتف، فتركها حتى صارت وأصبحت كاهنة قريش[6]

---

[1]- الجاحظ: المصدر السابق 6 / 203، عبد الرزاق حميدة: الشياطين الشعراء، مكتبة الأنجلو المصرية ص 225

[2]- محمود سليم الحوت : المرجع نفسه، ص 225

[3]- الجاحظ: المصدر السابق 6 / 202، جواد علي، المرجع السابق 6 / 736

[4]- الجاحظ: المصدر السابق 6 / 202، جواد علي، المرجع السابق 6 / 736

[5]- جواد علي : المرجع نفسه 6 / 736

[6]- شوقي عبد الحكيم: المرجع السابق، ص121- 122

9- العفريت:

"هو الخبيث المارد من الشياطين"[1] وقيل بأنه شيطان عفريت، ومنه في الحديث: إن الله تعالى يبغض العفريت النفرية وهو الداهي الخبيث الشرير[2] وورد في القرآن الكريم ما يثبت شيطانيته، وخبثه وتمرده، وقدرته على الإتيان بخوارق الأمور، وتجسد عمل العفريت في قدرته على نقل عرش بلقيس، حينما وفدت زائرة لسليمان "عليه السلام" في بيت المقدس، وطلب سليمان من الجن أن يحضروا عرشها[3]، فقال تعالى على لسان عفريت ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ"[4]﴾ فهو يعتز ويفتخر بقدرته، و العفريت هو الداهية، الذي يعفر أقرانه، و هو عنيد نصّات إلى الناس لا يسترق السمع إلا جهاراً[5] وهو من المردة الذين يستمعون أخبار السماء من الملائكة ويلقونها إلى الكهنة[6].

ويبدو أنه كان صريحا على مطاردة المؤمنين من الرجال، بدليل ما أورده الدميري من حديث الرسول الله ﷺ" إن عفريتا من الجن، تفلت علي البارحة، ليقطع علي صلاتي، فقذعته أي خنقته[7]

10- القطرب :

هو الذكر من السعالي، وقيل هو من صغار الجن، وقيل القطارب صغار الكلاب، وقيل القطربة على صورة الهرة[8] و هو طائر يجول الليل كله، لا ينام، فقالوا: أجود من قطرب[9]. وورد ذكره في الحديث عن أصناف الجن "وهم أجناس منهم اجناس يأكلون ويشربون، ويتناكحون، وهم السعالي والغيلان والقطارب، وأشباه ذلك[10]

11- الشق:

جنس من المتشيطنة، صورة الواحد منهم على نصف صورة الإنسان، له عين واحدة ورجل واحدة، أو هو حيوان كالإنسان، له عين واحدة، يخرج من الماء ويتكلم، وقيل إنه لكل واحد منهم نصف بدن، ونصف رأس، ويد ورجل، كأنه إنسان، شق نصفين، يقفز على رجل واحدة قفزا شديدا،

---

[1]- الدميري: المرجع السابق 2 /107، ابن منظور المصدر السابق مادة "عفر"، عبد الرزاق حميدة المرجع السابق ص 54

[2]- البخاري صحيح البخاري(3) دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان 3/ 136

[3]- الدميري: المرجع نفسه 2/ 108

[4]- من سورة النمل، الآية 39.

[5]- داود جرجس داود: أديان العرب قبل الإسلام ط1 المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع 1981/ ص368

[6]- الجاحظ: المصدر السابق 6 / 230

[7]- البخاري 4 /197

[8]- القزويني: المصدر السابق 2 /138

[9]- الدميري: المرجع السابق 2 / 222، ابن منظور المصدر السابق مادة قطرب

[10]- الدميري: المرجع نفسه 1 / 55

وكثيرا ما يعرض للرجل المسافر، إذا كان وحده، فربما أهلكه ضربا وقتلا، ومن ذلك ما حدث مع علقمة بن صفوان الذي عرض له الشق، فقتل كل منهما الآخر[1].

12- المذهب:

شيطان ضعفة النساك و أغبياء العُبّاد، يُسرِجُ لهم النيران، ويضيء لهم الظلمة، ليفتنهم، ويريهم العجب، وقيل إن بعض العباد نزل صومعة، يتعبد فيها، فأتاه شخص بسراج وطعام، فتعجب العابد من ذلك، فقال له شخص بالصومعة، إنه لَمَذْهَب، يريد أن يخيل لك، أن ذلك من كرمه، والله إني لأعلم إنه شيطان[2]

13- الخابل و الخبل:

الخَبل فساد الأعضاء، حتى لا يدري كيف يمشي، وَخَبَلَ الحب قلبه، إذا أفسده بخبله، وأصابه خَبَلٌ أي فالج، و فساد أعضاء وعقل، والخَبَلُ بالتحريك الجن، والخَبْلُ: الإنس، وخُبَلت يده، إذا شُلَّت، والخَبَلُ: ضَرْبٌ من الجن، يقال لهم الخابل[3].

والخَبْلُ والخَبَلُ: الجنون، يقال به خَبَلٌ أي مسٌّ، وهذه المعاني تشترك في معنى واحد، وهو الفساد والإتلاف والجنون.....فالخَابِلُ والخَبْلُ: نوع من الجن يخبلون الناس[4] أي يذهبون بعقولهم و يفسدونها والمختبل الذي اختبل عقله، أي جُنَّ. وقد خبله الشيطان والحزن، والحُب والدّاء خبلاً، فالمعاني المتماثلة و المشتركة، تؤكد كون الخبل الذي تقوم به هذه الكائنات هو المسّ، والمسّ نوع من الجنون.

---

[1]- الجاحظ: المصدر نفسه 6 / 206، الدميري المرجع نفسه 2 /46

[2]- الأبشهي المستطرف في كل فن مستطرف، المكتب العالمي للبحوث، طبعة جديدة ومنقحة، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان 2 /157، الدميري: المرجع السابق 155/2، د.ط، د.ت.

[3]- ابن منظور: المصدر السابق مادة خبل، الزبيدي المصدر السابق مادة خبل.

[4]- الجاحظ : المصدر السابق 6 / 195.

ب- حقيقة الجن:

لقد اعتقد العرب في الماضي أن للجن سلطانا في الأرض، فكانوا إذا تواجدوا بواد أو قفر استعاذوا بهم، وكانوا يعتقدون أنها تعلم الغيب وتخبر به الكهنة.

"والاعتقاد في الجن على هذا النحو أو شبهه كان متفشيا في كل الجاهلية، ولا تزال الأوهام والأساطير من هذا النوع تسود بيئات كثيرة إلى يومنا هذا"[1].

وإذا رجعنا إلى القرآن وجدنا أن الجن حقيقة موجودة يقول تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونِ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا"[2] ﴾، وأن هؤلاء الجن لا يفيدون ولا يقدمون خدمات لمن يطلب منهم مساعدة- من الإنس- بالعكس يزيدونهم تعبا لقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنَّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا [3] ﴾، كما أن الجن لا يعلمون الغيب فقد انقطعت تلك الصلة التي كانت لهم بالسماء لقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَ شُهُبًا،وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَعِدَ للسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَدًا، وَ أَنَّا لَا نَدْرِى أَشَرٌ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُهُمْ رَشَدًا [4] ﴾.

ويبين لنا الله تعالى في سورة الرحمن المادة التي خلق بها الجن حيث قال تعالى: ﴿ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالفَخار، وَخَلَقَ الَجانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ [5]﴾. ونحن نعرف أن هذا الخلق مخلوق من مارج من نار، وأنه مزوّد بالقدرة على الحياة في الأرض وفي باطن الأرض وفي خارج الأرض أيضا، وأنه يملك الحركة في هذه المجالات بأسرع مما يملك البشر،و أن منه الصالحين المؤمنين، ومنه الشياطين المتمردين، وأنه يرى بني آدم وبنو آدم لا يرونه- في هيئة

---

[1]- سيد قطب: حقيقة الجن في ظلال القرآن- دار الفضيلة للنشر والتوزيع و التصدير القاهرة ص 54، د.ط، د.ت.

[2]- من سورة الجن، الآية 11.

[3]- من سورة الجن، الآية 6.

[4]- من سورة الجن، الآيتان 9 و10.

[5]- من سورة الرحمن، الآيتان 14 و15.

الأصلية– وكم من خلائق ترى الإنسان ولا يراها الإنسان وأن الشياطين منه مسلطون على بني الإنسان يغرونهم ويضلونهم، و هم قادرون على الوسوسة لهم والإحياء بطريقة لا نعلمها، وأن هؤلاء الشياطين لا سلطان لهم على المؤمنين الذاكرين، وأن الشيطان مع المؤمن إذا ذكر الله خنس وتوارى وإذا غفل برز فوسوس له ! وأن المؤمن أقوى بالذكر من كيد الشيطان الضعيف، وأن عالم الجن يحشر مع عالم الإنس، ويحاسب، ويجازى بالجنة وبالنار[1].

لقد ذهب السيد قطب في تعريف الجن وبيان حقيقتهم انطلاقا من القرآن الكريم فهم مخلوقون من النار وفيهم المؤمنين البررة كما فيهم الكافرين الفجرة وأنهم يروننا من حيث لا نراهم.

ج- الجن في المعتقد الشعبي:

إن الدارس للتراث الشعبي العربي يلاحظ تواجد كبيرا لهذه الكائنات في الموروث الشعبي، بأشكاله المختلفة، فحكايات الجن و العفاريت و المعتقدات التي انتشرت في الأوساط الشعبية منذ القدم(قبل ظهور الإسلام بكثير) ومازالت موجودة إلى يومنا، بالرغم من التطور العلمي الكبير الذي عرفته البشرية.

وأغلب هذه المعتقدات المتصلة بالجن في المجتمعات العربية الإسلامية والمستمدة من الدين الإسلامي ومسلماته العقائدية، لم تفقد الكثير من سماتها الأساسية التي اكتسبتها بتأثرها بالتراث العقائدي الذي ورثته عن ديانات أخرى(ديانات ما قبل الإسلام كالمسيحية واليهودية بالإضافة إلى المعتقدات القديمة المترسبة في الذهنية العربية، والناتجة عن تأثرها بمعتقدات المجتمعات الأخرى التي احتكت بها على مر العصور.

والجن مخلوقات موجودة في الواقع، لها صفاتها وخصائصها التي تميزها عن غيرها، ولها عالمها الخاص الذي تعيش فيه، ولكونها مخلوقات غير مرئية فقد استقرت في الخيال البشري، وجعلته يتفنن ويبالغ في وصفها وتصويرها، ويخول لها من القوى الغريبة والقدرات

[1]– سيد القطب : المرجع السابق ص 17.

الخرقة ما لا وجود له ف دنيا الواقع، ولم يقف عند هذا الحد، وإنما تمادى في خياله، فخلق من العدم مخلوقات أخرى، ونسبها إلى عالم الجن كالغول والسعلاة والشق.

انطلاقا مما ذكر سابقا، يمكن أن نقسم الجن إلى صنفين رئيسين: الجن الخالص، وهو الصنف الموجود في الواقع، وهذا استنادا إلى الدين الإسلامي، حيث ذكرت كلمات: الجن، المارد، العفريت، الشيطان، إبليس في القرآن الكريم، خاصة قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع بلقيس ملكة سبأ، غير أن الخيال الشعبي أضفى على هذه المخلوقات صبغة خاصة، حيث أعطاها خصائص وقدرات لا يقبلها العقل ولا المنطق،أما الصنف الثاني فهو الجن الغير الخالص كالغول والشق والتابع و السعلاة والرئي، من خلال هذه التعريفات نستنتج أن الجن عالم قائم بذاته،يختلف عن عالم الإنس وعالم الملائكة، وإذا كانوا يشتركون مع الإنسان في صفات معينة، كالعقل والإدراك والقدرة على التمييز بين الخير والشر،إلا أنهم يختلفون عن الإنسان في أمور كثيرة وجوهرية، أهمها الأصل، فالجن مخلوقون من نار، بينما الإنسان من طين، بالإضافة إلى استتارهم عن الحواس، وظهورهم في غير صورتهم الحقيقية لقدرتهم على التشكل في أي الصور شاءوا.

2.1.2- الشيطان:

أ. لغة: شَطَنَ: شَطْناً: خالفه عن نيته ووجهه: أبعده، والرجل بَعُد عن الحق وغيره، شيطن شيطنة وتشيطن: فَعَلَ فعل الشيطان. ج شياطين: روح شرّير سمي بذلك لبعده عن الخير والحق، كل عات متمرد من انس أو جن أو دابة ومنه" شياطين العرب" أي متمردوها[1].

ب. اصطلاحا: والأرجح عندنا أن الكلمة أصلية في اللغة العربية قديمة فيها، لا يبعد أن تكون أقدم من نظائرها في اللغة البابلية، لأن اللغة العربية قد اشتملت على كل جذر يمكن أن يتفرع منه لفظ الشيطان...ففيها مادة شط وشاط وشوط وشطن، وفي هذه المواد معاني البعد و الضلال والتلهب والاحتراق[2].

---

[1]– المنجد في اللغة و الإعلام مادة شطن ص 388.

[2]– عباس محمود العقاد–إبليس– منشورات المكتبة العصرية صيدا–بيروت ص 46، د.ط، د.ت.

والشيطان أيضا يطلق على كل عات متمرد وقد أطلق على هذا المخلوق لعتوه وتمرده على ربه(الشيطان) وأطلق عليه لفظ الطاغوت[1] قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا [2] ﴾، يفهم من هذين القولين أن الشيطان كلمة تطلق على كل ما هو خبيث ووضيع ويُكنىّ بها أيضا كل متمرد عاصٍ إنساناً كان أو غير إنسان وهو أيضا الروح الشريرة البعيدة عن الحق وإبليس اسم علم خاص وهو اسم الشيطان الذي أغوى آدم ويتربص بأبناء آدم دوما.

أ- الشيطان في الديانات السماوية :

الشيطان أو الإبليس، بالعربية "سيتن"، بالإغريقية "سيتاناس"، وبالآرمية "سيتانا" مصطلح يشير في الآرمية إلى أحد أعيان الجن المقربين من الله إلى أن داخله الغرور فلعن وطرد من السماء، وفي الديانات السماوية الشيطان كيان شرير كان أحد المقربين من الله ثم تمرد عليه فطرد من رحمته إلى يوم القيامة[3].

تشترك جميع الديانات في اعتبار الشيطان كائن شرير ومؤذ وهو قبل أن يكون كذلك كان كائنا له مكانة كبيرة وحظوة عند الله إلى أن دخله الغرور فتكبر و عصى ربه حين أمره بالسجود.

1- الشيطان في الديانة العبرية :

أما الديانة العبرية ... فقد كانت مشوبة بالوثنية، ولم تستقم على عقيدة الإله الواحد المنزه ....ولبثوا زمانا يصفون الإله بالصفات التي ألصقتها الوثنية به..كانوا يتوقعون من الإله أعمالا كأعمال الشيطان، وينسبون العمل الواحد تارة إلى الشيطان، وإلى الإله تارة أخرى، و لم يذكر الشيطان في كتاب من كتب اليهود قبل نفيهم إلى أرض بابل، ثم ذكر فيها بمعنى الخصم في القضية، وبمعنى المقاوم في الحرب[4].

---

[1]- عمر سليمان الأشقر-عالم الجن والشياطين- ص 13

[2]- من سورة النساء، الآية 76.

[3] -شيطان وبيكيديا الموسوعة الحرّةHtm-

[4]- عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص 7.

لم تمنح الديانة اليهودية الإله حقه من العبادة والتنزيه، بل أنها ذهبت أبعد من ذلك حيث ألصقت به كل الصفات التي يتصف بها الشيطان، لقد كانت عقيدتهم مشوبة بالوثنية التي ورثوها عن الأمم التي احتكوا بها واندمجوا فيها. فالإله عندهم يقوم بنفس العمل الذي يقوم به البشر قد يصيب وقد يخطأ.

-2- <u>الشيطان في الديانة المسيحية</u> :

وفي المسيحية عرف إبليس باسم" الشيطان"و "روح الضعف" و"الشرير" و"بعلزبول" وقد يعنون بهذا الاسم الأخير رئيس الشياطين، وذكرت الأناجيل أن المجانين الذين شفاهم السيد المسيح كانوا صرعى الشيطان.... ولزعماء المسيحية وآبائها وفلاسفتها اللاهوتيين أقوال وآراء في الشيطان أو إبليس لا تخرج عن كونه يمثل الشر في هذا العالم، وأنه هو السبب في تلبيس البشرية في الخطيئة، وأن مهمته التضليل والإبعاد عن طاعة الله، وأن موقف الإنسان منه إما الخضوع لسلطانه وإما الارتفاع بنفسه من الظلم إلى النور، ومن الشيطان إلى الله[1].

لقد أطلقت أسماء مختلفة على كائن شرير يعيث فسادا في الأرض فهو تارة الشيطان بمعنى المقاوم لمشيئة الله وهو أيضا إبليس ذات الأصل اليوناني diabolos ومعناها المشتكي، و الشيطان بحسب المسيحية هو كائن روحي له أتباع يخضعون لسلطانه وينفذون أوامره، وكان من الملائكة المقربين من الله غير أن غروره وكبريائه أسقطاه إلى المرتبة السفلى التي يستحقها وله قدرات أقوى بكثير من قدرات الإنسان العادي وله ملكات عقلية كالإدراك والتميز و التذكر.

-3- <u>الشيطان في الإسلام</u> :

وغواية الشيطان في الإسلام لا تخلق الخطيئة ولا تعفي منها، وليس في الإسلام ذنب يرثه أحد من أبيه أو يورثه لبنيه، وكلما ذكرت في القرآن الكريم غواية لإبليس ذكر معها أنه ما كان له عليهم من سلطان. [2]

لقد عصى الشيطان ربه حين أمره بالسجود لآدم فلعنه إلى يوم الدين وطرده من الجنة بقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ [3]﴾.

لقد برّر إبليس امتناعه للسجود لآدم لـ:

---

[1]- عباس محمود العقاد: المرجع السابق 8-9

[2]- عباس محمود العقاد: المرجع السابق ص9

[3]- من السورة البقرة، الآية 34.

1- عدم اقتناعه بأن يكون آدم خليفة الله في الأرض حيث يقول عزّمن قائل: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء [1] ﴾ .

2- تكبر إبليس واستهانته بالمادة التي خلق الله منها آدم وهي الصلصال والتباهي بالنار التي خلق منها وتفضيلها على الطين قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ [2] ﴾. لقد أخرج إبليس من الجنة وأنزل إلى الأرض، ولكن قبل خروجه طلب من الله إن يمهله إلى يوم يبعثون فاستجاب لطلبه قال تعالى: ﴿ قَالَ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ إِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ ۞ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ [3] ﴾"قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۞ إِلَى يَومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ [4] ﴾.

ب- تدخل الشيطان في حياة الآدميين :

يتدخل الشيطان في كثير من الأحيان لينغص حياة الآدميين ويفسد حياتهم:

1- الإشراك بالله:

يعمل الشيطان جاهداً ليكفر الإنسان فإذا ما كفر فإنه يتبرأ منه قال الله تعالى:

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ [5] ﴾.

---

[1]- من السورة البقرة، الآية 30.

[2]- من السورة الحجر، الآية 12.

[3]- من السورة الأعراف، الآية 14-15-16-17.

[4]- من السورة الحجر، الآيات 36، 37، 38.

[5]- من السورة الحشر، الآية 16.

2- مشاركتهم في المال و الولد:

لقد طلب الشيطان من الله أن يمهله إلى يوم القيامة فاستجاب طلبه إلى حين حيث يقول عزّ من قائل: ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا [1] ﴾.

3- مشاركتهم السكنى و الطعام:

"ومن الأذى الذي يجلبه الشيطان للإنسان أن يعتدي على طعامه وشرابه فيشركه فيهما، ويشركه في المبيت في منزله، ويكون ذلك منه إذا خالف العبد هدي الرحمن، أو غفل عن ذكر الله، أما إذا كان ملتزما بالهدي الذي هدانا الله إليه، لا يغفل عن ذكر الله، فإن الشيطان لا يجد سبيلا إلى أموالنا وبيوتنا"[2].

تصير مشاركة الشيطان للإنسان-أكيدة- في الأكل و المبيت وسائر الأعمال متى نسي أن يسمي قبل المبادرة في أي منها و لكن ذكر اسم الله عليه فإن كل شيء يحرم على الشيطان.

روى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال: كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعاما لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ، فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرة طعاما، فجاءت جارية كأنها تدفع، فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابي كأنما يدفع، فأخذ بيده، فقال رسول الله ﷺ: "إن الشيطان ليستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها، فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحلّ به، فأخذت بيده، والذي نفسي بيدي إن يده في يدي مع يدها"[3].

---

[1]- من السورة الإسراء، الآية 64.

[2]- عمر سليمان الأشقر: المرجع السابق ص 60

[3]- رواه مسلم: 3 / 1597 ورقمه 217

وقد قال ﷺ: "إذا دخل الرجل إلى بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا لم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت ولعشاء"[1].

و قد أمرنا الرسول الله ﷺ أن نحفظ أموالنا من الشيطان وذلك بإغلاق الأبواب وتخمير الآنية، وذكر اسم الله، فإن ذلك حرز لها من الشيطان ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: "أغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا، وأوكوا قربكم، واذكروا اسم الله، وخمروا آنيتكم: واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئا، وأطفئوا مصابيحكم"[2].

4- سعيه لإحزان بني آدم :

ورد في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:" إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنها هي من الله، فليحمد الله عليها، وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره، فإنما هي من الشيطان، فليستعيذ من شرها، و لا يذكرها لأحد، فإنها لتضره"[3].

وقد جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله رأيت في المنام كأن رأسي ضرب فتدحرج فاشتدت على أثره: فقال رسول الله ﷺ للأعرابي: لا تحدث الناس بتلاعب الشيطان بك في منامك، قال جابر سمعت النبيﷺ بعد يخطب، فقال : لا يحدثن أحدكم بتلاعب الشيطان في منامه. [4]

لقد نبهنا الرسول ﷺ إلى أمر مهم وهو أن الشيطان يسعى جاهدا إلى نشر الحزن في نفوسنا وأفئدتنا وحتى نحن نيام فإذا رأى أحدنا ما يحزنه فعليه أن لا يخبر به أحدا لأن ذلك من الشيطان ولن تضره تلك الرؤيا بإذن الله.

---

[1]- رواه مسلم: 3 / 1598 ورقمه 2018

[2]- رواه مسلم: 3 / 1594 ورقمه 2012

[3]- رواه البخاري: 12 / 369 و رقمه 6958

[4]- رواه مسلم

5- محاولة في أن يفسد عليه عبادته:

إذا لم يستطع الشيطان أن يصدّ بني آدم عن الطاعات، فإنه يجتهد في إفساد العبادة و الطاعة، كي يحرمهم الأجر و الثواب، ومن ذلك أن الصحابي عثمان بن أبي العاص أتى إلى النبي ﷺ فقال:" إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي، فقال رسول الله ﷺ: ذلك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه وتفل على يسارك ثلاثا، قال: فعلت ذلك فأذهبه الله عني"[1].

فإذا دخل العبد صلاته أجلب عليه الشيطان يوسوس له، ويشغله عن طاعة الله، ويذكره بأمور الدنيا، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: " أن رسول الله ﷺ قال: إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى النداء أقبل حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر، حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى"[2]

6- الحلم من الشيطان:

للشيطان قدرة على أن يرى الإنسان في منامه أحلاما تزعجه وتضايقه بهدف إحزانه فقد أخبر الرسول ﷺ: أن الرؤى التي يراها المرء في منامه ثلاثة أنواع فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: " الرؤيا ثلاثا: فبشرى من الرحمن، وحديث نفس، وتخويف من الشيطان"[3] وفي رواية أخرى عن عوف بن مالك: " إن الرؤيا ثلاث منها: أهاويل من الشيطان، ليحزن بها ابن آدم"[4].

و في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها، فإنها هي من الله، فليحمد الله عليها، وليحدث بها، وإذا رأى غير

---

[1]- رواه مسلم: 4 / 1728 ورقمه 2203

[2]- رواه البخاري 2 / 84 و رقمه 608

[3]- رواه ابن ماجة: 1 / 340 ورقمه 3154

[4]- رواه ابن ماجة: 1 / 340 ورقمه 3155

ذلك مما يكره، فإنما هي من الشيطان، فليستعيذ من شرها، ولا يذكرها لأحد، فإنها لا تضره"[1]

7- إحراق المنازل بالنار :

وذلك بواسطة بعض الحيوانات التي يغريها بذلك، ففي سنن أبي داود بإسناد صحيح أن الرسول ﷺ قال: "إذا نمتم فأطفئوا سُرُجكم فإن الشيطان يدلّ مثل هذه (الفأرة) على هذا (السراج) فيحرقكم"[2]

ج- عبادة الشيطان:

تخلفت – بعد الأديان الكتابية– نحلة تتسم بالشذوذ المطبق في جميع أطوارها، لأنها شاذة في انتسابها إلى أصولها، وشاذة في وسائل نشرها والدعوة إليها.

موضعها شاذ وهو عبادة الشيطان، وانتسابها إلى أصولها شاذ لأنها تأخذ من الهندية والمجوسية و الشمانية واليونانية وأديان الحضارة الأولى و الأديان الكتابية.

وجميع مقوماتها وأركانها شذوذ في شذوذ..... وتعمل أحيانا على مرضاة الشيطان... ووسائل الدعوة إليها شاذة لأنها سرية يبالغون في كتمانها مع امتداد معابدها من آسيا الوسطى إلى أوربا الغربية وإفريقية الشمالية[3].

لقد ظهرت إلى الوجود عبادة جديدة تتخذ من إبليس –عليه لعنة الله– معبودا لهاو إلاهًا، يتقرب إليه عبادة بأنواع التقربات، واخترعوا لهم طقوسا وترهات سموها عبادات لكسب وده وطلب رضاه ومبادئها خليط من حضارات و ديانات كتابية.

- **نشأة هذه العبادة:**

لقد اختفت تلك العبادة لزمن طويل، ولكنها بدأت تعود في العصر الحديث بالقوة حتى وجدت منظمات شيطانيه لعبدة الشيطان كمنظمة (ONA)ف ي بريطانيا و(OSV) في ايرلندا ومعبد ست في أمريكا، وكنيسة الشيطان وهي أكبر هذه المنظمات جميعا، و قد أسسها الكاهن

---

[1]– رواه البخاري: 12 / 369 ورقمه 6958

[2]– صحيح سنن أبي داود: 3 / 958 و رقمه 4369

[3]– عباس محمود العقاد، المرجع السابق ص 129

اليهودي الساحر(أنطوان لافي)سنة 1966، ويقدر عدد المنتمين إليها 50 ألف عضو، و لها فروع في أمريكا و أوربا و إفريقيا [1]

- **فلسفتهم في الحياة**

عباد الشيطان قوم لا يؤمنون بالله، ولا بالآخرة ولا بالجزاء والجنة والنار وتتمثل قاعدتهم الأساسية في التمتع إلى أقصى حد من الملذات قبل الموت، ففي رأيهم كل من العذاب والنعيم موجود في هذه الدنيا.

أما طقوسهم فتتجسد في أمرين: طقوس جنسية مفرطة تصل إلى درجة مقززة منحطة وطقوس دموية تقدم فيها القرابين البشرية ويشرب فيها الدم البشري المأخوذ من جرح الأعضاء بعد تعذيب أصحابها.

د- كيف نحارب الشيطان :

أورد عمر سليمان الأشقر جملة من الاحتياطات نوجزها فيما يلي:

1- الحذر و الحطة وذلك بمعرفة أساليبه ووسائله.

2- الالتزام بالكتاب والسنت وذلك بتنفيذ ما أمرنا الله به، والابتعاد عما نهانا عنه، يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ [2]﴾.

3- الالتجاء إلى الله والاحتماء به: فعلينا أن نوكل أمرنا لله ونلجأ إليه في كل أحوالنا ونستعيذ به من الشيطان لأن الله وحده هو القادر عليه، يقول الله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ۞ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ "[3] ﴾ كما أمرنا أن الله بالاستعاذة به[4] من الشيطان وهمزاته قال تعالى: "وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۞ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ [5] ﴾.

4- الاشتغال بذكر الله: ذلك أنه من أقوى الأسلحة التي تنجيه من الشيطان.

---

[1] –Micro Soft internet explorerعباد الشيطان منتديات يا حسين

[2]– من السورة البقرة، الآية 208.

[3]– من السورة الأعراف، الآيتان 199 –200.

[4]– من مواطن الاستعاذة: عند دخول الخلاء– عند الغضب– عند نزول واد أو منزل– عند سماع نهيق الحمار– حين قراء القرآن

[5]– المؤمنون /97–98

5- التوبة و الاستغفار: فمتى وقع الإنسان في المعصية عليه أن يتوب إلى الله تعالى عزّ من قائل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ [1] ﴾.

3.1.2- السحر

- **لغة:**

السحر هو البيان والفطنة، ومن ذلك قول النبي ﷺ: "إن من البيان لسحرا"[2].

قال الأزهري: أصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره فكأن الساحر لما رأى الباطل في صورة الحق، وخيل الشيء على غير حقيقته قد سحر الشيء عن حقيقته أي صرفه. ومن ذلك قول العرب: ما سحرك عن كذا؟ أسحرك عنا سحرا؟ أي ما صرفك عن كذا؟ وما صرفك عنا؟[3].

والسحر عند العرب يطلق على كلّ ما دق و خف ولطف و كان شديد الخفاء، فيقولون أخف من السحر[4].

- **مفهوم السحر في اصطلاح الشرع:**

يقول حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي: "السحر نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر، وبأمور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويرصد به وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر، ويحصل من مجموع ذلك والفحش المخالف لشرع، يتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله تعالى العادة، أحوال غريبة في الشخص المسحور... [5].

---

[1]- الأعراف / 201

[2]- البخاري، صحيح البخاري، تحقيق خليل مأمون شيحا: دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2004م رقم الحديث 5567 ص 1457.

[3]- علي أحمد عبد العالي الطهطاوي، دليل الإنسان لعلاج السحر و الحسد والجان ، دار الكتاب العلمية ط1 2002م ص 152

[4]- زهير حموي: الإنسان بين السحر و العين و الجان، دار ابن حزم ط3 2003م ص 81

[5]- ابو حامد العزابي: إحياء علوم الدين دار الكتاب العربي لبنان المجلد 01 /ج2 ص 50/49، د.ط، د.ت.

وقال ابن قدامه المقدسي: هو عقد ورقي وكلام يتكلم به أو يعمل شيء يؤثر في بدن المسحور أو قلبه وعقله من غير مباشرة له، وله حقيقة فمنه ما يقتل ويمرض ويربط الرجل عن زوجه ومنه ما يفرق بين الزوجين أو يجنب اثنين[1].

أ- أنواع السحر:

ويرى الرازي في كتابه قصة السحر والسحرة وجوب التمييز بين ثمانية أنواع من السحر:

1- سحر الكنعانيين: يعني عنده عبادة الكواكب بالخصوص، ترتكز هذه العبادة في نظره، على الإيمان بتأثر الكواكب في العالم السفلي وتحكم العالم العلوي في نظره السفلي.

2- سحر أصحاب الأوهام في النفوس القوية: هذا السحر لا تمارسه إلا فئة من الناس لها نفوس قوية وعن هذه الفئة تصدر العين الشريرة، حسب المؤلف في هذا النمط من السحر لا يشكل استخدام العزائم والبخور سوى عنصر إضافي، لأن الساحر هنا يؤثر بقوة نفسه في العالم الخارجي:

3- سحر العزائم وأعمال تسخير الجن: يرى الرازي أن الجن موجودون واقعيا، وبفضل الرياضة وإقامة شعائر دينية مرفوقة بإطلاق البخور وتلاوة العزائم، يتوصل الساحر إلى اللقاء بهم والتحكم فيهم و تسخيرهم.

4- سحر التخيل و الأخذ بالعيون: وهو ما نسميه حاليا ب "الألعاب السحرية"في هذا المستوى، عن طريق التحكم في قوانين بصرية ونفسية، يتمكن الساحر من التأثير في حواس مستشاريه وضحاياه وليس في العالم الخارجي .

5- سحر الأعمال العجيبة: وتعود تارة إلى تحكم الساحر في تقنيات يدوية أو ذهنية، وتارة إلى تحكمه في مخيلة المرضى أو الضحايا، من بين الأمثلة التي يذكرها المؤلف جداول الرسامين الكلدانيين والهنود في عصره، يقول " ومنها الصور التي يصورها الروم

[1]– خليل بن عبد القادر الشيباني، العلاج بالرقي الشرعية من السحر والحسد ومس الجان، دار البدر ط1 2005م ص 06

و الهند حتى لا يفترق الناظر بينها وبين الإنسان، حتى يصورها ضاحكة وباكية، حتى يفرق المرء بين ضحك السرور، وبين ضحك الخجل، وضحك الشامت".

6- سحر الاستعانة بخواص الأدوية: من الأمثلة التي يقدمها المؤلف عن هذه الفئة، يمكن انتخاب الوصفة التالية: الوصفة الاربعة [للتبليد]: "أن يُجعل في طعام الضحية بعض الأدوية المبلدة المزيلة للعقل والدخن المسكرة نحو دماغ الحمار إذا تناوله الإنسان تبلد عقله، وقلت فطنت !"

7- سحر " تعليق القلب ": هذا يزعم الساحر أنه يعرف اسم الله الأعظم، وأنه بفضله يحكم الجن ويسخرهم، ولشدة اعتقاد المريض أو الضحية بهذا الزعم، فإنه يسهل فعالية الطقوس.

8- سحر "السعي بالنميمة والتدريب ": و في هذا المستوى لا يؤثر الساحر في الأشخاص إلا بالحيل.[1]

يستنتج من هذا أن أنواع السحر ثمانية كما يراها الرازي أولاها سحر الكنعانيين الذين رأوا أن الكواكب هي مدبرة العالم وأنها أساس الخير والشر، ثانيها سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية حيث أن الوهم هو الذي يؤثر في الإنسان وأن النفوس خلقت مطيعة الأوهام، ثالثها سحر الاستعانة بالأرواح الأرضية و فيها يتم الاتصال بالجن، ربعها سحر الأعمال العجيبة وفيها استخدام خواص المواد واستغلال تراكيبها ومن هذا القبيل ما ذكره المفسرون في قصة سحرة فرعون إذ أنهم حشوا حبالهم وعصيهم زئبقا وجعلوا أسفلها حرارة فكان يُخيّل إلى الرائي أنها تتحرك، أما خامسها فسحر الشعوذة وإذهال الناظرين باستخدام السرعة الشديدة وفي هذا النوع يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ [2] ﴾ وعن سادسها فنجد سحر الاستعانة بخواص الأدوية في الأطعمة، يليها النوع السابع الذي هو سحر تعليق القلب

---

[1] −Htt p : www .khayma .com/roqia/magic main htm 02-05-2007

[2] – من سورة الأعراف، الآية 116.

فيدعي الساحر أن الجن يخضعون له بواسطة معرفته للاسم الأعظم والأخير هو سحر السعاية و النميمة عن طريق التحريش بين الناس.

ب- مواقف السحر في القرآن :

لقد تم ذكر موقفين للسحر في القرآن الأول يتعلق بالسحر في عهد سليمان ويتجسد في قصة هارون وماروت حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ [1] ﴾.

لقد أخبرنا الله تعالى في هذه الآية أن اليهود اتبعوا السحر الذي جاءا به هاروت وماروت اللذين كانا يعلمان الناس السحر ابتلاءا وامتحانا وأنهم اتهموا سليمان عليه السلام بأنه ساحر وليس نبيا وقد أظهر الله أن الشياطين هم الذين كذبوا على سليمان فكانوا من الكافرين فكانوا من الكافرين أما الموقف الثاني فهو سحرة فرعون مع سيدنا موسى عليه السلام فقد ورد في عدة سور من القرآن كالأعراف ويونس وطه والشعراء والقصص وغيرها.

يقول الله تعالى: ﴿ وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُواْ إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ قَالُواْ يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ۞ قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۞وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۞ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ ۞ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ [2] ﴾.

لقد حاول السحرة إلقاء الرعب والخوف في نفوس الناس بما وظفوه من تخييل واحتيال فكان أن تخيلوا أن الحبال و العصي تتحرك و تسعى إلا أن كل تلك الأعمال

---

[1]- من سورة البقرة، الآية 102.

[2]- من سورة البقرة، الآيتان 113-120.

أبطلها الله ولعل أصدق ما يجسد ذلك ما ورد في سورة طه يقول الله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى-*- [1] ﴾.

ج- تاريخ السحر:

عرف السحر عند البشر منذ العصور الأولى في التاريخ هذا إن لم يكن من بين أقدم العلوم التي عرفها بنو آدم واهتموا بها اهتماما كبيرا، وقد أقر القرآن بذلك إذ قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ [2] ﴾.

لقد أخبرتنا الآية الكريمة على أن الناس دأبوا على اتهام الأنبياء و الرسل بالسحر عندما يدعونهم لأمور لا تروقهم.وكانت ظاهرة السحر ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ وقد واكبت مسيرة الأنبياء و الرسل[3] .

ويقول ابن حجر العسقلاني:" وكان السحر موجودا في زمن نوح إذ أخبر الله عن قوم نوح أنهم زعموا أنه ساحر، وكان السحر أيضا فاشيا في قوم فرعون وكل ذلك قبل سليمان.

تذكر بعض الكتب أن أول السحرة في التاريخ كن ابن سيدنا نوح عليه السلام، حيث كان يأوي إلى جبل خاص يناجي فيه شيطانه، حتى أنه عند حدوث الفيضان دعاه والده ليركب السفينة و لا يكون من المهلكين فقال سآوي إلى الجبل . معتقدا أن شيطانه الذي كان يناجيه سيخلصه من قدر الله فكان من المغرقين.

كما تذكر بعض المصادر الأخرى، إن أول من اشتغل بالسحر كان من ذرية هابيل ابن آدم[4].

---

[1]- من سورة طه، الآية 69.

[2]- من سورة الذاريات، الآية 52.

[3]- مهداوي ياسين –المعتقدات الشعبية في مقدمةابن خلدون_ بتصرف –اشراف د.مقنونيف شعيب رسالة دكتوراه السنةالدراسية2007-2008 ص181.

[4]- زهير الحموي: المرجع السابق ص 83.

ذكر القرآن الكريم وهو أصدق مصدر نشأة السحر، فكان أول قوم ذكر عندهم السحر قوم بابل، وما حدث من قصة هاروت وماروت، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ولكن الشَّياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر [1] ﴾ .

ارتبط السحر عند البابليين بالكواكب و النجوم، وزعموا أن لها قوة تأثير في ذاتها على المخلوقات في تصرفاتهم و حياتهم وخلافاتهم[2] وقوله: "وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله "[3] يشير الله سبحانه وتعالى إلى هاروت و ماروت كانا يعلمان السحر وفنونه لأهل بابل حتى انتشر بينهم وتداوله الناس وعملوا به.

لقد اختلف العلماء والمفسرون في أمر هاروت و ماروت غير ان الأرجح إنهما ملكين قد ابتليا من لدن الله تعالى وأنهما كانا يعلمان الناس السحر و في الوقت ذاته يحذران الناس من مغبة الإقدام عليه إذ انه يقود متعاطيه إلى الشرك والمعصية[4] .

وردت هذه الآيات التي سبق ذكرها في معرض تبرئة سيدنا سليمان من ادعاء الشياطين أن سليمان كان له من القوة والسيطرة على الإنس و الجن بالسحر لا غير.

وقد ورد أن سبب نزول هذه الآية أن اليهود كانوا يسألون النبي ﷺ عن التوراة فيجيبهم، فسألوه عن السحر وجادلوه فيه، فجاءت هذه الآية مبينة للحق، والسبب الآخر هو أنهم لما ذكر سليمان في القرآن وأنه نبيّ من الله كذّبوا بذلك وقالوا أنه كان ساحرا ولم يكن نبيّا يقول الله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ [5] ﴾.

---

[1]– من سورة البقرة، الآية 102.

[2]– زهير حموي، المرجع السابق، ص84.

[3]– من سورة البقرة، الآية 102.

[4]– مهداوي ياسين المرجع السابق_بتصرف_ص183_184

[5]– من سورة البقرة، الآية 102.

اختلف في المراد من الآية فقيل أن سيد سليمان كان قد جمع كتب السحر والكهانة، ثم دفنها تحت كرسيه، فلم يكن أحد يجرؤ على الدنو أو الاقتراب من الكرسي في حياته فلما مات، فعل الشيطان فعلته وتحايل على رعية سيدنا سليمان فدلهم على كنز سليمان، وقال هذا الذي كان سليمان يضبط ويتحكم به الجن والإنس، ففشا بين الناس أن سليمان كان ساحرا، حكم بالسحر لا بالنبوة والمدد الإلهي له، ولم يكن نبيا كما قالت اليهود.

وروي عن طريق آخر أن الشياطين هي التي كتبت السحر وألفته ثم نقشوا خاتم سيدنا سليمان و دفنوه تحت كرسيه فلما مات استخرجته وقالوا هذا العلم الذي كان سليمان يكتمه عن الناس ويفرده لنفسه لأن لا يكون لغيره ما كان له من السلطة والقدرة على التحكم بالثقلين و الدواب و الطير والرياح و غيرها مما أوتي سليمان.

- **السحر عند الكنعانيين:**

الكنعانيون هم الشعوب التي نزحت من جنوب غرب الجزيرة العربية واستوطنوا بيت المقدس، ويعتقد المؤرخون أن هذه الهجرة كانت حوالي القرن السادس و العشرين قبل الميلاد، وكان الكنعانيون يعتقدون بالسحر اعتقادا راسخا ويقولون أن قوة السحر تشعها أجساد القطط والكلاب، ولذلك فقد كانوا يتشاءمون من نباح الكلاب ليلا ويتعودون العواء الكريه دليلا على اجتماع الكلاب بالشياطين و الأرواح لتلقي الأوامر منهم[1].

يعتبر الكنعانيون من أبرز الشعوب التي عنيت بالسحر وعلومه المتنوعة. فعدت من بين أهم العلوم الضرورية في دنياهم ,و كانت للساحر مكانته المرموقة بين قومه تضاهي مكانة العالم الحكيم زمن الفراعنة بمصر[2].

---

[1]– الحافظ أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني، السحر و الكهانة و الحسد، مكتبة التراث الإسلامي، ص 19/18، د.ط، د.ت.

[2]– مهداوي ياسين المرجع السابق–بتصرف– ص185.

السحر عند قدماء المصريين:

لقد اولى المصريون اهتماما كبيرا بالسحر اذ نال السحرة والكهنة الحظوة العظيمة ونالوا الدرجة الرفيعة لدى الفراعنة ما لم يكن لغيرهم من الناس ،ولعل ما يؤكد ذلك ما ورد في القرآن الكريم حيث ايده بمعجزة من جنس ما كان متفشيا في عصرهم. فاجتمع جمع غفير من السحرة و هم على يقين ان لا احد يقدر عليهم في هذا المجال ،غير انهم لما عاينوا ما جاء به موسى عليه السلام تاكدوا انه ليس بسحر وان ما قاموا به باطل فامنوا به و اتبعوه[1]

روى ابن كثير في مؤلفه قصص الأنبياء ما كان من شأن سحرة فرعون الذين جمعهم لمواجهة سحر موسى كما زعم وادعى[2]، ولما كان سيدنا موسى عليه السلام من أولياء الله، وكان فرعون وسحرته من أولياء الشياطين، فقد أبطل الله سبحانه و تعالى ما كانوا يدعون ويأفكون على الله و لما أبهرهم سيدنا موسى عليه السلام بما أراهم من قدرة الله سبحانه و تعالى، عرف السحرة أن ما جاء به موسى ليس السحر، لأنهم يعرفون السحر وإلى أي حد يمكن أن يصل، فاتبعه معظم السّحرة وأقروا بنبوة موسى عليه السلام.[3]

- **السحر عند اليهود :**

يعتبر سحرة اليهود من أخبث السحرة وأمكرهم، وتقول بعض الروايات أن بعض اليهود يملكون مخطوطا باللغة العبرية يقع في عشر مجلدات اسمه "كبالة"، مقصور استعماله على كبار سحرتهم، وهم يتوارثونه جيلا بعد جيل في سرية تامة، حتى أن كبار السحرة في العالم أرادوا الحصول عليه بأي ثمن كان، وبذلوا فيه الكثير من المال، ولكن دون جدوى وذلك لأن اليهود لا يريدون لغيرهم من سحرة

---

[1] مهداوي ياسين المرجع السابق-بتصرف-ص185_186

[2] – ابن كثير: قصص الأنبياء، مكتبة الشركة الجزائرية ص 198 324-331، د.ط، د.ت.

[3] – ابن كثير: تفسير القرآن الكريم ج2 ص 1194، 1195

العالم أن يطلع عليه أو يتعلم شيئا منه، و بالتالي يبقى العمل به مقصور على كبار سحرة اليهود[1].

لقد توارث اليهود قواعد السحر التي كانت مسجلة في كتبهم و قد احاطوها بسرية شديدة فاعتبر السحرمن الأسلحة التي اراد اليهود_ من خلالها_ أن يفتكوا بالرسولﷺ وبدعوته و ما حادثة لبيد بن الأعصم لخير دليل على ذلك و هي معروفة في التاريخ الإسلامي[2].

4.1.2- الكهانة والعرافة:

الكهان هم أشهر من يدعي معرفة الغيب، وقد يرى بعض العلماء أن كل مدعي للغيب فهو إما داخل في اسم الكاهن أو مشارك له في المعنى فيلحق به.

جاء في لسان العرب في تعريف الكهانة، قوله"...كهن كهانة وتكهّن تكهّنا وتكهينا، قضى له بالغيب، والكاهن هو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمن، ويدعي معرفة الأسرار، وقد كان في العرب كهنة كشق وسطيح، وغيرهما فمنهم من كان يزعم أن له تابعا من الجن ورئيا يلقي إليه الأخبار ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الغيب، بمقدمات أسباب يستند إليها أو بها على مواقعها من كلام من سأله أو فعله أو حاله، وهذا يطلع عليه العّراف كالذي يدعى معرفة الشيء المسروق والضالة ونحوهما"[3].

وجاء في تعريف الكهّان أنهم يأخذون من مسترق السمع، وكانوا قبل المبعث كثير، وأما بعد البعثة فهم قليل لأن الله سبحانه وتعالى حرس السماء بالشهب، وأكثر ما يقع في هذه الأمة، ما يخبر به الجن مواليهم من الإنس عن الأشياء الغائبة مما يقع في الأرض من الأخبار فيظنه الجاهل كشفا أو كرامة، وقد اغتر كثير من الناس بذلك يظنون ذلك المخبر لهم عن الجن وليا الله تعالى وهو من أولياء الشياطين[4].

---

[1]– زهير حموي: المرجع السابق ص 86

[2]– مهداوي ياسين المرجع السابق–بتصرف–ص188

[3]– لسان العرب ج 13 ص 363

[4]– عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب: فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد: دار ابن حزم ط1، سنة 1999م ص266

ويرى بعض العلماء أن كل من يدعي علم شيء من المغيبات فهو إما دخل في اسم الكاهن أو مشارك له في المعنى فيلحق به، وإصابة المخبر ببعض الأمور الغائبة في بعض الأحيان يكون بالكشف، ومنه ما هو من الشياطين و الجن ومنه ما يكون بالفأل، وزجر الطير، والضرب بالحصى، والخط بالرمل والكهانة و التنجيم ونحو ذلك من علوم الجاهلية..... وكل هذه الأمور يسمى صاحبها كاهنا وعرافا أو ما في معناهما..... [1].

وفرّق أحمد حسن الزيات الكاهن والعّراف بقوله: " الكهانة والعرافة هي مطالعة الغيب والإخبار بالحوادث الماضية والآتية، وقد يخصون الكاهن بعلم المستقبل والعّراف بعلم الماضي، وكانوا يزعمون أن لهم أتباعا من الجن كانوا يسترقون السمع ويأتونهم بالأخبار فاشتدا اعتقاد العرب فيهم، وكثر التجاؤهم إليهم، يستشيرونهم في المعضلات، ويستقضونهم في الخصومات و يستطبونهم في العلل، ويستفسرونهم في الرؤى، ومن أشهر الكهان في العرب شق وسطيح والعّرافان الأبلق الأسدي عّراف نجد و رباح ابن عجلة عراف اليمامة[2].

أقرّ العلماء أن الكهانة والعرافة من جنس واحد مع اختلاف اختصاص كل منهم فالكاهن مختص بأخبار الغيب المستقبلية من أحداث ومجريات لم تقع بعد وأما العراف فاختصاصه الإخبار عن أشياء تكون قد وقعت كأن يخبر عن الشيء المسروق أو المخبأ، أو غير ذلك من الأمور.

[1]– ابن خلدون: المقدمة مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني بيروت ط2 1979 ص186

[2]– أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي دار الثقافة بيروت لبنان ص15، د.ط، د.ت.

أ- طرق و مصادر الكهان في معرفة الغيب:

تبين للعلماء بعد بحث وتمحيص إن ادعاء الكهنة و السحرة معرفة الغيب افك كبير وبهتان عظيم فهم يرتكزون على وقائع حدثت بالفعل في زمن مضى اوهي احداث من الممكن معرفتها و هي ليست من الغيب في شيئ فيضعون جواسيس لهم يحتكون بالناس و يطلعونهم على اخبارهم لتنقل بعد ذلك الى السحرة،وهذا يعكس عجزهم على معرفة الغيب. [1]

وبعض هؤلاء تعينه الجن و الشياطين في معرفة السارق، و موضع السرقة، أو يعرفونه بأن فلانا الغائب مثلا سيقدم عليهم غدا، ونحو ذلك. ونقل هذا العلم أمر ممكن سهل، وقد أصبح اليوم أمر لا يتعجب منه بعد التطور العلمي والتكنولوجي الذي حصل في عصرنا كاختراع الهاتف والتلكس وغيرها من وسائل الاتصال التي تمكن الناس من معرفة أخبار بعضهم البعض بغض النظر عن تباعد المسافات. [2]

وقد أرجع ابن خلدون الكهانة و ما شابهها إلى مصدرين أساسيين، أولهما قدراتهم النفسية وما فطروا عليه في ذلك، وثانيهما إيحاءات الشياطين، إذ يقول: زعم بعض الناس أن هذه الكهانة قد انقطعت منذ النبوة، مما وقع من شأن رجم الشياطين بالشهب بين يدي البعثة، وأن ذلك كان لمنعهم من خبر السماء كما وقع في القرآن، والكهان إنما يتعرفون أخبار السماء من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ، و لا يقوم من ذلك دليل، لأن علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم أيضا كما قررناه، وأيضا فا لآية إنما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من أخبار السماء، وهو ما يتعلق بخبر البعثة ولم يمنعوا مما سوى ذلك، وأيضا فإنما كان ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط، ولعلها عادت بعد ذلك إلى ما كانت عليه و هذا هو الظاهر، لأن هذه المدارك كلها تخمد في زمن النبوة كما تخمد الكواكب و السرج عند وجود الشمس لأن هي النور الأعظم، الذي يختفي معه كل نور ويذهب. [3]

---

[1]- مهداوي ياسين المرجع السابق -بتصرف- ص136

[2]- أ.د. عمر سليمان الأشقر: عالم السحر و الشعوذة، دار النفائس ص 273، د.ط، د.ت.

[3]- ابن خلدون: المقدمة ص 176- 177

ب- علاقة الكهان بالشياطين:

ان معظم الكهان هم عباد للشياطين اذ انها تنطق بلسانهم ذلك انها تانس تلك النفوس الخبيثة ،فالشياطين هي المصدر الأساسي الذي يستقي منه الكهان والعرفون كذبهم وشعوذتهم [1]. يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله "الكهان رسل الشياطين لأن المشركين، يهرعون إليهم، ويفزعون إليهم و يرضون بحكمهم، كما يفعل أتباع الرسل، فهم يعتقدون أنهم يعلمون الغيب ويخبرون عن المغيبات التي لا يعرفها غيرهم، فهم عند المشركين بمنزلة الرسل، فالكهنة رسل المشركين حقيقة، أرسلهم الشيطان إلى حزبه، ومثل رسل الله بهم لينفر عنهم، ويجعل رسله هم الصادقين العالمين للغيب ." [2]

يقول سليمان الأشقر: "وهؤلاء الكهان يزعمون أنهم يوحى إليهم، وهذا صحيح، ولكنه ليس بوحي رحماني بل وحي إبليسي شيطاني"[3].

قال الله تعالى: ﴿ شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ [4] ﴾ ، وقال عز وجل: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ [5] ﴾.

والشيطان عندما يوحي إلى هؤلاء الكهان كما هو مشاهد من أحوالهم، فإنه يغشي على الواحد منهم، ويذهب عقله ويأخذ في الهذيان ويتكلم في حال غشيته والمتكلم هو الشيطان ينطق بلسان الكاهن ويجيب عما سئل عنه و حين يفيق الكاهن لا يدري عما سئل عنه وبما أجاب حال غشيته[6].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والأخبار ببعض الأمور الغائبة التي تأتي بها الكهان، هو أيضا من مقدور الجن فهم تارة، يرون الغائب فيخبرون به، وتارة يسترقون وهم يكذبون في ذلك كما أخبر النبي ﷺ، وما تأتي به الأنبياء من الغيب لا يقدر عليه إنس أو جن، ولا كذب فيه، وأخبار الكهان وغيرهم كذبها أكثر من صدقها، وكذلك كل من تعود الإخبار عن الغائب فأخبار الجن لا بد أن

---

[1]- مهداوي ياسين المرجع السابق- بتصرف- ص139

[2]- ابن القيم الجوزية: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، دار المعرفة بيروت ج1 ص 271، د.ط، د.ت.

[3]- عمر سليمان الأشقر: المرجع السابق ص 274

[4]- من سورة الأنعام، الآية 112.

[5]- من سورة الأنعام، الآية 121.

[6]- عمر سليمان الأشقر، المرجع نفسه ص 274/273

تكذب، فإنه من طلب منهم الأخبار المغيب كان من جنس الكهان، وهم كاذبون في كثير مما يخبرون به، وإن كانوا صادقين في البعض"[1].

وقد نهى رسول الله ﷺ إتيان الكهان و تصديقهم فيما يقولون وذلك لأن العرب كما ذكرنا، كانوا يعتقدون كثيرا في الكهان، فعن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: " من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد" وفي رواية "من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد"[2]

ج- حكم الكهانة:

"لا يجوز للمريض أن يذهب إلى الكهنة الذين يدّعون معرفة المغيبات ليعرف منهم مرضه، كما لا يجوز له أن يصدقهم فيما يخبرونه به، فإنهم يتكلمون رجما بالغيب، أو يستحضرون الجن ليستعينوا بهم على ما يريدون، وهؤلاء حكمهم الكفر والضلال إذا ادّعوا علم الغيب، وقد روى مسلم في صحيحه أن النبي أن النبي ﷺ قال: "من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل صلاته أربعين يوما" وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من أتى كاهنا فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ" رواه أبو داوود[3].

والذي يأتي إلى الكاهن ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

أن يأتي إلى الكاهن فيسأله من غير أن يصدقه فهذا حرام، وعقوبة فاعله ألا تقبل له صلاة أربعين يوما.

القسم الثاني:

أن يأتي إلى الكاهن فيسأله ويصدقه بما أخبره، فهذا كفر بالله عز وجل، لأنه صدقه في دعوى علم الغيب، وتصديق البشر في دعوى علم الغيب تكذيب لقوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ [4] ﴾. وتكذيب خبر الله و رسوله كفر.

---

[1]– محمد بن رياض الحمد السلفي الأثري، النبوات، المكتبة العصرية صيدا، بيروت،طبعة 2004م

[2]– عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب: المرجع السابق ص 227

[3]– عبد العزيز بن عبد الله بن باز: حكم السحر والكهانة وما يتعلق بها، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية و الأوقاف والدعوة و الإرشاد، المملكة العربية السعودية ط 12، 2000م

[4]– من السورة النمل، الآية 65.

القسم الثالث:

أن يأتي الكاهن فيسأله، ليبين حاله للناس، وأن ما يفعله كهانة، وتمويه وتضليل، هذا لا بأس به[1] أي بمعنى أن يكشف مدى ضلاله وبهتانه للناس فينزوون ويبتعدون عنه.

5.1.2- علم النجوم:

قسّم العلماء علم النجوم إلى نوعين، جائز ومحرم، أما الجائز فهو ما انتفع به الناس، وكان لهم به حاجة في حياتهم، وأما المحرم والمذموم فهو ما كان ضرره أكثر من نفعه، وهو ضرب من السحر والغيب، وفي هذا يقول الشيخ أحمد بن عبد العال الطهطاوي: "هو على قسمين، جائز ومحرم، فالجائز ما يدرك بطريق المشاهدة، كالاستدلال بالشمس والقمر والنجوم على أوقات الصلاة وجهة القبلة ونحو ذلك، والمحرم ما يدعيه أهل التنجيم من معرفة الحوادث التي لم تقع، كمجيء الأمطار ووقت هبوب الرياح وتغير الأسعار وغير ذلك مما استأثر الله بعلمه ولا يعلمه أحد غيره[2].

ويقول الخطابي: "علم النجوم المنهي عنه، هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان كأوقات هبوب الريح ومجيء المطر وتغير الأسعار وما في معلنها من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها، يدعون أن لها تأثيرا في السفليات، وهذا منهم تحكم في الغيب وتعاط لعلم قد استأثر الله به لا يعلم الغيب سواه[3].

وقد نقل صاحب فتح المجيد عن الخطيب عن قتادة قال: إنما جعل الله هذه النجوم لثلاثة خصال: جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدى بها، وجعلها رجوما للشياطين، فمن تعاطى فيها بغير ذلك فقد قال برأيه، وأخطأ حظه وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به، وأن أناسا جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: من غرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلا ويولد به الأحمر والأسود، والطويل والقصير، والحسن والذميم، وما علم هذه النجوم وهذه الدابة

---

[1] –www . q a r n 15 . net/f/f1 f3/ f1 f3 f10 .htm-20k

[2]– علي أحمد عبد العال الطهطاوي، شرح كتاب إن هذان لساحران، لابن تيمية، دار الكتب العلمية، ط 1، 2005– ص.22.

[3]– عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، المرجع السابق ص.290

وهذا الطائر بشيء من هذا الغيب، ولو أن أحدا علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلماه أسماء كل شيء[1]

6.1.2- الخط بالرمل:

يقول ابن خلدون: "ومن هؤلاء قوم من العامة استنبطوا لاستخراج الغيب وتعرف الكائنات صناعة سموها خط الرمل، نسبة إلى المادة التي يصنعون فيها عملهم[2].

يرى ابن خلدون أن هؤلاء ومعهم أصناف أخرى كالمنجمين، قد يزعمون أنهم يستطيعون إدراك الغيب دون غيبة عن الحس التي هي من شروط إدراك الغيب عند ابن خلدون.

يقول زهير الحموي: "ويزعم المشتغلون بعلم الخط بالرمل، أن هذا العلم المنسوب إلى نبي الله إدريس عليه السلام، وأنه أوحي إليه في المنام وعنه ورثته العلماء والحكماء، ويقوم هذا العلم على أساس أن الموجودات كلها تقوم على أربع طبائع فالمخلوقات قامت على أربع طبائع هي النارية والهوائية والمائية والترابية، والجهات الأربع هي الشرق والغرب والجنوب والشمال[3]. ويضيف قائلا: قال البوني في شمس المعارف الكبرى: "إن الضرب بالرمل هو سر عظيم من أسرار الحكيم، نزل من السماء وتلقاه التراب وما فيه، وهو عند ذوي الأبصار ملحوظ بأعين الاعتبار، ورد أن أول ما نزل به بأمر الملك العلام، جبريل الأمين على سيدنا إدريس، وبعده على سيدنا نوح عليهما السلام[4].

أما محصول هذه الصناعة أو الاعتقادات التي بنو عليها صنعتهم هذه، فيقول ابن خلدون: "أنهم صيروا من النقط أشكالا ذات أربع مراتب، تختلف باختلاف مراتبها في الزوجية والفردية واستوائها فيها، فكانت ستة عشر شكلا...

---

[1]- عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، المرجع نفسه، ص.290، 291.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق ص. 195

[3]- زهير حموي، المرجع السابق ص. 274.

[4]- زهير حموي، المرجع نفسه ص. 274.

واستنبطوا من ذلك فنا حادوا به فن النجامة، ونوع قضائه. إلا أن النجامة مستندة إلى أوضاع طبيعية كما يزعم بطليموس، وهذه إنما مستندها، أوضاع تحكمية وأهواء اتفاقية، ولا دليل يقوم على شيء منها. [1]

(ويرى ابن خلدون أن هؤلاء إذا كان قصدهم من وراء الخط بالرمل هو إشغال الحس، لتنفرد النفس بعالم الروحانيات للحظة ما، فذلك يكون من باب النظر في الأجسام الشفافة وإذا كان القصد من ورائه معرفة الغيب بهذه الصناعة، فذلك ما لا يمكن أن يكون، لأن إدراك الغيب لا يمكن إثباته بصناعة البتة، وإنما يكون إدراكها وتعرفها لأشخاص معينين، وهم الذين فطروا على عالم الإنسلاخ من عالم الحس إلى عالم الروحانيات مع تفاوت في هذه القدرة). [2]

لقد اعتقد الناس في الخط بالرمل كثيرا فقصدوا أصحاب هذه الصنعة و اغتروا بما يفعلون، وما يقومون به ولعبوا بعقول السذج من الناس ممن لا تمييز لهم بين الحق والباطل.

[1]– ابن خلدون، المصدر السابق ص. 196

[2]– مهداوي ياسين المرجع السابق ص165

7.1.2- الطيرة و التفاؤل:

من المعتقدات التي قطعت شوطا بعيدا عبر التاريخ، ودخلت إلى أعماق النفس الإنسانية، نجد التفاؤل والتشاؤم أو التيمن والتطير، مما جعل الإنسان يتردد كثيرا قبل الإقدام على رفضها وتهجينها والتمرد عليها، وقد يحاول البعض الاستحقاق بها وازدرائها أمام الآخرين، إلا أنه في الداخل يخاف الخروج عنها أو استهجانها ورفضها، ولكنه يحاول التجلد أمام نظرات الآخرين المعبرة عن الاستهزاء والسخرية.

الطيرة:

الطِيْرَةُ والطِيَرَةُ: ما يتشاءم به الطّيْرَةُ و الطَّيْرُورَةُ : الطيش والخفة يقال : "إيّاك و طيرات الشباب" إي طيشه. [1]

أ- أصل الطيرة:

لقد كان الناس في الجاهلية يعتمدون على الطير فإن طار يمينا تيمن به وتابع طريقه أما إن رآه قد طار يسارا فإنه يتشاءم ورجع ولما أتى الإسلام نهى عن ذلك فقد قال الرسول ﷺ في حديث رواه أبو هريرة: "لا طيرة وخيرها الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم"[2] أما الفأل فهي عكس الطيرة وكان يحبذها الرسول ﷺ فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة"[3].

و الفرق بين الطيرة و التفاؤل أن التفاؤل يبعث في النفس الرجاء في عطاء الله وتيسيره فيقوى عزمه ويتجدد أمله في نجاح مقصوده و يحمله التفاؤل على صدق الاستعانة بالله و حسن التوكل، فلا يعدو سماع الكلمة الطيبة أن يكون محركا وباعثا

---

[1]- المنجد في اللغة والأعلام ص 477

[2]- الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،المجلد 10 – المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة الإسكندرية ص 239، د.ط، د.ت.

[3]- الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : المرجع نفسه ص 240

للأمل، أما التشاؤم أو التطير فعلى خلاف ذلك إذ يجعل المرء مترددا ضعيفا في توكله وإيمانه، جاعلا من قلبه مجالا خضبا للوسواس و الأوهام.

- **العيافة و التطير:**

يقول سليمان الأشقر:"العائف هو الذي يزجر الطير"[1].

ويقول ابن كثير: "العائف هو من يزجر الطير للتفاؤل أو التشاؤم"[2].

ويقول ابن خلدون: "أما الزجر و هو ما يحدث من بعض الناس من التعلم بالغيب عند سنوح طائرا أو حيوان"[3].

ويقول الدكتور سليمان الأشقر: "التطير هو التشاؤم واشتقاقها من الطير. وكانت العرب تتطير من الغراب و الأخيل ونحوها من الطير و تتشاءم منه، وترى أن ذلك مانع من الخير وكان الواحد من الجاهلية إذ خرج إلى أمره فإن رأى الطير طار يمنة، تيمن به واستمر، وإن رآه طار يسرة تشاءم به و رجع عن سفره، وبما كان أحدهم يهيج الطير، فيعتمدها، و كانوا يسمون الطائر أو الحيوان الذي يأخذ ذات اليمين إذا أترته "جزرته" بالسانح و يستبشرون به ويعدونه من اليمين، ويجعلونه دليل على أن سفرهم ناجح وحاجتهم مقضيه، ويسمون ذلك الذي يأخذ ذات الشمال بالبارح ويتشاءمون منه وقد يرجع الواحد منهم عن المضي في السفر، أو يتوقف عما شرع فيه من عمل إذا رأى مثل ذلك"[4]. ان المتطيرون يعلقون خوفهم واملهم في الطير و ما شابهها فهي اما فال خير لما سيقدمون عليه و اما نذير شؤم لما سيقومون به ، و هذا مخالف لما جاء في ديننا فهو محاولة لتقصي الغيب من خلال هذه الأفعال.وان الاعتقاد بنفع أو بضر طائر لا علم عنده انما يقوم بحركته عن غير قصد اما هروبا عشوائيا أو ذهابا ومجيئا من اجل لقمة العيش.[5]

---

[1]– أ. د عمر سليمان الأشقر: المرجع السابق ص 277

[2]– ابن كثير: البداية و النهاية ج1 راجعه وأخرج أحاديثه ، شريف محمد، محمد سعيد محمد، محمد عبد العظيم، محمد تامر، دار البيان العربي ص 522، د.ت.

[3]– ابن خلدون: المصدر السابق ص 187

[4]– أ.د عمر سليمان الأشقر: المرجع نفسه ص 298

[5]– مهداوي ياسين المرجع السابق–بتصرف–ض161

وقد نهى رسول الله ﷺ عن الطّيرة و التّطيّر وعده من السحر في الحديث الشريف إذ قال عليه السلام: "العيافة و الطّيرة و الطرق من الجبت"[1].

وقال كذلك في سورة يونس: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ [2]﴾ .

أي أن الله وحده القادر على كفّ الضرر وأن لا أحد يمنع خيره و فضله، وبالتالي فالله هو الضّار، النافع، وأن هذه الطيور و ما شابهها من حيوان، لا تعلم الغيب لتخبرك به.

ب- الطيرة في القرآن :

التطير عادة موغلة في القدم، استخدامها أعداء الرسل في ردّ دعوة الحق والهدى بدعوة أنها سبب لحلول المصائب و البلايا، فقد تشاءم قوم صالح بنبيهم- عليه السلام- حيث قالوا له: ﴿ اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ"[3] ﴾.

كما تطير فرعون وقومه بموسى عليه السلام ومن معه قال عزّ وجلّ: ﴿ فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ [4] ﴾.

وقد تطير أصحاب القرية برسل الله عزّ وجلّ حيث قالوا لهم: ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ [5]﴾.

وكان الرد عليهم جميعا أن ما حلّ بكم من شر و بلاء إنما هو بسبب كفرهم وعنادهم واستكبارهم، و لا يخرج عن قضاء الله وحكمته و عدله، قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ [6] ﴾.

---

[1]- سنن أبو داود: رقم الحديث 3709، ج4، ص 22

[2]- من سورة يونس، الآية 107.

[3]- من سورة النمل، الآية 47.

[4]- من سورة الأعراف، الآية 131.

[5]- من سورة يس، الآية 18.

[6]- من سورة الأعراف، الآية 131.

ج- علاج التطير:

يمكن علاج التطير في حسن التوكل على الله سبحانه وتعالى، و الإيمان بقضائه وقدره، و صلاة الاستخارة قبل الشروع في الأمر، و الاستعاذة بالله تعالى إذا عرض للعبد شعور بالتطير، وإذا وقع في نفسه شيء من ذلك رده بالدعاء النبوي: "اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك" رواه أحمد.

8.1.2- العين:

ارتبطت العين بجملة من المعتقدات الشعبية التي كان لها شأن في تمييز الإنسان بين قوى خفية للخير وقوى أخرى يصدر عنها الشر، فالعين لها حق وفعل سحري، فعندما نجد إنسانا معكر المزاج دونما قصد إلى الوجه الذي صاحبه ذلك الإنسان فترد إلى العين.

- **مفهوم العين:**

إذا رجعنا إلى معاجم اللغة وجدنا أن العين لها معاني كثيرة فهي: الباصرة وتطلق على الحذقة أو على مجموع الجفن، حاسة البصر، الجاسوس، السّيّد، رئيس الجيش، الشمس أو شعاعها.

عان عينا الرجل أصابه بالعين فهو عائن و المصاب معينٌ و معيون[1].

وهذا الأخير هو الذي نحن بصدد البحث فيه أي العين التي تتوجه نحو الأشخاص أو ما يمتلكونه فتصيبهم بالضرر، إن آلة العين فاضت لها بحوث كثيرة لما تحمله من أهمية قصوى في جانب التطور البشري اجتماعيا وعقائديا، فالعين و اليد واللغة تعتبر عناصر هامة في نمو الدماغ عند الإنسان، فقد كان من بين هذه العناصر الثلاثة وبين الدماغ تفاعل مستمر كلاهما يؤدي إلى رقي الآخر[2].

و للعين في الحلم تفسيرات وتأويلات. وأما العين، فدين الرجل وبصيرته التي يبصر بها الهدى والضلالة، فإن رأى في جسده عيونا كثيرة، دل على زيادة صلاحه

---

[1]– المنجد في اللغة و الأعلام، دار المشرق بيروت – لبنان– 1973/ ط21 ص 541

[2]– سلامى موسى: نظرية التطور وأصل الإنسان، سلامة موسى للنشر و التوزيع، القاهرة 1957/ ط3 ص 24

ودينه....فإن رأى كأن عينيه ذهبتا، مات أولاده، ومن رأى أنه أعمى العينين و هو في غربة، دل على امتداد غربته إلى أن يموت[1]

أ- أقسام العين:

تنقسم العين إلى ثلاثة أقسام:

العين القاتلة (السمية): تخرج العين من العائن إلى المراد إعانته بقصد الضرر، قال الكلبي: كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة، ثم يرفع جانبا من خبائه فتمر به النعم فيقول: ما رعى اليوم إبل و لا غنم أحسن من هذه، فما تذهب إلا قريبا حتى يسقط منها طائفة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين ويفعل به مثل ذلك، فعصم الله تعالى نبيه وأنزل قوله تعالى: ﴿وإِن يَكَادُ الّذِينَ كَفَرُوا لَيُزلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذّكْرَ وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾.

العين المعجبة: إن النفس إذا ما أفرطت في الإعجاب بنعمة من النعم أثرت فيها وأفسدتها بإذن الله تعالى ما لم يبرك صاحبها يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا [2] ﴾.

العين الحاسدة: تخرج العين من نفس حاسدة خبيثة، خبيث صاحبها، و هي في الأصل تمني زوال النعمة التي أنعم الله بها على المحسود يقول الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقّ[3] ﴾.

ب- أعراض العين :

كثير من الناس يصابون بالعين وهم لا يعلمون، لأنهم يجهلون أو ينكرون تأثير العين عليهم، فإن أعراض العين في الغالب تكون كمرض من الأمراض العضوية إلا أنها لا تستجيب إلى علاج الأطباء، كأمراض المفاصل و الخمول و الأرق والحبوب

---

[1]- ابن سرين: تفسير الأحلام، اعتنى به صالح عثمان عبد الحميد اللحام، (دار النفنئس)، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع بيروت- لبنان- ط1 2003م/ ص 82-83.

[2]- من سورة الكهف، الآية 39.

[3]- من سورة البقرة، الآية 109.

التقرحات التي تظهر على الجلد والنفور من الأهل والبيت من الأهل والبيت والمجتمع والدراسة، وبعض الأمراض النفسية والعصبية، ومن الملاحظ أن الشحوب في الوجه بسبب انحباس الدم عن عروق الوجه والشعور بالضيق والتأوه والتنهد والنسيان والثقل في مؤخرة الرأس و الثقل على الأكتاف والوخز في الأطراف، و كذلك الحرارة في البدن و البرودة في الأطراف. [1]

و قد تتعداها أخرى لتكون أكثر خطورة في منظور التفكير الشعبي تمس الجانب النفسي للإنسان، الذي يصبح قلقا ينتابه الوسواس أو مس من الجن[2].

إن الشخص المعين أو المعيون تظهر عليه أعراض كثيرة فزيولوجية وأخرى نفسية وهي الأخطر إذ قد تنعكس آثارها على الناحية الاجتماعية.

ج- علاج العين:

تختلف الممارسات و الأفعال التي يعتقد بها الإنسان في التصدي للعين باختلاف الزمان والمكان فيما يلي. بعض ما قامت به الشعوب الغابرة، وما يقوم به في مواجهة العين والحسد.

1. قديما:

الفراعنة و الفينيقيون: اعتقد الفينيقيون و الفراعنة بإصابة العين واتخذوا للوقاية من شر العيون الأحجبة و التعاويذ و الخرز الأزرق وغيرها.

السومريون: جاء في أحد النصوص التي تدور حول عشتروت و ابنها الممزق تموز أنها أردته قتيلا حين سلطت عليه نظرة الموت.

الإغريق: تجلى الحسد عندهم في إلاهة الحسد فتونوس و تدعى عند الرومان أنديفيدينا، وهي تجسد الأثر السيئ للعين.

العرب في الجاهلية: استعملوا الخرز في التعاويذ والرقى، و من الرقى التي استعملوها:

الكحلة: الكحلة وهي خرزة سوداء تجعل على الصبيان لدفع العين عنهم.

القبلة: وهي خرزة بيضاء تجعل في عنق الفرس لدفع العين عن الفرس.

---

[1] −http : www .khayma. com/roqia/ hassad. HTM 02-05-2007

[2] – أبو عبد الباري عبد الحميد العربي: المرشد الأمين في كيفية العلاج من العين، دار الإمام مالك ، قسنطينة د.ط، 1999 ص 14−15.

الودعة: و تفيد حسب اعتقادهم في دفع أذى العين عن الإنسان.

فقء عين الجمل: وكان العربي يعتقد أن الإبل تعان سريعا أي تؤثر فيها العين أكثر من سائر الحيوانات الأخرى، وكان إذا كثرت إبله فبلغت الألف فقأ عين فحلها تيمنا أو اتقاء لشر العين، فإذا زادت عن الألف فقأ العين الأخرى.

2. حديثا:

أ- في مصر:

يتعلقون باللون الأزرق و الذي يرمز له الفيروز الأزرق، فهناك اعتقاد بأن هذا الحجر يبعد الحسد وشر العين، كما يستعملون البخور حيث يبخرون أنفسهم ببخور معين يسمونه بخور العين والحسد اتقاء لشر العين و الحسد ومن جهة أخرى يستعملون الملح إذ أنه يلعب دورا كبيرا في طرد العين لديهم، فهم ينثرونه على الأرض أو على المحسود أو يتبخرون به و الشعب المصري من أكثر الشعوب العربية إيمانا بالعين.

ب- في دول الخليج:

يؤخذ المصاب إلى المشايخ و رجال الدين للقراءة عليه والاغتسال بماء مقروء عليه بعض آيات خاصة من القرآن الكريم، حسب ما جاء في السنة النبوية للنبي عليه الصلاة السلام في علاج العين والحسد أو الشرب من مياه زمزم، ومنهم من يستعمل الخرز الأزرق و التمائم التي تعلق على الأطفال و النساء، وفي السيارة أو البيت، وبعضهم يضع أحجبة مكتوبة من آيات القرآن لدفع تأثيرات الحسد و السحر.

ج- في المغرب العربي:

يبخرون بالشب والحرمل وكذلك قراءة آيات معينة لدرء العين، أو يذهبون بالمريض إلى الفقيه أو الشيخ العالم لعمل حجاب للحسود وتعليقه في رقبته لمدة أربعين يوما.

د- في بلاد الشام:

يلجأ غالبية الناس إلى معالجة آثار العين الحاسدة و الوقاية منها بالقرآن الكريم والأذكار، وعندما يشك المصاب بوجود العين، فإنه يلجأ لعمل حرز له من القرآن الكريم، وذلك بكتابة ورقة صغيرة عليها المعوذتان وآية الكرسي وتوضع في حجاب يحمله

المصاب، و كذلك يخلط الزعفران مع بخور معين ويبخر به المصاب مع قراءة أدعية خاصة عليه أثناء تبخيره.

ج1. علاج العين من القرآن:

يتم علاج العين والحسد من خلال الرقية الشرعية وذلك بقراءة الآيات: 225من سورة البقرة، و 117-122من سورة الأعراف، و 79-82 من سورة يونس، و65-70 من سور طه ثم يختم بسورة الكافرون، والمعوذتين، وآية الكرسي فتكون القراءة كالتالي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ [1]﴾ ؛ و قوله تعالى: ﴿لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ [2]﴾ ؛ وأيضا: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۞ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ ۞ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۞ قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ"[3] وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ۞ فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُواْ مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ۞ فَلَمَّا أَلْقَواْ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَيُحِقُّ اللّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ [4] ﴾. بالإضافة إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ۞ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ۞ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ۞ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى ۞ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ۞ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى[5]﴾.

---

[1]- من سورة البقرة، الآية 255.

[2]- من سورة البقرة، الآية 225.

[3]- من سورة الأعراف، الآيتان 117-122.

[4]- من سورة يونس، الآيتان 79-82.

[5]- من سورة طه، الآيتان 65-70.

ج2. علاج العين من السنة:

حدثنا محمد بن كثير أخبار سفيان قال: حدثني معبد بن خالد قال: سمعت عبد الله ابن شداد: "عن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرني رسول الله ﷺ – أو أمر– أن يسترقى من العين".

حدثنا محمد بن خالد محمد بن وهب بن عطية الدمشقي حدثنا محمد بن حرب حدثنا محمد بن الوليد الزبيدي أخبرنا الزهري عن عروة بن الزبير عن زينب ابنة أبي سلمة: " عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ رأى في بيته جارية في وجهها سفعة فقال : استرقوا لها فإن بها النظرة"[1].

وروى الترميذي أن أسماء بنت عميس– رضي الله عنها– قالت : يا رسول الله إن "بني جعفر" تصيبهم العين، أفأسترقى لهم؟ فقال: نعم، فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين"[2]

9.1.2- الحسد:

ان الهدف من البحث عن كلمة حسد هو انها تشترك مع معنى العين في بعض المفاهيم وقد لوحظ شيوع هذا في المعتقد الشعبي الى درجة التساوي مع ظاهرة العين[3]

تعريف الحسد:

1. لغة:

عندما بحثنا في مختلف المعاجم والكتب الدينية باللغة العربية، وجدناها تشترك في ربط الظاهرة بإيمان الفرد وتقواه، هذا ما يوضحه مدلول الكلمة، فحسده يحسده حسدا، إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته أو سلبهما[4]

ويقال حسودا وحاسدا وحسادة، لقول الشاعر:

وترى اللبيب محسّدا لم يجترم ۞ شتم الرجال وعرضه مشتوم. [5]

---

[1]– أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المرجع السابق.

[2]– محمد علي قطب: كيف ترقي نفسك من العين والحسد، دار المسلم للنشر و التوزيع ط1 2004 ص 71

[3]– سبوح رشيد المرجع السابق–بتصرف–ص85

[4]– الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقاسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1998 ص. 277

[5]– ابن منظور، المصدر السابق، ص. 148

ويقال حسده النعمة وحسده عليها، سواء كانت النعمة دينا أو دنيا[1].

فهو بغض نعم الله عند المحسود وتمني زوالها سواء أعادت هذه النعم على الحاسد أم لم تعد[2]

2. <u>شرعا:</u>

أما الحسد في لغة الشرع، فصلته وثيقة بالمنكر، باعتباره أداة مادية توظف للأذى، لهذا السبب، قد نهى عنه الإسلام قرآنا وسنة مصداقا لقوله، عز من قائل: "أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ"[3].

فهو أول ذنب عُصِيَ به الله في السماء، ونقصد بذلك حسد إبليس لسيدنا آدم عندما رفض السجود له وقال: ﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ"[4] ﴾. فهذه يعتبر حسد إبليس لآدم اول قصة في حق الحسد دون أن ننسى الجريمة الكبرى التي سجلت في التاريخ البشري بين الأخوين قابيل و هابيل و كان الدافع اليها الحسد [5]

ولعل قصة سيدنا يوسف – عليه السلام – مع إخوته، لأحسن مثال لظاهرة الغيرة والحسد، فقد قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ۞ اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ [6] ﴾.

ولم تغفل السنة النبوية الشريفة عن الحسد، فاعتبرته هي الأخرى من الأمراض الخبيثة بحيث جاء على لسان الرسول ﷺ عن أنس قال: "ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث"[7].

---

[1]– أبو زكريا يحي بن شرف، رياض الصالحين دار ابن باديس الجزائر 1991 ط. 13 ص. 466.

[2]– أبو المنذر خليل بن إبراهيم أمين، الطرق الحسان في علاج أمراض الجان، البليدة، دار الإمام مالك للنشر، د.ط، 1997 ص. 221

[3]– من سورة النساء، الآية 54.

[4]– من سورة الأعراف، الآية 12.

[5]– سبوحرشيد المرجع السابق –بتصرف–ص86

[6]– من سورة يوسف، الآيتان 8–9.

[7]– أبو زكريا يحي بن الشرف، المرجع السابق، ج.5 ص.465.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إياكم الحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب . أو قال العشب." [1]

أ. الفرق بين العين والحسد:

العين أمر عام شامل لكل الناس الذين يتميزون بقدر كبير من الإصلاح والتقوى[2] فالحاسة أعم وأخطر من العائن الذى يعتبر خاصا، فكل عائن حاسد وليس كل حاسد عائنا بالضرورة[3] لذلك جاء ذكر الاستعاذة في سورة الفلق من الحاسد، فإذا استعاذ المسلم من شر الحاسد، دخل في العائن وهذا من شمول القرآن وإعجازه وبلاغته[4].

تأتي كلمة حسد من الحقد والبغض وتمني زوال النعمة. فالنظرة والابتسامة وقسمات الوجه وطريقة أداء الكلمة. كل ذلك يعبر عما تكنه النفس وما يخفيه الإنسان في قرارات صدره، ولا بد أن تعكسه علامات على وجهه وتترجمه سلوكات ظاهرة.

إن مصدر العين هو الاستحسان و الإعجاب ولا يهدف من ورائها الأذية دائما وإلا كيف نفسر تعيين لنفسه ولماله ولبنيه ، فالعائن يتعامل مع ما هو كائن وما يراه أمامه فعلا أما الحاسد فانه يحسد فيما هو متوقع الحدوث قبل حدوثه مخافة تحقق أماني الطرف الآخر الذي قد يحصل على ما هو جميل وهنا تتجلى النفس الخبيثة لهذا الحاسد [5].

ب. علاج الحسد:

يمكن علاج الحسد وذلك بـ:

أولها: تقوية الإيمان بالله تعالى والاعتصام بدينه القويم واتباع هدي الرسول الكريم، فالله تعالى يقول: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم"﴾ ، ويقول: ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾.

ثانيها: الاستسلام لأمر الله.

---

[1]– أبو زكريا يحي بن الشرف، المرجع نفسه، ص.466

[2]– أبو المنذر خليل بن إبراهيم أمين، المرجع السابق ص.202

[3]– بالي وحيد عبد السلام، الصارم البتار في التصدي للسحرة والأشرار، البليدة، دار الإمام مالك، د.ط، 1998 ص.128.

[4]– ابن القيم الجوزية، زاد الميعاد في هدي خير العباد، بيروت، دار الكتاب العربي. الجزء 3، المجلد 2، ص. 126. د.ط، د.ت.

[5]– سبوح رشيد المرجع السابق–بتصرف–ص89

ثالثها: شكر الله على نعمه وذلك بتسخير هذه النعم فيما يرضي الله وفق ما أمرنا الله به، فنعمة المال، شكرها بالإنفاق على الفقراء والمساكين واليتامى، وأداء الزكاة والصدقات، وإقامة المصالح الخيرية التي تزرع المحبة والمودة في قلوب الآخرين وتنزع من صدورهم الغل والبغض والحسد، فيصبح المجتمع مجتمعا تسوده المحبة والمودة.

رابعها: الاحتراز من العين، وهو ستر محاسن من نخاف عليه العين بما يرد عنه.

خامسها: التزود من الأدعية التي علمنا إياها النبي ﷺ " أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة"[1]

الإكثار من قراءة المعوذتين وسورة الإخلاص والفاتحة وآية الكرسي، رقية جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: بسم الله أرقيك من شر كل شيء يؤذيك ومن شر كل ذي نفس أو عين حاسد، الله يشفيك باسم الله أرقيك.

وإذا كان الإنسان يخشى ضرر عينه وإصابتها للآخرين فليدفعها بقوله "اللهم بارك عليه" فقد قال ﷺ: "إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة.

لن يرتقي المجتمع و لن يتقدم ما لم يتبع منهج الله تعالى وتعاليمه والسير على هدى رسوله ﷺ فتوثق العلاقات بين أفراد المجتمع و تتناسى الأحقاد والضغائن.

10.1.2- المعنى اللغوي للحلم:

يعرف ابن منظور الحلم كالتالي: حلم: الحلْم و الحُلمُ: الرؤيا و الجمع أحلام.

يقال حلم يحلم إذا رأى في المنام، ابن سيده: حلم في نومه يحلم حلما واحتلم وانحلم.

قال بشر بن أبي خازم: أحق ما رأيت أم احتلام؟ ويروى أم انحلام.

وتحلم الحلم: استعمله.

وحلَم به وحلَم عنه وتحلم عنه: رأى له رؤيا أو رآه في النوم.

حلم بالفتح إذا رأى و تحلم إذا ادّعى الرؤيا كاذبا.

[1]– أحمد عبد الجواد. الدعاء المستجاب من الحديث والكتاب، المدينة المنورة ص. 76، د.ط، د.ت.

والحلم عبارة عما يراه في نومه من الأشياء... ولكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير و الشيء الحسن و غلب الحلم على ما يراه من الشر و القبيح منه قوله: أضغاث أحلام.

وتُضَمُّ لامُ الحُلُم وتُسْكَنُ ويستعمل كل واحد منهما موضع الآخر، الجوهري: الحلم بالضم ما يراه النائم وتقول حلمت بكذا و حلمته.

المعنى الاصطلاحي:

أ. الحلم في الاصطلاح الإسلامي:

يرد مصطلح ما يراه الإنسان في نومه في المصطلح الإسلامي باسم الرؤيا وإن كان يدل في بعض الأحيان على الحلم ويستعملان أحدهما بدل الآخر وإن كان الشائع أن الرؤيا للأمور الحسنة والحلم للأمور السيئة.

"الرؤيا نوع من أنواع الكرامات و تحقيق الرؤيا، خواطر ترد على القلب وأحوال تتصور في الوهم إذا لم يستغرق النوم جميع الاستشعار، فيتوهم الإنسان عند اليقظة أنه كان على رؤية في الحقيقة و إنما كان ذلك تصورا و أوهاما تقررت في قلوبهم و حين زال عنهم الإحساس الظاهر تجردت تلك الأوهام عن المعلومات بالحس والضرورة فقويت تلك الأحوال التي تصورها بالإضافة إلى حال إحساسه بالمشاهدات وحصوله العلوم الرياضية.... ثم إن تلك الأحاديث و الخواطر التي كانت ترد على قلبه في حال نومه مرة تكون من قبل الشيطان ومرة من هواجس النفس ومرة بخواطر الملك ومرة تكون تعريفا من الله عز وجل بخلق تلك الأحوال في قلبه ابتداء"[1].

"الرؤيا هو ما يرى في النوم و الواقعة ما بين النوم و اليقظة أو في حال الغيبوبة عن الإحساس بالذكر والكشف لا يكون فيهما، بل في اليقظة وحضور الحواس و الأولان قد لا يكونان صادقين أو يكون بعضهما صادقا وبعضهما من تلبيس المخيلة ويكونان قابلين التعبير بخلاف الكشف"[2].

---

[1]– د. رفيق العجم – موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي– مكتبة لبنان ناشرون الطبعة الأولى 1999

[2]– د. سميح دعم: موسوعة مصطلحات الفكر العربي و الإسلامي الحديث و المعاصر– الجزء الأول– مكتبة لبنان ناشرون الطبعة الأولى 2000

ب. الحلم في المصطلح العلمي:

لا يرد في المصطلحات العلمية إلا مصطلح "الحلم"

"هو نشاط عقلي يجري أثناء النوم، يتحدد الحلم بنمط حصوله خلال بعض فترات مميزة من النوم. وبالمحتويات الخاصة لهذا النشاط العقلي وباستخدام قصته لهدف علاجي في الطب العقلي و التحليل النفسي"[1]

الحلم في القرآن الكريم :

ورد ذكر الأحلام في القرآن الكريم في مواضع مختلفة من كتاب الله تعالى، فقد جاءت مبينة في سور كثيرة أوردها الله– سبحانه و تعالى– بمسميات مختلفة، فتارة ترد باسم الأحلام وأخرى باسم الرؤيا و البشرى أو البشارة، و جاءت باسم المنام كما ذكرت باسم الأحاديث: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [2]﴾.

لقد ورد في تفسير ابن كثير أن المنام مصرح به في الآية ولا يحتاج إلى تأويل" قال مجاهد أراهم الله إياه في منامه قليلا وأخبر النبي ﷺ أصحابه بذلك فكان تثبيتا لهم"[3].

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۞ قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [4]﴾.

إن روح الإنسان تنتقل أثناء نومه من عالم الشهادة إلى عالم الملكوت، عالم السماوات" روي عن أبي الدرداء قال: إذا نام الرجل عرج بروحه إلى السماء حتى يؤتي بها العرش فإن كان طاهرا أذن له بالسجود"[5].

---

[1]– رولان دورون وفرنسوا زباردو: موسوعة علم النفس– تعريب فؤاد شاهين ، رئيس قسم علم النفس في الجامعة اللبنانية، المجلد الثالث منشورات عويدات، د.ط، 1992

[2]– من سورة الأنفال، الآية43.

[3]– اسماعيل بن كثير: تفسير ابن كثير، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، د.ط، 1981.

[4]– من سورة يوسف، الآيات 4–5–6.

[5]– محمد بن سيرين: منتخب الكلام في تفسير الأحلام، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت، د.ط، 2002 ص378.

"وقال بعض السلف يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا وأرواح الأحياء إذا ناموا فتعارف ما شاء الله تعالى أن تتعارف"[1].

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ ..... قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾. فقد جاء في تفسير هذه الآية عند ابن كثير أن الفتيان اللذان دخلا السجن مع يوسف رأى كل واحد منهما مناما وعرضاه على يوسف لتعبيره لهما " والمشهور عند الأكثرين ما ذكرناه أنهما رأيا مناما وطلبا تعبيره"[2].

﴿ وَقَالَ المَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ... يَعْصِرُونَ [3].﴾ فقد ذكر القرآن الكريم في هذه الآيات الكريمات الرؤيا من الفعل "أرى" كما ذكر العلم وأضغاث الأحلام.

" وإنما سميت أضغاثا لاختلاطها فشبهت بأضغاث النبات وهي الحزمة مما يأخذ الإنسان من الأرض، فيها الصغير والكبير والأخضر واليابس والرطب"[4].

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ... حَقًّا"[5].﴾

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ[6]﴾.

وقد ورد ذكر الأحاديث في هذه الآية دلالة على الرؤيا، وفيها دلالة أن الرؤيا يمكن أن تأول وتعبر كما هو وارد عند المفسرين.

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ... الْمُحْسِنِينَ"[7].﴾

إن الرؤيا التي رآها إبراهيم والتي وردت في هذه الآيات تعتبر عند المفسرين وحي من الله " فإن من الأنبياء – صلوات الله عليهم– من كان وحيه الرؤيا فهو نبي ومن كان على لسان الملك وهو في اليقظة فهو رسول فقط وهذا هو الفرق بين الرسول والنبي"[8].

أما ما ورد من رؤيا الملك في سورة يوسف، فقد اختلف المفسرون في رؤيا الكافر، هل تصدق أم لا؟ فقد أورد المفسرون أنها يمكن أن تصدق ولكن لا تعتبر مثل رؤيا المؤمن. "قال

---

[1]– عماد الدين إسماعيل بن كثير" مختصر تفسير ابن كثير " دار القرآن الكريم بيروت ط 7 1981 ص 222.

[2]– إسماعيل بن كثير: المصدر نفسه، ص 479.

[3]– من سورة يوسف، الآيات 43، 44، ...49.

[4]– عبد الغني النابلسي، تعطير الأنام في تعبير المنام–دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع–بيروت 2002–ص. 5

[5]– من سورة يوسف، الآية 100.

[6]– من سورة يوسف، الآية 101.

[7]– من سورة الصافات، الآيات 102، 103، 104، 105.

[8]– محمد بن سيرين، المرجع السابق ص.393.

ابن حزم: وقد تصدق رؤيا الكافر ولا تكون حينئذ جزء من النبوة ولا مبشرات ولكن إنذارا له ولغيره وواعظا"[1].

فهذه إشارة إلى أن الأحلام قابلة للتأويل والتعبير والتفسير. وهذا ما جعل بعض العلماء يتخذ من ذلك أساسا لوضع علم ، سمي "بعلم التعبير" واعتبروه من العلوم الشريفة.

"وقد من الله تعالى على يوسف عليه السلام بعلم الرؤيا وهو العلم الأول منذ ابتداء العالم، لم يزل عليه الأنبياء والرسل – صلوات الله عليهم – يأخذون به ويعملون عليه حتى كأن نبوءاتهم بالرؤيا وحي من الله عز وجل إليهم في المنام وما كان قبل النبي ﷺ من علوم الأوائل أشرف من علم الرؤيا"[2].

ذكر القرآن الكريم الأحلام بمسميات مختلفة بمعانيها و سياقاتها التي ذكرت فيها.

فقد تكون بشرى لنبي كما ورد في سورتي الأنفال و الفتح، أو لمؤمن أمده الله بولايته كما جاء في سورة يونس، كما تكون وحيا، حيث ورد عند مفسري القرآن الكريم أن الله أوحى إلى يوسف في المنام، لذلك أوصاه أبوه يعقوب أن يكتم الأمر عن إخوته حتى لا يدب إليهم الحسد فيبغون له، كما أوحى الله إلى نبيه إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل في المنام أيضا" فرؤيا الأنبياء وحي بخلاف غيرهم، فالوحي لا يدخله خلل لأنه محروس بخلاف رؤيا غير الأنبياء فإنها قد يحضرها الشيطان"[3]

11.1.2- الرؤيا و علاقتها بالغيب:

الرؤيا حق عند كثير من العلماء و لا يمكن إنكارها كما لا يمكن إنكار الوحي، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:" أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح"[4].

---

[1]– محمد فريد وجدري، دائرة المعارف العلمية بيروت – لبنان، ط3 1971 باب الرؤيا

[2]– عبد الغني النابلسي: المرجع السابق

[3]– أبو حجر العسقلاني: المرجع السابق ص 429

[4]– البخاري: صحيح البخاري، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1 2004 رقم الحديث 4956 ص1281

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: "الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة و أربعين جزاء من النبوة"[1].

وقد حاول العلماء أن يفرقوا بين أنواع الرؤيا، وذلك لإزالة اللبس على عامة الناس، الذين يقعون ضحايا لجهلهم فيعتقدون أنكل من رأى رؤيا و أخبر بها أو أصاب فيها وفي تأويلها، إنما هو من أولياء الله وإتباع الرسل.

– الرؤيا التي من عند الله: وهذه لا تنسى بعد اليقظة وتكون صادقة ومفهومة، وكثيرا ما تكون متعلقة بأحوال الشخص الدينية، من نصح أو وعد أو تهديد و ما إلى ذلك.

– اللمة الملائكية: و هذه كثيرا ما تكون متعلقة بنص أو إرشاد أو تنبيه، و تكون صادقة كذلك و ليس بها أخلاط.

وهذان القسمان بعدهما العلماء من الرؤيا الحقيقية و الصادقة، و يمكن تفسيرهما بحسب الضوابط الشرعية و الدينية، "كما فعل رسول الله ﷺ، وكثيرا من أصحابه، ولعل سيدنا يوسف عليه السلام لأكبر دليل على إمكانية تفسير وتأويل الرؤيا"[2].

– رؤيا التخيلات النفسية: و هي متعلقة بالنفس البشرية وما ينجم عنها من أهواء وتأثر بالحياة و الظروف كرؤية من غاب عنا و اشتقنا إليه و غير ذلك.

– الرؤيا التي يكون المصدر الأمراض والأخلاط وهي مرتبطة بالمتغيرات والمتقلبات التي يعيشها الفرد فتكون معالمها مبهمة وغامضة[3]

– الرؤيا التي من الشيطان أو الحلم: و هي أن يعمد الشيطان إلى الإنسان فيريه أشياء عجيبة ما أنزل الله بها من سلطان أو يعمد إلى وسوسته في أمور دينه و دنياه.

وهذه الأنواع الثلاثة الأخيرة هي التي يسميها العلماء بأضغاث الأحلام يقول ابن خلدون: ومن هذا التقرير يتبين لك الفرق بين الرؤيا الصادقة و أضغاث الأحلام الكاذبة، لكن إن كانت تلك الصور منزلة في الروح العقلي المدرك، فهي رؤيا صادقة، وإن كانت

---

[1]– زين الدين أحمد عبد اللطيف الزبيدي: مختصر صحيح البخاري، المسمى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، اعتنى به وراجعه الشيخ حسن عبد العال، المكتبة العصرية بيروت، د.ط، 2005م رقم الحديث 2176 ص 480.

[2]– ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج2 دار ابن حزم د. ط4 2002م ص 1512

[3]– مهداوي ياسين المرجع السابق–بتصرف – ص124

مأخوذة من الصور التي في الحافظة التي كان الخيال أو دعها إياه منذ اليقظة فهي أضغاث أحلام"[1].

من خلال ما سبق يتبين لنا أن للرؤيا علاقة بالغيب و أن اعتقادات الناس في ذلك اختلفت و كذلك مراتبهم فمنهم من كانت رؤيته من الله ومنهم من كانت رؤيتهم من الشيطان.

12.1.2- تعريف العدد

يعتبر قياس الأشكال والموضوعات وتقدير الكميات من الأمور التي اهتم بها الإنسان منذ أيام وجوده الأولى، وهو اهتمام عجّل بالتفكير في إيجاد أداة وسيلة تستعمل لهذا الغرض. و قد استطاع رغم محدودية خبراته و مكتسباته أن يضع لنفسه وحتى لغيره أساس العدد و الإشارة والرمز،فقام بالربط بين هذا الأساس والموضوعات التي تتشكل منها حياته، وهي محاولة أولى تمت باستعماله لكلمات وإشارات مثل قليل أو كثير، واحد، اثنان وثلاثة و لم يتعداها، كما استعمل أصابع اليد وحركاتها[2].

وهذا التحديد الأولي البسيط للعد والعدد من قبل الإنسان سمح له " بعد وإحصاء الأشياء و الموجودات و ترتيبها و كذا تمكن من قياس أطوالها"[3].

لكن الإنسان احتاج إلى رمز للتغير والإشارة إلى تلك الأشياء والموجودات، فكان أن بدأ بعملية الترميز و التسمية.

لهذا يعتبر الرمز هنا إشارة أو علامة، "وما دل على غيره أي دلالة المعاني المجردة على الأمور الحسية"[4]

فالعدد "عبارة عن أشكال مختلفة محددة، تواضع عليها الأفراد واستعملوها رموزا وإشارات لكل ما يمكن قياسه أو تقديره"[5]

---

[1]– ابن خلدون، المصدر السابق ص 844

[2]– ماحي عبد اللطيف: رمزية العدد في الفكر الشعبي بين المقدس والدنيوي 2003–2004 ص 8

[3] –Grand Dictionnaire encyclopédique Larousse p 1984

[4]– جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1 دار الكتاب اللبناني 1978 ص 620

[5]– ماحي عبد اللطيف: المرجع نفسه ص 15

مفهوم العدد عند العرب

الملفت للنظر أن العرب، رغم تأثرها بما فعله الهنود في هذا الحقل، لم يقفوا عند حدود الاقتباس، فقد سعوا إلى جعل هذا النظام بسيطا يمكن عقول هذه الأمة الناشئة من حسن التعامل به وإجرائه في الميادين الجديدة، التي لم تكن موجودة لديهم من قبل، و لم يكن لديهم عنها أو حولها أي علم أو معرفة مثل مواقيت الصلاة وتحديد اتجاه القبلة وتحديد حصص الميراث....

وفي ظل هذا النظام الجديد، أصبح كل رقم يتصف بقيمتين، قيمة في ذاته على اعتبار أنه كيان عقلي يحمل معنى معينا، وقيمة بالنسبة إلى المنزلة التي يقع فيها (الآحاد والعشرات والمئات والآلاف).

ويمكن أن نضيف ميزة أخرى هي ميزة الصفر، فمعناه لاشيء لكن استعماله حقق فوائد جمة، منها أنه سهل عملية الترقيم و التغير وأعمال الحساب و الصرف خاصة لدى التجار، وله من القوة ما يمكن من التعبير عن العشرات و المئات و الآلاف[1].

...لقد أبدع العرب في الحساب و برزت في ذلك براعتهم" طبق المسلمون علم الحساب في تجارتهم اليومية، وعلم الجبر في علم الميراث المعروف بعلم الفرائض، و لم يجعلهم ذلك يقفون عند حدّه، بل دفعهم إلى البحث عن معرفة أوقات الصلاة التي تختلف حسب المواقع،و من يوم لآخر. و من المعروف أن حسابها يحتاج إلى معرفة عرض الموقع الجغرافي و حركة الشمس في البروج و أحوال الشفق الأساسية، ودفعتهم رغبة معرفة سمت القبلة وهلال شهر رمضان إلى اختراع حسابات و طرق متناهية الدقة. [2]

"من هذا الكلام يمكن القول أن العرب تجاوزوا الإغريق في نظرتهم إلى الأعداد التي جعلوا منها مبدأ الوجود، وبهذا أصبح العدد ثابتا و إليه يرد كل شيء، لكنه عند العرب اتخذ صورة.

---

[1]– ماحي عبد اللطيف: المرجع السابق ص 18

[2]– علي عبد الله الدفاع نوابغ ، علماء العرب و المسلمين في الرياضيات، مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر 1978 ص 66

عملية جسدته المعاملات اليومية من بيع وشراء و صدقة وتجارة وتوزيع للثروات و رواتب الجيوش وإجراء الغنائم و تحديد المواقيت و الأهلة.... وهي كلها معاملات تتعلق بحاجات الإنسان المتغيرة و مقتضيات العصر و جعلوه يتصل اتصالا وثيقا بهما"[1].

أ. بعض طقوس العدد

وعن العدد سبعة الذي هو أبهة الأعداد، نجد الكثير من الطقوس المتعلقة به والمنتشرة هنا وهناك، فالمرأة العاقر وحتى تنجب عليها أن تتحزم بسبعة أحزمت وتعلق إحداهن على شجرة بعد أن تدور عليها سبع مرات. ولعلاج أحد أمراض العين(البصر) يجب تمرير سبع حبات من القمح أو الشعير على مكان المصاب من العين.

ومن الطقوس كذلك أن يقوم المسافر عندما ينزل في مكان مهجور بالدوران حوله سبعة مرات قبل أن ينام فيه.

ومن الأمثلة كذلك أن يؤخذ كمية من الملح ويدور بها على رأس المريض سبعة مرات و ذلك عند الإصابة بالعين أو بمرض معين.... و إلى جانب هذه الأمثلة حول هذا العدد هناك الاحتفال باليوم السابع لمولد الطفل، والغسل من نجاسة الكلب سبع مرات. [2]

ب. العدد سبعة عند الديانات السماوية

ب1. العدد سبعة عند العبرانيين

العدد سبعة: رمز للمبدأ المطاع من قبل ما هو دائم وباق، و هو مبدأ يتضمن ويشير إلى كل الأنظمة سواء تعلقت بالأرض أو بالسماء أو بالأخلاق أو بكل الطاقات و خاصة تلك التي هي من طبيعة روحية. وهو السبت sabbat الذي جعل الله منه يوم عيد استراح فيه بعد أن خلق في ستة أيام، إنه يوم التتويج. [3]

---

[1]– ماحي عبد اللطيف: المرجع السابق ص20.

[2]– ماحي عبد اللطيف: المرجع نفسه ص22.

[3]– ماحي عبد اللطيف: المرجع نفسه ص34.

ب2. العدد سبعة في المسيحية

العدد سبعة: معنى السبعة هو الكلية أو المجموع المتحرك والديناميكي، له شأن واعتبار عندهم، فهو مفتاح الرؤيا التي قال بها القديس يوحنا و التي تشير إلى 7 كنائس، 7 نجوم، 7 مزامير، 7رؤوس، 7 ملوك، 7 رعود... استعمل هذا العدد كثيرا في الإنجيل حتى قيل بشأنه أنه يتضمن قوة، إنه عدد سحري، بل إنه الابن المدلل لعلم الأعداد الإنجيلي. جاء في إحدى كتابتهم أن هذا العدد استعمل 77 مرة في إنجيل العهد القديم[1].

ب3. العدد سبعة في الإسلام

- **القرآن:**

في القرآن الكريم ذكر للعدد سبعة، ولعله العدد الأكثر ورودا و الأكثر أبهة يقول ابن قيم الجوزية في هذا العدد:" .... وأما خاصية السبع فإنها قد وقعت قدرا وشرعا، فخلق الله عز وجل السموات سبعا والأرضين سبعا والأيام سبعا والإنسان كل خلقه في سبعة أطوار، وشرع الله لعباده الطواف سبعا و السعي بين الصفا والمروة سبعا ورمي الجمار سبعا وتكبيرة العيدين سبعا في الأول، و قال رسول الله ﷺ مرورهم بالصلاة لسبع و إذا صار للغلام سبع سنين خير بين أبويه في رواية و في رواية أخرى أبوه أحق به من أمه وفي ثالثة أمه أحق به. وأمر النبي ﷺ في مرضه أن يصب عليه من سبع قرب و سخر الله الريح على قوم عاد سبع ليال ودعا النبي ﷺ أن يعينه الله على قومه بسبع كسبع يوسف، ومثل الله سبحانه ما يضاعف به صدقة المتصدق بحبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، و السنابل التي رآها صاحب يوسف سبعا والسنين التي زرعوها دأبا سبعا وتضاعف الصدقة إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ويدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب سبعون ألفا"[2].

- **كلمة سبع في القرآن الكريم:**

ذكرت كلمة "سبع" في القرآن الكريم 18 مرة وهي:

---

[1] –Dictionnaire des symboles - J. chevalier/ Agheerbrant p861 1982 paris 39

نقلا عن ماحي عبد اللطيف: المرجع نفسه ص 39

[2] – ابن القيم الجوزية: المرجع السابق ص 95

- ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ [1]﴾.
- ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ" [2]﴾.
- ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ[3]﴾.
- يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ "[4]﴾ .
- ﴿ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ [5]﴾
- ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ"[6]﴾
- يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ"[7]﴾
- وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ [8]﴾.
- ﴿ قالَ تَزْرَعُو﴾نَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا [9]﴾ .
- ﴿ ثم يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ [10]﴾.
- ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ [11]﴾.
- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ [12]﴾.
- ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ [13]﴾.
- ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ [14]﴾.

---

[1]– من سورة البقرة، الآية 29.

[2]– من سورة البقرة، الآية 261.

[3]– من سورة يوسف، الآية 43.

[4]– من سورة يوسف، الآية 43.

[5]– من سورة يوسف، الآية 43.

[6]– من سورة يوسف، الآية 46.

[7]– من سورة يوسف، الآية 46.

[8]– من سورة يوسف، الآية 46.

[9]– من سورة يوسف، الآية 47.

[10]– من سورة يوسف، الآية 48.

[11]– من سورة الإسراء، الآية 44.

[12]– من سورة المؤمنون، الآية 17.

[13]– من سورة المؤمنون، الآية 86.

[14]– من سورة فصلت، الآية 12.

- ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا [1]﴾.
- ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا [2]﴾.
- ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا [3]﴾.
- ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ [4]﴾.

- **كلمة سبعا في القرآن الكريم :**

ذكرت كلمة سبعا مرتين

-﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ [5]﴾
- ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا [6]﴾.

- **كلمة سبعة في القرآن الكريم:**

- ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ"[7]﴾.
- ﴿لهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ "[8]﴾.
- ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ "[9]﴾.
- ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ [10]﴾.

- **كلمة" سبعين" في القرآن:**

- ﴿ واخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا [11]﴾.
- ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ [12]﴾.

---

[1]- من سورة الملك، الآية 3.
[2]- من سورة الحاقة، الآية 7.
[3]- من سورة نوح، الآية 15.
[4]- من سورة الطلاق، الآية 12.
[5]- من سورة الحجر، الآية 87.
[6]- من سورة النبأ، الآية 12.
[7]- من سورة البقرة، الآية 196.
[8]- من سورة الحجر، الآية 44.
[9]- من سورة الكهف، الآية 22.
[10]- من سورة لقمان، الآية 27.
[11]- من سورة الأعراف، الآية 155.
[12]- من سورة التوبة، الآية 80.

- **قدسية العدد سبعة 7:**

لم ينل عدد من الأعداد من التقديس بعد العدد واحد مثلما ناله العدد 7 سبعة، فقد منحته الديانات السماوية وكذا المعتقدات الشعبية مكانة يتحدد بموجبه عدد بعض الأمور منها:

- أن أبواب النار سبعة
- رؤية ملك مصر المتمثلة في سبع بقرات
- يؤمر الولد بالصلاة عند سن السابعة
- الطواف حول الكعبة سبعة أشواط
- وبين الصفا والمروة سبعة أشواط
- وعدد رمي الحصى و الجمرات سبع مرات
- وعدد آيات الفاتحة سبع آيات
- و العدد سبعة وتر ويدل على عظيم مخلوقات الله، إذا أنه جعل كثيرا منها وترا: السموات و الأرضون والبحار وأيام الأسبوع وغيرها.
- و"السبوع" هو مرور سبعة أيام على المولود ومن السنة تسميته بعد ذبح العقيقة.
- و يرمز العدد إلى مضاعفة الحسنة إلى سبعمائة، ولكن القرآن استعمل العدد سبعة مع السنابل وفي كل سنبلة مائة حبة. قال تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"[1] ﴾.
- وعدد تكبيرات العيدين سبعة في الركعة الأولى.
- وذكر الله في القرآن الكريم سبع سموات وسبع أراض.
- وهناك القراءات السبع.

[1]– من سورة البقرة، الآية 261.

- والرسول ﷺ نهانا عن السبع الموبقات (المتمثلة في الشرك والسحر وقتل النفس والربا وأكل مال اليتيم والتوالي يوم الزحف وقذف المؤمنات الغافلات.
- و هذا العدد يمثل خاصية من خصائص عباد الله المؤمنين حيث يظلّهم الله بظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه: "سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله": الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه"[1]

- **دنيوية العدد سبعة 7:**

ولم يغب هذا العدد على الفلاحين، فقد أطلقوا هذا العدد على أيام معدودة وهي: السابعة، وقد أشار الدكتور عبد الملك مرتاض في كتابه" في الأمثال الزراعية" إلى هذا بقوله أن الفلاحين الجزائريين يزعمون أن الهواء في هذه الأيام أنفع للزراعة من الغيث نفسه ولذلك قالوا: السابعة هواها خير من ما ها"[2]

و من أمثال العامة:

- القط عنده سبعة أرواح.
- العقايب على سبعة.
- وتوصل العلم إلى تحديد سبعة ألوان للضوء المرئي وسبعة للضوء غير المرئي.
- و في الميدان البيولوجي، أثبت العلم أن الإنسان يتكون من سبعة أمور وهي: الذرة، الجزيء، الجين، الكروموزوم، الخلية، النسيج، العضو.
- ويدل "السبوع" على دورة كاملة للأيام.
- ومنه الولد السباعي الذي مكث في بطن أمه سبعة أشهر.
- أما الحكايات الشعبية فإننا نجد منها الكثير الذي يروي قصة الغول ذا سبعة رؤوس، الأفعى ذات سبعة رؤوس، الأخوات السبع، الأقزام السبعة...

---

[1]– صحيح مسلم ج2 ص 715

[2]– عبد الملك مرتاض: في الأمثال الزراعية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982 ص 187

... والعدد سبعة[1] يفوق في قوته الرمزية العدد ثلاثة من حيث الانتشار والذيوع، خاصة في الثقافات الدينية السماوية الثلاث والأمثلة الدالة على هذا تغني عن الحصر[2].

.... و ليس كل من يموت– في تصور الجماعة الشعبية تعود روحه من العالم الآخر في هيئة "عفريت"يتسبب في إيذاء بعض الأفراد، و ذلك حين يتراءى لهم في صور مختلفة و لكن الذي يموت قليلا فقط هو من تعود روحه مرة ثانية إلى الحياة ويلاحظ أن الجماعة الشعبية تطلق لفظ "قتيل" على كل من مات ميتة غير طبيعية، كأن يموت غريقا، أو نتيجة حادث....إلخ[3].

ولعل مردّ هذا الاعتقاد إلى التصور القديم يعتبر الدم " مكمن الروح"[4]. وبما أن بعضا من دم القتيل لا بد قد سال من جسده، فإن هذا يعني أن روحه لم تنقل إلى العالم الآخر كاملة، فيكون منطقيا حسب الاعتقاد أن تعود إلى الدنيا مرة ثانية، حتى يتم القيام بعدد من الطقوس لاسترضائها[5].

---

[1]– وورد في القرآن الكريم على سبيل المثال لا الحصر في سورة البقرة: "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم" الآية 29..... نقلا عن فارس خضر: المرجع السابق ص 34

و في المسيحية يرمز الرقم سبعة للكمال المطلق، لأن الله خلق الكون في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع، كما أن السيد المسيح قال سبع كلمات و هو فوق الصليب نقلا عن فارس خضر: المرجع السابق ص 34

[2]– يذكر د. عبد الوهاب المسيرى: في سفر زكريا(13،11،4) تفسير لشعلات الشمعدان السبع بأنها: أعين الإله الجائله في الأرض كلها.... و يفسر يوسيفوس شعلاته السبع بأنها ترمز إلى الكواكب السبعة، وهناك تفسير آخر يرى أن أفرغه رمز للآباء.... كما ورد في سفر التكوين (9/ 704) ما يسمى قوانين أو شرائع نوح التي فسرها الحاقامات بأنها سبعة،"....." وأحيانا يطلب إلى العروس أن تدور سبع مرات حول العريس، وتقرأ الأدعية أحيانا على كأس خمر يشرب منه العريس و العروس. فارس خضر العادات الشعبية بين السحر و الجن و الخرافة، مجلة الإذاعة و التلفزيون 2008/ ص 34

[3]– فارس خضر: المرجع نفسه ص 19

[4]– فارس خضر: المرجع نفسه ص 19

[5]– فارس خضر: المرجع نفسه ص 19

13.1.2- المعجزة:

1. تعريف المعجزة:

- **لغة:** أعجزه الشيء إذا فاته، وأعجزه تعجيزا ثبطه أو نسبه إلى العجز.
- **وفي الشرع:** هي أمر ممكن عقلا خارقا للعادة يجريه الله تعالى على يد رسول أو نبي على سبيل التحدي، ليثبت صدق دعوته، وصحة رسالته وكأن الله يخرق عادته ليقول لعباده المرسل إليهم، صدق عبدي و رسولي فيما يبلغ عني[1].

وقد عرف ابن كثير المعجزة بقوله: هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي صراحة أو ضمنا، يجريه الله على يد من يدعي النبوة، فإذا قام إنسان وادعى النبوة، وقال الدليل على صدقي أن يجري الله على يدي ما يخالف المألوف من عادته، ثم يتحدى الناس زرافات و وحدانا، أن يأتوا به وفيهم الكثيرون ممن هم على شاكلته، ثم لم يكن منهم إلا العجز، و عدم الاستطاعة، فلا شك أن هذا دليل قاطع و برهان ساطع على صدقه، وأن الذي جاء به من عند الله سبحانه وتعالى.

فمتى ظهرت المعجزة على يد إنسان، وقارن ظهورها بدعوى النبوة، علم ضرورة أن الله ما أظهرها إلا تصديقا لمن ظهرت عل يده لأن المجال أن يؤيده الله وهو كاذب إذ تأييد الكاذب تصديق له و تصديق الكاذب كذب و الكذب محال على الله تعالى[2].

والمعجزة عند ابن كثير مأخوذة من العجز، وهو ضد القدرة وأما عرفا فهي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة، وقيل هي أمر يظهره الله تعالى على يد نبي قائل للنبوة تصديقا لدعوته، ويكون بخلاف العادة عند تحدي المنكرين عن الإتيان بمثله[3].

ويرى الأستاذ بغدادي بلقاسم أن المعجزة نوعان حسية و عقلية، فأما الحسية مثل عصا سيدنا موسى عليه السلام، فهي تخاطب الإدراك الحسي، وهو مرحلة سابقة للإدراك

---

[1]– زهير حموي: المرجع السابق ص 36

[2]– ابن كثير: صحيح معجزات النبي، تحقيق محمد أحمد عيسى، دار الرشيد الجزائر الطبعة الأولى 2007م/ ص 11

[3]– ابن كثير : المصدر نفسه ص 12

العقلي، وقد خاطب الله سبحانه وتعالى بها الشعوب التي طغت فيها الناحية المادية على الناحية الشعورية العقلية.

أما المعجزة العقلية مثل القرآن الكريم، فنخاطب الإدراك العقلي وهو مرحلة أرقى وأسمى من الإدراك الحسي، وقد جاءت هذه المعجزة العقلية مناسبة لختم الرسالات، بعد أن وصلت شعوب البشرية إلى أرقى مراحل نضجها العقلي والفكري[1].

اتفق الدارسون على إن المعجزة غالبا ما تكون من جنس ما اشتهر و نبغ فيه القوم الذي بعث فيهم النبي و الرسول و قد أيدهم الله بمعجزات تتماشى مع عادات أقوامهم و أزمانهم [2].

فسيدنا موسى عليه السلام أرسل إلى قوم نبغوا واشتهروا بالسحر فأعطاه الله من جملة ما أعطاه آية مناسبة لما نبغ فيه واشتهر به قومه وأهل زمانه، فكانت آيته الكبرى هي العصا، التي تكون في يده عصا جامدة لا حياة فيها و لا أهمية لها، فإذا ألقاها انقلبت حية تسعى،وإذا ضرب بها البحر انفلق نصفين، لذا فلما رأى السحرة ما انقلبت إليه عصا موسى كانوا أول من ذهل وانبهر، لأنهم يعلمون ما هو السحر، وبالتالي فهم أول من عرف أن الذي جاء به موسى ليس من السحر، وإنما هو آية و معجزة فآمنوا به و بما جاء به.

لقد بعث عيسى عليه السلام في فترة كثرت فيها ممارسة الطب و في قوم ذاعوا في امتهانه فكانت تتناسب مع ما شاع في عصره إذ كان يصنع لهم من الطين طيرا ثم ينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ، وكان يعالج الأعمى والأبرص ، وكان يحيي الموتى باذن الله رغم انه لم يعرف اشتغاله بالطب ولا نبوغه فيه وكل هذا برهان على انه من صنع وقدرة الله عز و جل [3]

ومن ذلك معجزة رسول الله ﷺ، فقد بعث في وقت اكتمل فيه العقل البشري، وبلغت فيه البشرية سن الرشد، واختير من قوم عرفوا ببلاغتهم وفصاحتهم، فكانت آيته

---

[1]– بغدادي بلقاسم: المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1992/ ص 11

[2]– مهداوي ياسين المرجع السابق–بتصرف–ص45

[3]– مهداوي ياسين المرجع نفسه–بتصرف–ص46

ومعجزته الكبرى قرآنا، بلغ أقصى درجات البلاغة والفصاحة التي لم يعهد ها العرب من قبل، مع ما يحمله من حكمة في التشريع و نبل في المقاصد، وسمو في الأخلاق.

أ. المعجزة و المعتقدات :

قد يبدو غريبا للوهلة الأولى أن نربط المعجزة بالمعتقدات الشعبية لكن إذا ما أمعنا النظر في مقدمة ابن خلدون، فإننا نجد هذا الأخير قد تطرق إلى المعجزة حين فرق بينها وبين الكرامة، من جهة، وبينها وبين السحر من جهة أخرى،و كان ذلك في باب العلوم السحرية، ومن ثم، فقد حاول ابن خلدون شأنه شأن الكثير من العلماء الذين سبقوه، أن يزيل اللبس الذي قد يحدث عند عامة الناس بين المعجزة و الكرامة والسحر وغيرهما.

و قد ذكرنا أن المعتزلة مثلا، قد ذهبوا إلى إنكار وقوع الخوارق كلها عدا المعجزة، ولم يكن ذلك إلا لمنع اختلاط المعجزة بغيرها، من الخوارق و خاصة السحر، الذي ركز عليه كثير من العلماء، و ذلك لما قد يكون للساحر من تأثير على الناس، إذا اتخذ الدين عباءة الدين لباسا له.

وإذا كان أصل المعجزة ثابتا إلا أن الدخيل على المعجزة هو الذي يهمنا اطا علمنا ان الرواسب الثقافية للمجتمعات أو الموروث الثقافي لا يمكن للناس الاستغناء عنه، فالمجتمع العربي الجاهلي اعتقد كثيرا بالكهانة و السحر و غيرها من المعتقدات التي جاء بها الرسولﷺ فاتهموه بالسحر والكهانة وما إلى ذلك، وإذا كان هذا الأمر قد ولى بعد أن احكم الإسلام قبضته وعمت تعاليمه أرجاء المعمورة فانه قد عاد بعد اتساع رقعة الإسلام، وعادت هذه المعتقدات لتظهر من جديد خاصة وان العالم انقسم إلى طوائف وفرق كثيرة واصبح لكل منها معتقداته الخاصة به[1]

- **تخالف الأصل في المعجزة:**

ورغم أن المعجزة لم يشبها اللبس و التحريف بدرجة الكرامة و الرؤيا الصادقة مثلا، إلا أنها لم تسلم تماما من ذلك فقد حدث أن ادعى كثير من الدجالين النبوة، سواء أكان ذلك في زمن الرسول ﷺ أو بعده، و بالتالي فإنهم قد ادعوا أنهم يأتيهم الوحي من

[1]– مهداوي ياسين المرجع السابق–بتصرف–ص48

السماء و أن لهم معجزات تثبت ما يدعونه، و رغم دجلهم و إفكهم فإنهم استطاعوا أن يجمعوا حشودا من الناس، تصدق ما يقولون و تعتقد بما يدعون، وتبهر بما يعملون.

و الأكثر من ذلك أن بعض الطوائف، و الفرق التي تدعي انتماءها للإسلام، قد حرفت مفهوم المعجزة وأصلها كما هو الشأن بالنسبة لكثير من الأمور الدينية الأخرى، ومن هذه الطوائف نذكر مثلا بعض غلاة الصوفية، وبعض غلاة الشيعية.

و لعل بعض العلماء المسلمين كانت لهم وقفة مطولة مع مثل هذه الأمور، ومنهم ابن تيمية في كتابه الذي أسماه بالرسالة الصدفية، الذي رد فيه على أقوال وادعاءات الفلاسفة في ما يخص خوارق العادات، ومنها معجزات الأنبياء[1].

و حتى لا ندخل في الجدل الذي احتدم بين علماء المسلمين في هذا الشأن، والذي لا يزال الكثير من الغموض يكتنفه، نعود هنا إلى الذكر بأن المعجزة شأنها شأن الكثير من الأمور الدينية الأخرى، قد أخذت حصتها من المعتقدات الشعبية، التي قد لا تمت بصلة إلى أصل المعجزة، و مع ذلك فإن الناس و عبر الأزمنة قد تشبثت بمعتقداتها سواء الفكرية أو الاجتماعية أو الدينية أو غيرها، فكان أن تداخلت هذه المعتقدات حتى مع أقدس المقدسات، وبذلك لم تسلم المعجزة من التداخل.

[1]– ابن تيمية: الرسالة الصدفية: دار حزم ط1 /2004

ب. نماذج من معجزات الأنبياء :

ب1. معجزة إبراهيم عليه السلام:

لعل أهم معجزة أيدها الله سيدنا إبراهيم عليه السلام، أن جعله يلقي في نار متأججة محرقة، فلا تحرقه و تكون عليه بردا وسلاما.

يقول الإمام الشعراوي: جاؤوا بإبراهيم أمام آلهتهم و في حمايتها و أوقدوا نار هائلة ليحرقوه، و الحرق هنا أمام الآلهة و على مشهد منها ليكون الانتقام من إبراهيم عليه السلام انتقاما تباركه الآلهة، وتجعله رهيبا، و قد تعمدوا إحراقه أمام الآلهة، وزين لهم الله ذلك، ولم يمنعهم مع قدرته أن ينجي رسوله بما لا يحصى من الطرق الأخرى، كأن يختفي إبراهيم في أي مكان، و كانت هذه المسألة كفيلة أن تقي إبراهيم الحرق وتجعل المشركين لا يعثرون عليه. لكن لو حدث هذا لقال المشركون لو قبضنا على إبراهيم لأحرقناه، و كانت ستظل قوة الآلهة المزيفة التي يعتقدونها و يعبدونها مسيطرة على عقولهم، وأن لها النفع والضرر، و لذلك كان لا بد أن يبقي الله إبراهيم بين أيديهم ويلقى في النار ليشهد القوم جميعا على سفاهة أرائهم واعتقادهم، وعجز آلهتهم أمام قدرة الواحد[1].

إذن فمعجزة إبراهيم عليه السلام ليست النجاة في حد ذاتها و لو كان الهدف لينجوا من النار لمكنه الله من الهرب، أو منع المشركين من إشعال النار، كأن ينزل عليها المطر، ولكن الله عز وجل شاء أن تبقى نارهم متأججة محرقة و هائلة، كما شاء أن يلقي فيها إبراهيم عليه السلام ثم يعطل الله الذي خلق النار و جعل من صفاتها الإحراق، قانون الإحراق فيها ويجعلها بردا وسلاما عل نبيه و رسوله إبراهيم عليه السلام.

ب2. معجزة موسى:

لقد أتى الله سبحانه و تعالى رسوله موسى الكثير من المعجزات. و لأن المجال لا يتسع لذكرها جميعا سنكتفي بأكثرها شيوعا، و هي التي تحدى بها سحرة فرعون.

نبغ قوم موسى عليه السلام في السحر و علومه، و كانوا متفننين في عمله لا يقدر عليهم أحد لو برع في ذلك، فجاء موسى عليه السلام و قد أيده الله بمعجزة أشبه ما تكون بالسحر الذي نبغ فيه قومه، فكان أول من آمن به السحرة.

قد يطرح السؤال لماذا آمن السحرة بموسى و خروا له ساجدين؟

---

[1]– محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن ، دار الهدى الجزائر ط1 1998/ ص 18

والجواب لأن السحرة لما رأوا ما جاء به موسى، كانوا أول من عرف بأن الذي جاء به موسى عليه السلام ليس بالسحر، لأنهم كانوا أدرى من غيرهم بما يعملونه من السحر، الذين يرهبون به أعين الناس، ويخدعون به غيرهم، ولهذا كانوا أقدر الناس على فهم و استيعاب معجزة سيدنا موسى و أن عمل موسى أعظم وأكبر من السحر الذي يعملونه بكثير، فما كان منهم إلا أن سجدوا لما رأوا من قدرة الله عز و جل، والتي تجلت على يد عبده ورسوله موسى عليه السلام. يقول الله تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۞ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ [1] ﴾.

لقد كان سحرة فرعون علماء في تخصصهم ورغم ذلك فقد اثر فيهم موسى عليه السلام و أيقنوا ان ما جاء به موسى من معجزات لايمت الى السحر بصلة و انه لا يمكن للساحر مهما عظم أمره أنياتي بمثل ما جاء به موسى عليه السلام وقد تجاهلوا ما وعدهم به فرعون من الجزاء العظيم وان إيمانهم بالله سيقودهم الى العذاب المهين والأليم فانقلبوا ضده [2]

ب3. معجزة عيسى عليه السلام:

(إن سيرة سيدنا عيسى عليه السلام كلها معجزات، منذ ولادته من غير أن إلى نهاية حياته، حين رفعه الله عز و جل إلى السماء و خلصه من اليهود.

و يلاحظ أن معجزات عيسى عليه السلام مناسبة للعصر الذي بعث فيه كما هو شأن الرسل و الأنبياء غالبا، و العصر الذي أرسل فيه هو عصر المهارات الفائقة وخاصة الطب، فكان أن أيده الله بمعجزات تفوق بكثير من ألفه و ما نبغ فيه قومه، وظنوا أن لا أحد يجاريهم فيما يصنعون.) [3]

يقول الإمام الشعراوي: "....وعيسى جاء إلى قومه، و قد نبغوا في الطب، فأبرأ الأكمه و الأبرص، وزاد على ذلك بأنه أحيا الموتى عليه السلام بإذن الله [4].

---

[1]– من سورة الشعراء، الآيات 46–48.

[2]– مهداوي ياسين المرجع السابق–بتصرف–ص70

[3]– مهداوي ياسين المرجع نفسه ص70–71

[4]– محمد متولي الشعراوي: المرجع السابق ص 21.

إذن فمعجزات عيسى عليه السلام فاقت ما نبغ فيه قومه، و ما ألقوه ومن هذه المعجزات كما ذكر الإمام الشعراوي.

1. خلق الطير: فكان يخلق من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله.

2. إبراء الأكمه: و الأكمه هو الذي ولد أعمى، و كان عليه السلام يمسح عليه فيرتد بصيرا بإذن الله تعالى و قدرته.

3. إبراء الأبرص: كذلك كان يمسح على الأبرص الذي يصيبه مرض يشوه جلده، فيشفى من مرضه بإذن الله، والغريب أن هذا المرض ما يزال إلى يومنا هذا مستعصيا على الأطباء رغم ما وصل إليه العلم.

4. إحياء الموتى: فكان يلمس الميت أو يناديه، فترتد إليه روحه فيحييه، وذلك بإذن الله تعالى، الذي لا محيي للموتى بعد موتهم غيره.

5. إنباء الناس بما يأكلون و ما يدخرون: فقد أيده الله بأن جعله يعرف طعام الناس ومدخراتهم في بيوتهم التي هو عنها غريب.

و قد ذكر الله عز وجل ما ذكرناه من معجزات عيسى عليه السلام في قوله: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وأبرئ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ [1]﴾.

وعليه فسيدنا عيسى عليه السلام قد تحدى قومه بما نبغوا وأتقنوه حتى ظنوا أنه ليس على وجه الأرض من له القدرة أن ينافسهم في ذلك، فجاء لهم بما لم يخطر على بالهم، فجاوز ما صنعوه، فجاءهم وأتاهم بما لم يفكروا فيه البتة، كإحياء الموتى، لأنه لا سبيل إلى ذلك و لا قدرة لبشر فعله، إلا أن يكون الذي يؤيده الله كما شأن عيسى عليه السلام.

إن معجزات الأنبياء غير قابلة للجدل والمعارضة فهي تدل من دون ادنى شك على قدرة الله وعظمته من خلال خرق كل قانون او نظام اعتاد عليه البشر في حياتهم فيتجلى بذلك أن الله الذي خلق تلك القوانين التي يمشي عليها الكون قادرا ان يعطلها ويخرق المألوف عند الناس[2] .

---

[1]– من سورة آل عمران، الآية 49.

[2]– مهداوي باسين المرجع السابق–بتصرف–ص72.

14.1.2- الكرامة

أ. مفهوم الكرامة:

هي أمر خارق للعادة ممكن عقلا غير مقرون بالتحدي يجريه الله سبحانه وتعالى على يد بعض أولياء الصالحين، قال الله تعالى﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"[1]) ﴾.

يقول ابن كثير: "وقد عرف العلماء الكرامة بأنها أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم بمتابعة نبي كلف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها أو لم يعلم في حياته أو موته و لا تكون إلا لولي[2].

ويرى ابن تيمية أن كرامات الأولياء هي أيضا من آيات الأنبياء فإنها إنما تكون لمن يشهد لهم بالرسالة، فهي دليل عل صدق الشاهد لهم بالنبوة، وأيضا فإن كرامات الأولياء معتادة من الصالحين، و معجزات الأنبياء فوق ذلك، فانشقاق القمر والإتيان بالقرآن وانقلاب العصا حية و خروج الدابة من صخرة، لم يكن مثله للأولياء، و كذلك خلق الطير من الطين، ولكن آياتهم صغارا و كبارا كما قال الله تعالى: ﴿ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى"[3]﴾... فالآيات الكبرى مختصة لهم "الأنبياء" و أما الآيات الصغرى قد تكون للصالحين، مثل تكثير الطعام، فهذا قد وجد لغير واحد من الصالحين، لكن لم يوجد كما وجد للنبي ﷺ أنه أطعم الجيش من شيء يسير، فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وجد لديهم لكن لا يماثلون في قدره.... [4].

---

[1]– من سورة يونس، الآيات من 62 إلى 64.

[2]– ابن كثير: المصدر السابق ص 14.

[3]– من سورة النازعات، الآية 20.

[4]– ابن تيمية: النبوات، علق عليه وخرج أحاديثه محمد بن رياض الحمد السلفي الأثري: المكتبة العصرية – صيدا– بيروت، طبعة 2004م / ص 260.

ب- الكرامة في القرآن:

ورد في القرآن الكريم ذكر لبعض الخوارق التي ظهرت لغير الأنبياء من عباد الله الصالحين، و التي يعتبرها العلماء من باب الكرامات، كون هذه الخوارق وقعت لأناس عبدوا الله، وآمنوا به حق الإيمان، فحق أن يكونوا من أولياء الله الصالحين. ومن هذه القصص التي ساقها القرآن نورد على سبيل المثال.

- **قصة أصحاب الكهف:**

وهم الفتية الذين آمنوا بربهم، فتهددهم ملك الروم الجبار، فخرجوا هاربين بإيمانهم من بطشه إلى الكهف و لحق بهم كلبهم، فربض على باب الكهف يحرسهم، ثم بعثهم الله بعد ثلاثمائة عام وتسع سنين قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا"[1]) ﴾ ، وقد أورد الله سبحانه وتعالى قصتهم في القرآن الكريم و خصهم بسورة الكهف.

- **قصة السيدة مريم:**

تعتبر قصة السيدة مريم من بين الكرامات التي ذكرت في القرآن الكريم إذ أنها لما كانت في المحراب تتعبد كان الله يرزقها من دون أن تبذل أدنى جهد فتأكل فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف [2] . **قال تعالى :** ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا قالت هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ [3]﴾ .

---

[1]– من سورة الكهف، الآية 9.

[2]– مهداوي ياسين المرجع السابق –بتصرف–ص76

[3]– من سورة آل عمران، الآية 37.

15.1.2- الفراسة:

قد لا تصل الفراسة إلى درجة الكرامة أو المعجزة مع أنها من الخوارق، وقد عرف العلماء الفراسة على أنها التوسم، كما جاء في تفسير الإمام الشعراوي لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ [1]﴾.

إذ يقول الشعراوي: والمتوسم هو الذي يدرك حقائق المستور بمكشوف المظهور.

ويقال توسمت في فلان كذا، أخذت من الظاهر حقيقة الباطن...وهكذا تعرف أن المتوسم هو الذي يكشف مكنون الأعماق، وها هو رسول الله ﷺ يقول: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله[2].

ويعرف أحمد حسن الزيات الفراسة على أنها الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية، كالاستدلال على شكل المرء ولونه وقوله على خلقه، فيستدل باتساع الجبين على الذكاء، وبعرض القفا على الغباء، وبضيق العين على الشح، وبعرض الشفتين على الإسراف في الحب والبغض. [3]

16.1.2- العادات والتقاليد:

مقدمة:

مما لا شك فيه أن المجتمعات لا تختلف في الحجم فقط بل تختلف في خصائصها التي تكونت من التفاعل الإنساني عبر الزمن لتصبح تنظيما للمجتمع الذي يعد وعاء يحوي كل أنواع العلاقات الاجتماعية، والثقافة الصورة التي تكون هذه العلاقات وتصبها في قوالب محددة، وعرفها Taylor إذ يقول: "هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل المعتقدات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع"[4].

---

[1]– من سورة الحجر، الآية 75.

[2]– محمد متولي الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم، المجلد 13، 7745.د.ت،د.ط.

[3]– أحمد حسن الزيات، المرجع السابق، ص.15.

[4]– محمد حسين غامري، المدخل الثقافي في دراسة الشخصية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د.ط، 1989 ص.05

فهي السلوك المشترك الذي يمارس من قبل كل الناس في المجتمع، ولا تنتقل بالطريقة الوراثية أو الغريزية وإنما بطريقة اجتماعية.

أ. تعريف العادات والتقاليد:

فالعادات والتقاليد هي الإطار والمضمون الذي يحدد للمجتمع سماته المميزة، والإنسان هو الصانع للتقاليد والمفاهيم والعادات، والظروف هي التي تفرض عليه اتخاذ الخطط المناسبة في تفاعله داخل المجتمع، وتعد العادات والتقاليد الشعبية الآليات الكبرى التي تنظم هذا التفاعل، وهما متصلان ببعضهما، ومن هنا تبرز استحالة مجتمع خال من العادات والتقاليد، مهما يبلغ من تحضر وتطور، فحيث تتواجد العادات والتقاليد، لابد أن يتواجد المجتمع، ومن البديهي أنها تقتصر على الإنسان وحده، ولا تشاركه المخلوقات الأخرى فيها.

وعلى هذا الأساس كان الفلكلور الذي خلد بالمثابرة والتفاني لصالح الأجيال أحد العناصر الأساسية في نمو الثقافة "فهو انعكاس لمشاعر الشعوب وأمانيها الخاصة وأعمق أفراحها وأحزانها، ولهذا يوصف بالمرآة التي تعكس روح الشعب"[1].

شعوب ترى جانبا من حياتها وسلوكاتها حين ممارستها للعادات والتقاليد لأنها المقومات المعنوية للثقافة التي تسود المجتمع والتي توارثها أفراده جيلا بعد جيل مثل القانون أو العرف الذي يحكمهم والقواعد الأخلاقية التي تحدد علاقة بعضهم ببعض، وهي بطبعها لا تتجلى كظاهرة إلا بعد إدراك تأثيرها، ومما يؤكد ذلك، تعريف جيلن وجيلن Gillin & Gillin.

"هي سلوك متكرر اجتماعيا ويتعلم اجتماعيا ويمارس اجتماعيا ويتوارث اجتماعيا"[2].

وما يستنبط من هذا التعريف أن العنصر الاجتماعي لا بد من توفره كما سبقت الإشارة، فأعضاء المجتمع يكتسبون العادات والتقاليد بالملاحظة والتعلم من الأجيال

---

[1]– إبراهيم بهلول–فن الرقص الشعبي في الجزائر/ ج1، ترجمة أسماء صفاوي.Office des publications universitaires،01: P

[2]– فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، دار النهضة الغربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، 1980 ص. 104

السابقة في المجتمع، فهم يتقبلون كل الممارسات ويحرصون على أن يتماثلوا معها من أجل استمرار حياتهم، والتعلم أساس اكتسابها بصفتها "ظاهرة اجتماعية تمثل أسلوبا اجتماعيا بمعنى أنها لا يمكن أن تكون أو تمارس إلا بالحياة في المجتمع والتفاعل بين أفراده وجماعته... كطرق الخطبة والزواج وتربية الصغار، وتشييع الأموات إلى مثواهم الأخير" وإقامة الحفلات في المناسبات المختلفة "[1].

فالفرد حين ينشأ وسط عادات هذه المناسبات، و يتشرب تقاليد مجتمعة، لا بد أن يفكر من خلال مجموعة معقدة من القواعد و المعايير و المبادئ التي تعمل كموجهات عامة للفعل فهي بذلك " الشكل المادي للسلوك الاجتماعي أي الشكل الظاهر المحسوس نراه و نمارسه"[2].

وخلاصة التعريف أنها أفاعل اجتماعية متكررة يمارسها الأعضاء المختلفين في الجماعة أو المجتمع المحلي، أي أنها المعتقدات النموذجية و المعتادة و الاتجاهات وصور التصرف التي تلاحظ داخل الجماعة أو المجتمع، و لا سيما أن الفرد لا يتمتع بشخصية مستقلة أو بكيان مميز منفصل عن الجماعة التي ينتمي إليها، و يستمد منها كل مقوماته بل تذوب شخصيته تماما في نطاق الضمير الجمعي، ويصبح خاضعا لقانون عقابي له قوة الردع إذا حاول انتهاك النظام الاجتماعي أو الخروج على معيار الجماعة " لأنها أي العادات والتقاليد الطرق الدائمة نسبيا التي يسير عليها الفرد في سلوكه و أفعاله[3].

وإذا كانت العادة هي ما تعود الناس ممارستها، فإن التقاليد " يقصد بها جملة الأفكار والعادات الفردية والجماعية التي يسير على نهجها شعب من الشعوب ويتوارثها أفراده جيلا عن جيل.... فهي تشكل أفعال الأفراد و تحدد سلوكهم. كما تماثلها في أنها في جوهرها أساس التواصل و الاستمرار"[4].

ومن ثم فهي السلوك الذي تعوده و حاولوا تقليده، فجمع بين ما تعودوه من الناس أي أصبح مألوفا، و قاموا بدورهم بتقليده و إيصاله إلى غيرهم من الجيل اللاحق فهي

---

[1]– فوزية دياب: المرجع نفسه، ص 10.

[2]– المرجع نفسه، ص 136.

[3]– فوزية دياب المرجع السابق ص 136

[4]– موريس جينز برج: نفسية المجتمع ترجمة عبد العزيز عبد الحق، مصر 1974/ ص 162

بذلك " الصفات المميزة للعادات التقليدية بوجه عام، وتتناول التقاليد ذلك النوع من العادات الاجتماعية في أكمل معانيها وأجل مظاهرها مثل العرف و المعتقدات"[1].

"فألفاظ تقاليد وتقليد، و تقليدي، أصبحت معروفة عند الكثير من كتابنا و مؤلفينا من علماء الاجتماع و غيرهم بدلالتها على التقدم ومضي الزمن، وإذا اتصف السلوك بأنه تقليدي، يستشف من ذلك أن مزاولته دامت حقبة طويلة وأنه محاكاة لسلوك القدامى و متوارث عنهم، ويؤيد هذا التعريف ما جاء في المعجم الوسيط أن التقاليد و العادات المتوارثة التي يقلدها الخلق عن السلف"[2].

- فالعادات الاجتماعية و التقاليد تنتقل من جيل إلى جيل حتى تصبح صفات خلقية سائدة لا يمكن أن يكتسبها الإنسان إذا كان بمعزل عن مجتمعه، و اعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي فهو دائما في تفاعل مستمر مع غيره من أفراد مجتمعه، يؤثر ويتأثر " في ظل الحكمة القائلة الفرد للمجموع و المجموع للفرد وهذا يعبر عن شبكة العلاقات الاجتماعية في أرقى معانيها و أقصى فاعليتها"[3]

فالعادات والتقاليد والقيم تمثل الجانب غير المادي التي تنظم سير الحياة الاجتماعية بأنظمتها المختلفة" وتجد في كل مجتمع طرق متفق عليها لتناول الطعام و إجراء المحادثة و الالتقاء في الحفلات وطلب يد الفتيات للزواج و إعداد الصغار للحياة والعناية بالمسنين، ومما لا نهاية له تقريبا وتسمى طرق التصرف التي يقرها المجموع بالعادات الجمعية أو عادات المجتمع"[4].

ب. أهمية العادات:

فالعادات والتقاليد هي عامل جوهري في تنظيم و ضبط علاقات الأفراد فيما بينهم، و منا هنا فهي تسهل لهم أفعالهم و تحدد منطق الترابط و التعامل فيما بينهم، حتى إن دورها في الضبط و التنظيم لا يقل شأنا وأثرا عن دور القوانين الوضعية، فإذا كان

---

[1]– فوزية دياب: المرجع نفسه ص 163

[2]– فوزية دياب– المرجع نفسه – ص 163،نقلا عن معجم الوسيط

[3]– مالك بن نبي، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية– ترجمة عبد الصبور شاهين–دار الفكر الجزائر– دار الفكر دمشق– سوريا، د.ط، 1986 ص 115

[4]– رم ما كيفر سارلز هبيرج– المجتمعج1– ط3 ترجمة د.علي أحمد عيسى– مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر، ، د.ط، د.ت، ص 42.

القانون يمثل سلطة المجتمع المكتوبة والموضوعة، فإن العادات سلطته غير مكتوبة، ودستوره المحفوظ في الصدور[1].

ج. خرق العادة:(عادة هو حدوث أمر ما على غير العادة أو السنة الجارية، فإن الله سبحانه و تعالى و كل ما ظهر خلافا للسنين الجارية يكون خرقا للعادة، فالإنسان مثلا مخلوق مكنه الله من السير على قدميه في الأرض و لم يمكنه من الطيران بدون جناحيه دون ذلك و بجسمه الذي خلقه الله له لقلنا أنه خرق العادة و كذلك الأمر إن استطاع أن يمشي على الماء، وغير ذلك من الأمثلة و الأحوال.) [2]

يقول زهير حموي في تعريف خوارق العادات إنها الأمر الذي يخرق العادة وجمعها خوارق، و في الكليات المخارق معجزة إن قارن بالتحدي، وإن سبقه فإرهاص وإن تأخر عنه مما يخرجه عن المقارنة العرفية فكرامة فيما ظهر، وإن ظهر بلا تحدي على يد ولي فكرامة أو على يد غيره فسحر أو استدراج أو شعبدة أو غيره[3].

اختُلِفَ في أمر خوارق العادات و تضاربت آراؤهم و نظرياتهم في هذا الشأن بين منكر لخوارق العادات كلها باستثناء المعجزة التي تختص بخرق العادة لوحدها، وما دونها لا يصل إلى درجة خرق العادة، وبين مقر لوجود خوارق العادات مع تفاصل و تباين مراتبها و وضوحها.

يرى الكثير من المهتمين بهذا الأمر أن اللبس وقع لتداخل أمور دينية لا غبار و لا لبس عليها كالمعجزة التي يختص بها الأنبياء و الرسل دون غيرهم من الخلق وبين أمور دنيوية كالسحر والكهانة والدجل وما إلى ذلك، وهؤلاء يرون بأن المعجزة و السحر لا يمكن أن يكونا من جنس واحد، ومحال أن يصل السحر إلى ما تصل إليه المعجزة من الإعجاز.

والجمهور من العلماء أقروا أن خوارق العادات أمر ثابت لا يمكن ذكرانه، وإنما تختلف خوارق العادات باختلاف أحوال أصحابها فالمعجزة مثلا خارق لعادة البشر والجن

---

[1]– فوزية دياب، المرجع السابق– ص 108–

[2]– مهداوي ياسين المرجع السابق ص8

[3]– زهير حموي، المرجع السابق– ص 33

معا، وليس في مقدور مخلوق أن يأتي بمثلها بأي حال من الأحوال، وأما السحر فهو خرق لعادة عامة الناس وليس خارقا لعادة السحرة، فمن تعلّم قوانين السحر وأتقنها أمكنه فعل ما يفعله الساحر، ومن هنا قال بعضهم أن السحر ليس من خوارق العادات وهذا يتعارض كل التعارض مع المعجزات الأنبياء التي قلنا أنه يستحيل على أي مخلوق أن يأتي بمثلها.

ومن هذا المنطق نجد شيخ الإسلام ابن تيمية يفرق بين خوارق الأنبياء وغيرهم، ويسمى خوارق الأنبياء آيات و براهين كما في قوله تعالى: ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ [1] ﴾. والبرهانان اللذان قصدهما الله تعالى هما عصا سيدنا موسى عليه السلام ويده، ويرى ابن تيمية كما يرى غيره من العلماء أن خوارق الأنبياء و الرسل لا يمكن معارضتها، وبهذا يصبح ابن تيمية و يرى أن عبارة " آيات الأنبياء" اسم مطابق لمسماه أي، مطابق للدليل والبرهان أكثر من مطابقته لاسم"خرق العادة" كون خرق العادة لا يشترط فيها أن يكون دليل و برهانا بل على العكس من ذلك يمكن أن يتضمن الزور والبهتان و من ذلك خوارق السحرة و الكهان[2].

لقد اختلفت خوارق العادات في مسمياتها و طرفها باختلاف الأزمنة والأمكنة، فاختلف الناس في تقبلها ورفضها، فمن هذه الخوارق ما وصلنا منذ الأزمنة الغابرة ومع ذلك فمنها معروفة المصادر، كالقرآن الكريم و السنة النبوية التي ذكرها الكثير من خوارق العادات التي أجراها الله تعالى على يد عباده، وهذه لا يمكن لمؤمن أو عاقل أن يذكرها في حين يراها الكافرون ضرب من الأوهام و الخرافات ، ومنها ما لا يصدر لها إلا النقل من مخطوطات و أقوال تناقلها الناس عبر الأزمنة و الأمكنة فشاعت بين الناس كما تشيع الأساطير ويطول عمرها، و هذه أيضا تضارب واختلف فيها الناس بين مصدق ومكذب أو منكر.

كثرت الأساطير و الخرافات التي تناقلها الناس و أشاعوها بينهم عبر الأزمنة. فقد نجد أساطير و خرافات لا أصل لها وإنما هي من ابتداع البشر و قد يستحيل أن يكون لمثلها وجود. ومع ذلك نجد كثير من الناس يصدقها وينبهر بها، ولعل العلم الحديث قد

---

[1]– من سورة القصص، الآية 32.

[2]– ابن تيمية– المرجع السابق– ص 28

أزال الكثير من اللبس والغموض و من ذلك نجد على سبيل المثال لا الحصر كتاب للدكتور عبد المحسن صالح يعالج هذه المواضع في كتابة "الإنسان الحائر بين العلم و الخرافة و قد يتضمن هذا الكتاب الكثير من الحجج و الأدلة التي تكذب الكثير من الخرافات و الأساطير التي لا زال الناس يعتقدونها إلى يومنا[1].

د. خوارق العادات بين القبول و الرفض:

انقسم الناس و المفكرون بشأن خوارق العادات و تضاربت أفكارهم وآراؤهم في هذا المجال،فمنهم من قبل بخوارق العادات وأقر بوجودها في العالم البشري، مع اختلاف مراتبها و أقسامها و اختلاف أصحابها الذين تظهر على أيديهم ومنهم من رفض ذلك رفضا قاطعا، و جعله ضرب من الوهم و الخيال أو ضرب من الأساطير و الخرافات التي سيطرت على الإنسان منذ وجوده على وجه الأرض، فبرر كل ما لم يجد له تفسيرا أو تعليلا بأنه أمر خارق للعادة خارج عن النظم الكونية و القوانين الطبيعية وقسم ثالث وقف بين هؤلاء و هؤلاء، فلم يرفض الخوارق جملة و لم يقبلها جملة، إنما وضعها تحت ميزان العقل والعلم ليفرق بين من يمكنه أن يتجاوز النظم والقوانين، كمعجزات الأنبياء والرسل مثلا وبينما هو دجل وخداع كعمل السحرة والكهان وغيرهم. وقد تحدث ابن تيمية عن هذا الأمر في كتابه "الفرقان" فقسم الناس في خوارق العادات إلى ثلاثة أقسام فقال: قسم يكذب وجود ذلك لغير الأنبياء وربما صدق به مجملا وكذب بما يذكر له عن كثير من الناس لكونه عنده ليس من الأولياء. ومنهم من يظن أن كل من كان له نوعا من خرق العادة كان وليا لله، وكلا الأمرين خطأ، ولهذا نجد هؤلاء يذكرون أن للمشركين وأهل الكتاب نصراء يعينوهم على قتال المسلمين وأولئك يكذّبون أن معهم من له خرق للعادة. والصواب هو الثالث، وهو أن معهم من ينصرهم من جهنم، لا من أولياء الله[2].

لم يخرج رأي ابن تيمية عن المجال الديني، لذا كان رأيه في أصحاب الخوارق كونهم من أولياء الله أو من أولياء الشيطان، ومع ذلك فإننا نجد في قوله ما يدل على تضارب الآراء وانقسامها وعدم الوقوف على رأي واحد جامع.

---

[1]– انظر عبد المحسن صالح– الإنسان الحائر بين العلم و الخرافة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب– الكويت– ط2– 1982

[2]– ابن تيمية: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، دار ابن حزم ط.1 1999، ص. 342–343.

وسنحاول فيما يلي أن نتبين آراء الناس باختلاف مشاربهم في خوارق العادات وسنجعلهم على ثلاثة أقسام: المقرون بوجود خوارق العادات ثم المنكرون لوجودها ثم المتحفظون الذين وقفوا وسطا بين هؤلاء فلم يقروا و لم ينكروا ثم نتبين بعد ذلك ما ورد من خوارق العادات في قصص الأنبياء لابن كثير.

د1. المقرون بوجود خوارق العادات:

إن أهم مصدر لهؤلاء المقرين بوجود خوارق العادات هو القرآن الكريم والسنة النبوية أو الكتب السماوية ،وقد وردت في القرآن و السنة في مواضع عديدة وجود خوارق العادات التي أجراها الله على يد عباده من أنبياء و رسل وصالحين. فمعجزات الأنبياء لا تعد و لا تحصى .[1]

وهي من أكبر الخوارق ذكر لنا القرآن الكريم قصة سيدنا موسى و ما كان من لقاءه بالسحرة الذين استدعاهم فرعون لمواجهة موسى عليه السلام، أن الذي يفعله ليس بالسحر وإنما هو نبي مؤيد بقوة و قدرة رب الكون، فخروا ساجدين و علموا أن ما جاء به موسى هو الحق.

قال تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ۞ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ۞ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ۞ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ۞ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ۞ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾. آيَةً أُخْرَى"[2] و قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا"[3] ﴾.

إن هذه الآيات مثال على ذكر القرآن الكريم للخوارق التي أيد الله بها أنبياءه ورسله إلى جانب هذا توجد خوارق عباده الصالحين و منها ما حدث لأصحاب الكهف، ومنها أيضا ما ورد في السنة النبوية أو روي بالتواتر كقصة عمر بن الخطاب وسارية حيث خاطبه وهو يبعد عنه مسافة طويلة [4] .

---

[1]– مهداوي ياسين المرجع السابق –بتصرف–ص13

[2]– من سورة طه، الآيات من 17 إلى 22.

[3]– من سورة الإسراء، الآية 101.

[4]– مهداوي ياسين المرجع السابق–بتصرف–ص14

ومن حكمة الله أنه لم يجعل الخوارق حكرا على رسله وأنبياءه وعباده الصالحين، بل أجري الله سبحانه وتعالى، الكثير من الخوارق على يد الكفار والفجار أيضا، ومن خير الأمثلة على الحديث الصحيح عن المسيح الدجال الذي يخرج قبيل الساعة فيأمر السماء فتمطر و الأرض فتنبت و غير ذلك من الخوارق التي يجريها الله على يديه و قد ذكر ابن الجوزي الكثير من خوارق الكفار و الفساق في كتابه تلبيس إبليس[1].

إن ما جاء به القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة من ذكر لخوارق العادات أمر قاطع لا يمكن نكرانه، و لكن غير هذين المصدرين مثل الكتب السماوية الأخرى كثيرا ما تشوبها التحريفات و التغيرات أو التأويلات الخاطئة.

ومن هنا فإن الكثير من الناس ينجرون وراء خرافات و أساطير لا وجود لها ولا أصل لها في دين أو علم أو واقع، فيصدقون ما لا يصدق ويجعلون الأوهام والخرافات تسيطر على عقولهم. فقد ينسبون أمور خارقة للعادة في نظرهم إلى الدين أو إلى العلم أو غير ذلك، في حين قد يكون ما شوهد أو حصل أمر طبيعي جار في الحياة بحسب قانون يسيره أو نظام يمشي وفقه، و هكذا نجد كثير من العلماء الدين يحذرون من الانجرار وراء مثل هذه الخرافات أو الأكاذيب وجعلها تسيطر على عقولهم، و لما كان الدين وأي دين كان هو أخصب حقل للسيطرة على عقول الناس اشتغل كثير من الدجالين والمشعوذين نقطة الضعف هذه عند الناس وربطوا أعمالهم هذه بالدين.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن من أقر بوجود خوارق العادات من العلماء قد حدد بطريقة أو بأخرى و فرق بين ما هو من خوارق العادات، و ما هو افتراء و كذب أو خدع و حيل.

وإن كان غالبية العلماء ربما توجد لهم القدرة على إعمال عقولهم للتميز بين الحق و الباطل فإن كثيرا من عامة الناس ربما سيطرت عليهم الخرافات و البدع فوقعوا في فخ عقولهم ونفوسهم الضعيفة. فسلموا لكل ما لم يستطيعوا له تبريرا أو تفسيرا أنه أمر خارق للعادة حتى وإن كان ذلك له تفسيرا علميا، أو استوجب إعمال بعض العقل و التفكير لكشف السر.

---

[1]– أنظر ابن جوزي– تلبيس إبليس– دار الحديث– القاهرة– ط 2003

ومثال ذلك عند سليمان الأشقر أن كثير من الناس يجعل من بعض الخدع والحيل من جنس خوارق العادات، كمن يرى أحدهم يقتل آخر أو يذبحه ثم يرد يه بعد ذلك حيا، وعند النظر الحقيقي نجد أن هذا غير حقيقي إذا لا يعقل لبشر أن يميت ويحيي، إلا أن يكون بمعجزة نبي كما فعل ذلك سيدنا عيسى عليه السلام.

ومثل هذه الأمور وإن أبهر الناظر إلا أنها لا يحتاج إلى شديد عناء للاكتشاف بأنها خدع و حيل، و إن صعب كشف السر في كيفية عمل ذلك[1]

د2. المنكرون لخوارق العادات:

أنكر الكثيرون وجود خوارق العادة، وردوا أسباب تعلق الإنسان بمثل هذه الخرافات كما يطلقون عليها إلى خوفهم من المجهول أو عدم وجود تبرير أو تعليل يقتنعون به في مثل هذه الأمور، و كثير ممن أنكر خوارق العادات هم من أهل العلم أو أهل الملل.

ومن الفرق الإسلامية التي أنكرت خوارق العادات المعتزلة، الذين أنكروا خوارق العادات– من كرامات و رؤيا وسحر و كهانة و غيرها ممن اعتبرها آخرون من الخوارق– وذهبوا إلى أن خوارق العادات لا يمكن أن تكون إلا معجزة للأنبياء و التي تزول و تنقطع بانقطاع النبوة، و قالوا بأن كل أمر كان دون المعجزة ، إنما هو ضرب من التخييل و التمويه والإيهام أو هو ضرب من الهواجس النفسية، و هذه الأمور كلها من جنس مقدور البشر إلا المعجزة فإنها مدد إلهي للنبي أو الرسول، و قد ذهب بعض هؤلاء المعتزلة إلى حد تكفير من قال بالسحر وجوز و جوده[2].

(ويرى المعتزلة أنه إذا افترضنا وجود خوارق السحرة و الكهان و غيرهم، فقد يجوز أن تكون خوارق السحرة و الكهان من جنس معجزات الرسل إذا استدل الرسل بها، وهذا محال عندهم، و لهذا أنكروا وجود الخوارق سحرا و كهانة و كرامة، و قد رد الكثير من العلماء على آراء المعتزلة و بينوا الفرق بين المعجزة و غيرها، و من بينهم عبد الرحمن ابن خلدون الذي تكلم عن أصناف المدركين للغيب و ما يمكن أن يكون منهم من الخوارق التي يعجز العقل ربما أمامها، مع تفضيل في المراتب لدى هؤلاء، و تصنيف بحسب المكانة، فالغيب الذي يكون من الأنبياء مثلا عن طريق الوحي غير الغيب الذي

[1]– عمر سليمان الأشقر– المرجع السابق– ص 141

[2]– زهير الحموي– المرجع السابق– ص 106

يدعيه الكهان والعرّافون فإن كان الغيب عند الأنبياء بمدد إلهي فهو عند الكهان بمدد شيطاني.) [1]

د3. المتحفظون بين الإقرار و الإنكار:

(يرى السيد قطب أنه من الواجب على كل عالم أو مفكر يستند في الحكم على الأشياء أو التجارب العلمية على أفكار مسبقة أو نتائج محددة يجب الوصول إليها.

يقول سيد قطب: أنه ما زال مشاهدا في كل وقت أن بعض الناس يملكون خصائص لم يكشف العلم عن كنهها بعد، و قد سمى العلم بعض هذه الخواص أو الظواهر بأسماء، لكنه مع ذلك لم يكشف بل لم يستطع أن يكشف عن أسرارها و طرائقها.

ويسوق السيد قطب الكثير من الأمثلة وهي في مجملها تساؤلات لأهل الاختصاص، فمن جملة ما تساءل عنه مثلا ما سماه العلماء" با لتخاطر عن بعد ما هو؟ وكيف يتم؟ كيف يملك إنسان أن يدعو إنسان آخر على أبعاد و فواصل لا يصل إليها صوت الإنسان في العادة و لا بصره، و دون استعمال آلة أو واسطة، فيتلقى عنه دون أن تقف بينهما الفواصل و الأبعاد). [2]

كما يتساءل سيد قطب عن التنويم المغناطيسي و كيف يتم؟ أو كيف يمكن أن يتم؟ إذ كيف يمكن أن تسيطر على إرادة، و أن يتصل فكر بفكر؟ فإذا أحدهما يتلقى عن الآخر كأنه يقرأ في كتاب مفتوح فينهل منه و يقرأ ما يريد من معلومات وأفكار[3]. ثمة أمور كثيرة يقول سيد قطب يماري فيها العلم إما لأنه يجمع مشاهدات كافية للاعتراف بها، وإما أنه لم يهتد إلى وسيلة ندخلها في نطاق تجاربه[4].

(لقد حاول بعض العلماء إنكار كل الخوارق، كل في مجاله لكنهم اصطدموا بعقبات وعوائق كثيرة، ففرويد مثلا حاول إنكار كل قوة روحية و مع ذلك لم يستطع إنكار وجود "الأحلام التنبئية" كما يطلق عليها، فلم يستطع إيجاد تفسيرات و تعليلات كافية قاطعة، فتدخل في نطاق الأمر المعروف أسبابه و قوانينه من الوجهة العلمية، إذ كيف

---

[1]– مهداوي ياسين المرجع السابق ص17

[2]– – مهداوي ياسين المرجع السابق ص21

[3]– سيد قطب– في ظلال القرآن– دار الشروق– ط 16 1990 المجلد 6– ص 4006

[4]– سيد قطب– المرجع نفسه– المجلد1 ص 97

يمكن للإنسان أن يرى رؤيا عن المجهول فإذا بهذه الرؤيا أو النبؤة تصدق في الواقع بعد حين مع العلم أن الإنسان غير مدرك للغيب؟)[1]

وكذلك الأمر بالنسبة للأحاسيس الخفية التي تحدث لكثير من الناس، إذ كيف لبعض الناس أن يحس بأن أمرا سيحدث بعد قليل أو أن أحدا ما سيحضر في وقت معين ثم يحدث ما توقع على نحو من الأنحاء؟

يقول سيد قطب إنه لمن المكابرة في الواقع أن تنفي ببساطة مثل هذه القوى المجهولة في الكائن البشري لمجرد أن العلم لم يهتد بعد إلى وسيلة يجرب بها هذه القوى، وليس معنى هذا هو التسليم بكل خرافة و الجري وراء كل أسطورة.إنما الأسلم والأحوط أن يقف العقل الإنساني أمام هذه المجاهيل موقفا مرنا، لا ينفي على الإطلاق ولا يثبت على الإطلاق حتى يتمكن بوسائله المتاحة له، بعد ارتقاء هذه الوسائل من إدراك ما يعجز الآن عن إدراكه، أو يسلم بأن في الأمر شيئا يفوق طاقته، فيعرف حدوده و يحسب للمجهول في هذا الكون حسابه[2].

لقدت وقفت فئة موقف الوسط حول خوارق العادات وهي تشمل رجال الدين والعلماء و المفكرون وحتى عامة الناس ووجد بعضهم نفسه حائرا هل لمثل هذه الأمور من وجود ؟ أم أنها مجرد خرافات وأساطير ؟ غير أن الغالبية اقروا بوجود كثير من الخوارق التي لا نقاش فيها مثل المعجزات والكرامات والرؤيا وقد أنكر الكثير منهم بعضها كالسحر والكهانة ومنهم من اقر بالغيب وتأثيره، وفئة أخرى أقرت بوجود بعضه وأنكرت بعضه وقد اختلفت الآراء في خوارق العادات فجعلنا أصحاب هذه الآراء في أقسام ثلاث وهم المقرون والمعترفون والمنكرون لها وفئة أخرى وقفت بين الإقرار و الإنكار [3].. .

---

[1]– – مهداوي ياسين المرجع السابق – ص22

[2]– سيد قطب– المرجع السابق– المجلد1 ص 97

[3]– مهداوي ياسين المرجع نفسه–بتصرف–ص24

الباب الثاني

طبيعة التناول للقصص القرآني

الفصل الأول

القصص

1.1- تعريف القصص لغة:

قال الإمام ابن فارس (395هـ) في مادة: قص:

"القاف و الصاد: أصل صحيح يدل على تتبع الشيء و من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر: إذا تتبعته. و من ذلك اشتقاق القصاص في الجراح، وذلك أن يفعل به مثل فعله بالأول،فكأنه اقتص أثره،و من ذلك القصة و القصص: كل ذلك يتتبع فيذكر.

وأما الصدر: فهو القص، وهو عندنا قياس الباب، لأنه متساوي العظام، كأن كل عظم منها يتبع للآخر، ومن الباب: قصصت الشعر: وذلك أنك إذا قصصته فقد سويت بين كل شعرة وأختها، فصارت الواحدة كأنها تابعة للأخرى، مساوية لها في طريقها [1]

نستخلص مما سبق: أن كلمة (قصص): تقوم على التتبع، سواء كان هذا التتبع ماديا كقص الشعر والعظام، أو معنويا: كقصص الأخبار وذكر الروايات.

2.1- تعريف القصص القرآني اصطلاحا:

ورد على لسان العلماء تعريفات كثيرة للقصص القرآني، وكلها متقاربة، منها:

أ) تعريف الشيخ مناع القطان:

"قصص القرآن: إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه"[2]

ب) تعريف مريم السباعي:

"تتبع آثار وأخبار الأمم الماضية، وإيراد مواقفهم وأعمالهم، مع التركيز على مواطن العبرة والعظة. [3]

---

[1]– ابن فارس/ معجم المقاييس في اللغة، دار الفكر، بيروت ط.1 1415 هـ – 1994 م، ص. 855

[2]– مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت ط.9 1980 ص. 306

[3]– مريم السباعي: القصة وأهدافها في القرآن الكريم، مكتبة مكة ص.30

أ- أقسام القصص القرآني وأنواعه:

قسم العلماء القصص القرآني إلى عدة أنواع. فمن ذلك ما ذكره الشيخ مناع القطان، فقد قسم القصص القرآني إلى ثلاثة أنواع:

أ- النوع الأول: قصص الأنبياء: وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين لهم ومراحل الدعوة وتطورها، وعاقبة المؤمنين والمكذبين.

ب- النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم/ كقصص الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وطالوت وجالوت، وأهل الكهف، ومريم وأصحاب الأخدود، وغيرهم.

ج- النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن الرسول ﷺ، كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة والإسراء ونحو ذلك [1]

وقسّم الدكتور صلاح الخالدي القصص القرآني تقسيما آخر أكثر دقة وشمولية: قال: "والقصص القرآني نوعان":

الأول: قصص الأنبياء: ثم ذكر الأنبياء التي وردت قصصهم في القرآن مع التفاوت في المادة المعروضة.

الثاني: قصص غير الأنبياء: وهي قصة بني آدم، وقصة هاروت وماروت، وقصة الذي مر على القرية، وقصة الذي انسلخ من آيات الله، وقصة أصحاب السبت، وقصة أصحاب القرية، وقصة أصحاب الأخدود، وقصة أهل الكهف، وقصة صاحب الجنتين، وقصة ذي القرنين.

وهناك قصص لا نجزم أن أصحابها أنبياء لعدم ورود حديث صحيح معتمد يثبت لهم النبوة، كقصة لقمان، وهناك قصص متصلة مع قصص الأنبياء، فقصة أم سليمان متصلة بقصة موسى، و ما يتصل بقصة موسى أيضا قصة قارون، وقصة مؤمن آل فرعون، وقصة بقرة بني إسرائيل، وقصة تيه بني إسرائيل، وقصة رحلة موسى مع الخضر.

وقصة ملكة سبأ متصلة مع قصة سليمان، و قصة مريم متصلة مع قصة عيسى، وقصة المائدة متصلة مع قصة عيسى، وقصة طالوت وجالوت متصلة مع قصة داوود[2]

---

[1]– مناع القطان: المرجع السابق ص. 306

[2]– صلاح عبد الفتاح الخالدي– القصص القرآني– عرض وقائع و تحليل أحداث 28/1،باختصار و تصرف– دار القلم دمشق– ط1 1998

وواضح من خلال تقسيم الخالدي شمول هذا التقسيم و دقته، و واضح أيضا كبر المساحة التي شملها القصص النبوي من جملة القصص القرآني، و واضح أيضا أن القصص القرآني هو أحد أقسام التاريخ المذكور في القرآن الكريم، فقصص الأنبياء هو نفسه تاريخ الأنبياء و سيرهم، إذا تجاوزنا بالتاريخ مرحلة السرد للأحداث، إلى تفسير هذه الأحداث و تحليلها، و استخلاص العبر و الدروس منها.

ب- أهمية القصص القرآني:

تبرز أهمية القصص القرآني من اهتمام القرآن به، وإفراده مساحة من سور و آيات لهذا الغرض، فهناك سور بأسماء الأنبياء مثل سور: (يونس،هود، يوسف، إبراهيم، محمد، نوح). وهناك سور تسمت بأسماء قصص وردت فيها مثل سور: (البقرة، آل عمران، المائدة، الكهف، مريم، لقمان... إلخ)

"فالقصص القرآني لا يقل الحيز الذي شغله من كتاب الله عن الربع، إن لم يزد قليلا، فإذا كان القرآن ثلاثين جزءا، فإن القصص يبلغ قرابة الثمانية أجزاء من هذا الكتاب الخالد، وإن كان المصحف الذي بيدك يبلغ ثمانمائة صحيفة، فإنك تجد أن القصص يشغل منه ما يزيد عن المائتين. [1]

والمتتبع لمادة القص والقصص في القرآن الكريم يدرك أهمية هذا القصص، من خلال الأوصاف والسمات التي سبغها الله تعالى على القصص القرآني فهو:

1. حسن القصص:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ"[2]) ﴾.

وحسن القصص القرآني يتجلى في الحسن الفني، فهو معروض في القرآن بأسلوب التصوير الفني، والجمال البياني المؤثر المعجز، ويتجلى في الحسن الموضوعي، حيث يعرض لنا أخبارا أو معلومات عن ذلك التاريخ الماضي وأحداثه.

---

[1]– فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاءه ونفحاته، دار الفرقان، عمان ط.1 1987م ص.10

[2]– من سورة، يوسف، الآية 3.

2. القصص الحق:

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيز الْحَكِيمُ [1]﴾. فكل ما ورد في القرآن حق وصدق وصواب، سواء كان ذلك في اللفظ أو المعنى أو المضمون.

أمر الله تعالى نبيه ﷺ بقص القصص القرآني على الناس، قال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"[2]﴾.

ومن واجب الدعة أن يقتدوا برسول الله، فيستخدموا القصص القرآني في دعوة الناس وجذب قلوبهم إلى الدين.

ج- أهداف القصص القرآني:

ذكر القرآن ثلاثة أهداف للقصص فيه:

أ- التفكر: قال تعالى تعقيبا على قصة الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [3]﴾ . يتفكرون في عاقبة المكذبين، ومآل الجاحدين، وحسن منقلب المؤمنين والربانيين، فيحدث عندهم الاتعاظ.

ب- الاعتبار: قال تعالى في ختام سورة يوسف التي تضمنت قصته: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [4] ﴾.

قال الجبرتي[5] في فائدة علم التاريخ:

---

[1]– من سورة آل عمران، الآية 4.

[2]– من سورة الأعراف، الآية 176.

[3]– من سورة الأعراف، الآية 176

[4]– من سورة يوسف، الآية 111

[5]– الجبرتي هو عبد الرحمن بن حسن، مؤرخ مصر ومدون وقائعها وسير رجالها س.237 هـ أنظر: الزركلي، الأعلام 304/4

"وفائدته: العبرة بتلك الأحوال والتنصح بها، وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن، ليتحرز العاقل عن مثل أحوال الهالكين من الأمم المذكورة السابقين، ويستجلب خيار أفعالهم، ويتجنب سوء أقوالهم، ويزهد في الفاني، ويجتهد في طلب الباقي"[1]

ج- تثبيت فؤاد النبي ﷺ والتسرية عنه: قال تعالى في آخر سورة هود: ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

جاءت هذه الآيات تعقيبا على قصص (نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى) عليهم الصلاة والسلام، لتؤكد أن النصر – مهما طال الزمن – للمؤمنين، والخذلان والخسران للكافرين والمعاندين، وأن دين الله سيعلو ويغلب رغم أنوف المستكبرين.

يقول الشيخ الداعية محمود المصري حفظه الله:

"في دراسة حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أكبر العظات والعبر للدعاة إلى الله عز وجل في كل مكان وزمان، سواء ما يتعلق بالإيمان العظيم والتوحيد الصادق الذي عليه أنبياء الله عز وجل، أو فيما يتعلق بأخلاقهم وسلوكهم، أو بهديهم ومنهجهم، والتعزي بحياتهم وصبرهم وجهادهم، حتى لا تفتر عزائم الدعة، ويضعف صبرهم، فلهم في هذا السلف المبارك أكبر عزاء وقدوة في الثبات وشحذ الهمم[3]

وفيما يلي بيان موجز لبعض أهداف القصص القرآني وفوائده: [4]

1- جاء القصص القرآني ليعمق العقيدة في النفوس، ويبصر بها العقول، ويحي بها القلوب ويسلك لتلك القضية المهمة الخطيرة أحسن الطرق إمتاعا وإقناعا. إمتاعا للعاطفة، وإقناعا للعقل.

2- بيان أسس الدعوة إلى الله وأصول الشرائع التي بعث بها الأنبياء.

---

[1]- عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، تاريخ عجائب الأخبار في التراجم والآثار 6/1 دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.

[2]- من سورة هود، الآية 120.

[3]- محمود أبو عمار المصري، قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (9) المكتبة التوفيقية (القاهرة)، د.ط، د.ت.

[4]- فضل حسن عباس، المرجع السابق ص.10 وعلي حسن محمد سليمان، القصة القرآنية، الخصائص والأهداف، مطبعة الحسين الإسلامية القاهرة، ط.1 1995 ص. 104 ومناع القطان المرجع السابق. ص. 307.

3- بيان أن قضية الإيمان والكفر، والرسالات والهدى والضلال، واحدة على طول العصور والدهور.

4- السمو بهذا الإنسان حتى يمتاز عن الحيوان الذي يشترك معه في بعض الصفات، هذا السمو الذي لا يركز على جانب واحد في هذا الإنسان، فهو سمو روحي وخلقي ونفسي، يشعر به الفرد ويجد به حلاوته ولذته.

5- التركيز على أن التدين الحق لا ينفصل عن الحياة العملية، ولا ينقصم عن واقع هذا الإنسان، وإنما هو مرتبط به ارتباطا وثيقا بل هو جزء منه.

6- إظهار صدق النبي محمد ﷺ فيما أخبر به و أنه نبي مرسل من عند الله تعالى، فمحمد ﷺ لم يكن كاتبا و لا قارئا، و لا عرف عنه أنه يجلس إلى أحبار اليهود والنصارى، ثم جاءت هذه القصص في القرآن، وبعضها جاء في دقة و إسهاب، كقصص إبراهيم و يوسف، فورودوها في القرآن: اتخذ دليلا على وحي يوحى و القرآن ينص على هذا الغرض نصا في مقدمات بعض القصص و في ذيولها.

7- محاجة أهل الكتاب و بيان زيف عقائدهم و بيان تزويرهم وكذبهم

8- إظهار عنصر العداوة، بين الإنسان و الشيطان وسبل الوقاية من الإغواء والضلال.

9- إظهار روعة البلاغة القرآنية، وعذوبة الأسلوب البياني في القرآن، من جمال الصور وبديع النظام و رقي الأسلوب.

10- اكتشاف السنة الربانية التي تحكم الأفراد والمجتمعات." ولا شك أن من قرأ التاريخ بهذه العقلية الواعية، فإنه يجده قد حوى بين دفتيه من الحوادث والأخبار والسنن المتشابهات، و المواقف المتماثلات، ما يدفعه إلى اكتشاف سنة الله في خلقه، سواء منها الجارية و الخارقة، ويستطيع أن يسعى للحصول على سنن التمكين، و الابتعاد عن سنن التدمير، واقتفاء سنن الصالحين و المجاهدين، واجتناب سنن المجرمين و المفسدين[1]

11- بيان كثير من الأحكام الشرعية، وكيفية التصرف حيال الأزمات، وإيجاد الحلول لكافة المشكلات.

[1]– علي محمد محمد الصلابي، صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي– دار الفجر للتراث القاهرة، د.ط، 2005 .ص.24.

12- التركيز على أسباب القوة المادية، والرقيّ العمراني، و عوامل قوة الدول والممالك و نهوضها، وأسباب فشلها ودمارها.

فما أحوج دعاة هذا العصر للوقف طويلا أمام القصص القرآني، بتأمل أحوال الأنبياء، ومواقف الصبر و الثبات في حياتهم، وعاقبتهم مع أقوامهم.

د- مصدر القصة القرآنية:

أ- البيئة: لقد استمد القرآن الكريم معظم عناصره من البيئة حتى يكون القصص أشد تأثيرا وأقوى سلطانا للمكذبين

ب- العقلية العربية: ما هدف القصص القرآني من اتخاذه للعقلية العربية و البيئة كمصدر؟ فلقد كان ذلك ردا على القائلين إن القرآن ليس إلا أساطير الأولين فهم نظروا إلى الشخصيات و الأحداث فوجدوها مما يعرفون[1]

3.1- القصص الشعبي:

- المفهوم القصدي:

قد حاولت جماعة من الباحثين في القصة الشعبية وضع مفهوم لها يميزها ويحدد دورها في المجتمع ودوافع نشأتها و من بينهم الباحثة روزلين ليلى، قريش التي ترى إن القصة الشعبية " تعد من أقدم الآثار الأدبية التي حفظنها الوثائق المكتوبة أو ذاكرة الإنسان و من أهم الأدوار التي لعبتها و الدوافع التي أنشأتها، نقل الحوادث و التعويض عن الواقع ونقد المجتمع و التعليم و التعبير عن أنواع الظلم الاجتماعي و الاضطهاد التي تعرضت الشعوب على مر الأيام، كما أنها وسيلة للتسلية و التخفيف من عدة الآلام و الضغوط التي عانت منها الطبقة الشعبية الكادحة"[2].

ويذهب عثمان حشلاف المذهب نفسه فيرى أنها:" ذلك التراث القصصي الضخم الذي امتزج فيه تاريخ هذه الأمة بأحلامها وواقعها بخيالها قبل الإسلام وبعده ليتحول كل ذلك إلى واقع إنساني مليء بالوقائع العجيبة، والمغامرات الخطيرة، وفي جل هذه القصص

---

[1]– سيد قطب، المرجع السابق– ص.52. وما بعدها.

[2]– روزلين ليلى قريش: القصة الشعبية ذات الأصل العربي ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1980 ص.7

لا تسير الأحداث سيرها الطبيعي كما تقتضي سنن الحياة، ولكن تسيرها قوة سحرية تضع الخوارق وتهيئ الهدف وتخلق الظروف الملائمة في نسيج محكم"[1].

كما حذا حذوهم عبد الحافظ عبد ربه في تحديده مفهوم القصة الشعبية بأنها أثر "لوجود الإنسان الأول الذي يعتبره البطل، لأنها ظاهرة طبيعية من ظواهره"[2]

4.1- أوجه التشابه والاختلاف بين القصص الديني والشعبي:

أ. أوجه التشابه

للقصص الديني علاقة تشابه بالقصص الشعبي في بعض النقاط كتتبع آثار الأقدمين من حيث نجدهما يتحدثان عن أحوال الأمم الماضية بالاشتمال على كثير من الوقائع الماضية وذكر البلاد والديار والتعبير عن حياة الناس التي تخلد أسماء الأقدمين والوقائع الحادثة في الحياة اليومية وكذلك التعبير عن أنواع الظلم الاجتماعي والاضطهاد والترف والطغيان والرضا بالذل، والبطر والظلم والسخرية والقهر الذي تعرضت له الشعوب على مر الأزمان، كما تصطبغ بصبغة البيئة، فالأحداث تعرفها البيئة إذ تبنى من مواد معروفة ومشهورة حيث تمجد الأبطال المشهورين في تاريخ البلاد، فتعنى بالشخصية التي عرفت واشتهرت، كما تتفقان في عنصر الزمان الذي له دور في بناء القصة حيث يمسك بكل جزئياتها وكذا المكان الذي له دور فعال إذ هو أشبه بالوعاء لإحداث مشاركة تعين على تنمية الحدث.

ب. أوجه الاختلاف

كما أن للقصص الديني والقصص الشعبي نقاط متشابهة فإنهما يختلفان في نقاط أخرى كالغاية إذ أن القصص الشعبي هو وسيلة للتسلية وتخفيف من حدة الآلام، يهتم الشعب بوصفه ويستمتع بروايته أثناء وقت الفراغ لتناسي الأتعاب اليومية، يمتزج فيه التاريخ بالأحلام والوقائع بالخيال ليتحول الكل إلى واقع إنساني مليء بالوقائع العجيبة والمغامرات الخطيرة، فأبطاله من خلق الخيال إذ نجد القصة تسجل الحدث بصفة واقعية

[1]– عثمان حشلاف: التراث والتجديد في شعر السياب. ديوان المطبوعات الجامعية1986 ص. 983

[2]– عبد الحافظ عبد ربه: بحوث في قصص القرآن دار الكتاب اللبناني بيروت .ط1’1972 ص. 26

ويصبغها البعد الزمني بصيغة خارقة للعادة فتميل إلى العجيب وفي ذلك "يعتمد الراوي في قصّه على الرواية الأصل ليصنع منها قصة تتماشى وطبيعة وذوق الحضور"[1].

فيعدل حسب سعة خيالة وقوة ذاكرته ودقة لغته وعرضه الخاص، فالقصة الشعبية معرضة للتحوير والتغير بسبب الرواية الشعبية وانتشارها في شتى أنحاء العالم إذ هي لا تهدف إلى ذكر حوادث التاريخ لذاتها بل لتغير عن رأي الشعب وآماله إزاء حودث عصره.

أما الغاية من القصص القرآني فهي: الإنذار والعظة والعبرة واستخراج الحقيقة الدينية التي يرمز إليها القرآن الكريم وهي تربية الإنسان تضمن له العيش، وتعميق العقيدة والسمو له حتى يمتاز عن الحيوان وهو سمو روحي وخلقي ونفسي أي اجتماعي ورقي مادي، فالقصة القرآنية تركز على أن التدين الحق لا ينفصل عن الحياة العملية ولا عن واقع الإنسان والحياة العلمية المتعلقة بجميع مخلوقات هذا الكون، كما تعتمد القصة القرآنية على الأسلوب الموجز مما يجعل ورودها إلى النفس أيسر ووقعها في الوجدان أعمق.

أما أحداث القصص القرآني فتدور حول الدعوة إلى الله والتوجيه إلى وجهه الكريم وإثبات التوحيد.

أما شخصياته وأبطاله نجدها" مرسومة رسما متناسقا بفضل طريقة التصوير، فهي شخصيات حية متحركة ذات عواطف وانفعالات"[2]

ج. الفرق بين القصة في القرآن الكريم والقصة الشعبية:

إن القصة القرآنية قائلها الله –عز وجل– بلغة فصحى عرفت بلغة قريش وهي باقية على مر الأزمان والعصور معتمدة على سرد تاريخي ثابت على شكل واحد إذ تمتاز بطابع توجيهي مستمدة من وقائع حقيقية بخلاف القصة الشعبية التي تعتمد على إرضاء المتلقي باستنادها إلى الطابع الخيالي الذي يزيدها بعدا عن الحقيقة "فالقصة في القرآن الكريم تختلف عن غيرها في الوصف والغرض، أما من ناحية الوصف فإن القصة في القرآن الكريم صدق بكل كلمة وبكل جملة من تركيبها، وغيرها من

[1]– د. عبد القادر قروش– الأدب المسمى"شعبيا"–إشكالية اصطلاح– مجلة الثقافة الشعبية– العدد الأول– السداسي الأول، د.ط، 1999 ص.49.

[2]– صلاح عبد الفتاح الخالدي– نظرية التصوير الفني– عند سيد قطب– شركة الشهاب– الجزائر، د.ط، 1988– ص.236.

القصص لا يلتزم فيه ذلك فإنه يتخللها كثير مما لا يطابق الواقع، أما الغرض فإن المقصد فيها يتصل بمقاصد القرآن أي تثبيت العقائد الصحيحة و نفي الأفكار القديمة[1].

أما سيد قطب عندما يفرق بين القصتين يرى أن: "القصة القرآنية ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه بخلاف القصص الأخرى الحرة التي نرمز إلى أداء غرض طليق"[2].

إن أول سؤال يعترض طريقنا ونحن نبحث في قصة يوسف –عليه السلام– على سبيل المثال باعتبارها قصة شعبية دينية هو:هل يعتبر القرآن الكريم مصدر يرجع إليه الباحث في القصص الشعبي الديني؟

طالما أن أغلبية القصص الدينية الشعبية، لاسيما قصص الأنبياء كقصة يوسف–عليه السلام– هي مستمدة منه.

إن مصطلح الشعبية مصطلح واسع وغامض في الوقت نفسه، إذ كنا نقصد بالشعبية كل ما خزنته الذاكرة الشعبية وتوارثته الأمم عن بعضها البعض مشافهة، أي أن الشعبية تعني عدم التدوين والكتابة، فإن القرآن الكريم لا يمكن إدراجه ضمن هذا المفهوم، هذا على مستوى التدوين، أما على مستوى اللغة فغالبا ما يقرن مفهوم الشعبية باللغة العامية المتوارثة بين جميع فئات الشعب على اختلاف مستوياته الثقافية[3] ومن المعلوم أن القرآن الكريم – مصدر القصص الدينية – كتبت بلغة رسمية، بعبارة أخرى أنه نزل بلغة قريش التي كانت تسيطر على بقية اللهجات الأخرى، ومن هنا نصل إلى نتيجتين:

- **النتيجة الأولى:**

القرآن الكريم هو مصدر من مصادر القصص الشعبي الديني، بمعنى أن المادة الخام تأخذ منه، ولكن الذاكرة الشعبية تعيد تشكيلها. وتضفي عليها تغيرات بحسب المواقف والأحداث.

- **النتيجة الثانية:**

إن أغلبية القصص التي وردت في القرآن الكريم، وردت أيضا في العهد القديم في شكل تراث شعبي.

---

[1]– عبد الحافظ عبد ربه– المرجع السابق– ص.44.

[2]– سيد قطب– التصوير الفني في القرآن– ص.17.

[3]– أحمد صالح رشدي: المرجع السابق.

الزمان الفني:

المستقبلي:

أ- **رؤيا يوسف:**

عند سماع يعقوب الرؤيا التي قصها عليه ابنه، استبشر خيرا:

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ [1] ﴾. إذ رأى فيها بشائر مستقبل مرموق ليوسف وتنبأ بأنها ستؤثر في مستقبله جميعا وتسير حياته كلها، وسيكون له شأن عظيم ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [2]﴾. إنها تنبؤات النبي كريم بن كريم.

ب- **رؤيا السجينين:**

شاءت الأقدار أن يدخل يوسف السجن ويدخل معه فتيان من خدم ملك مصر، إذ نرى الفتيان يجلسان إلى يوسف ليعبر لهم رؤيا هم بعد أن استأنسوا به ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ [3] ﴾.يطلب الفتيان من يوسف تعبير رؤياه فيرى فيها مستقبل كل واحد منها يعلم من الله فأحدهما يصلب والآخر يمكن له عند الملك.

ت- **رؤيا الملك:**

نفق عند رؤيا ثالثة تواجهنا في القصة وهي رؤيا الملك ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ [4]﴾. يجمع الملأ من شعب وكهنة أمام الملك ليطلب منهم تعبير رؤياه لكنهم عجزوا، وتذكر الفتى الذي كان في السجن تعبير يوسف لرؤياه فتوجه إليه وطلب منه التعبير فرأى مستقبل مصر في الأيام المقبلة إذ ستعيش أيام رخاء وأخرى أيام قحط، فهو زمني في مستقبلي لم يكن يراه إلا يوسف بقدرة من الله.

---

[1]– من سورة يوسف، الآية 4.

[2]– من سورة يوسف، الآية 6.

[3]– من سورة يوسف، الآية 36.

[4]– من سورة يوسف، الآية 43.

4.1- الفرق بين التأويل والتفسير:

- **<u>التفسير لغة</u>:**

التفسير تفعيل من الفسر معناه الكشف والإبانة وإظهار المعنى المعقول[1]. قال اب منظور(ت: 711هـ) وهو كشف المراد عن اللفظ المشكل ويطلق على الإيضاح والتفصيل[2].ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا"[3] ﴾. أي بيانا وإيضاحا وتفصيلا وقيلا أن التفسير مقلوب من السفر[4] فالسفر و السفر متقاربان في المعاجم العربية يطلق السفر على إيضاح الأعيان للأبصار والسفر على إبراز المعنى المعقول وإظهاره كما يقال أسفرت المرأة عن وجهها إذا كشفته[5] ومعنى السفر كشط الشيء عن الشيء وكشف المغطى كما في تنزيل العزيز﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ [6]﴾. ن

وقيل هو مأخوذ من الفسر أو التفسيرة[7] وهي اسم لما يعرف به الطبيب المريض.لذلك قال ابن فارس(ت:309هـ) هو مشتق من "فسر الطبيب للماء إذا نظرا إليه" ووجه اشتقاقه من هذا اللفظ أن الطبيب يكشف غطاء عن المرض بعد الفحص الطبي كذلك المفسر يكشف المغطى ويزيل اللبس عن ظاهر أحكام الآيات ببيان أسباب نزولها وإيضاح مفاهيمها ومقاصدها وإيراد الواقعات المتعلقة بها[8].

قال أبوحيان(ت: 745هـ): يطلق التفسير أيضا على التعرية للانطلاق كما يقال فسرت الفرس معناه عريته لينطلق في حصره وهو راجع لمعنى الكشف كأنه كشف ظهره لهذا الذي يريد منه الجري[9].

---

[1]- مناع القطان- المرجع السابق- ص.323.

[2]- لسان العرب لابن منظور- مادة فسر- ج5- ص.55.

[3]- من سورة الفرقان، الآية 33.

[4]- جلال الدين السيوطي- الإتقان في علوم اقرآن- ج2- القاهرة، د.ط، 1951- ص. 173.

[5]- المفردات في غريب القرآن- الراغب الأصفهاني- ص. 380.

[6]- من سورة المدثر، الآية 34.

[7]- محمد حسين الذهبي- التفسير والمفسرون-ج1- مصدر دار الكتاب الحديثةن د.ط، 1976- ص. 13

[8]- الكشاف للزمخشري-ص.6.

[9]- محمد حسين الذهبي- المصدر نفسه-ج1- ص.13.

- **التفسير اصطلاحا:**

هو عبارة عن معرفة أحوال ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه من حيث الدلالة على مراد الله تعالى حسب القدرة الإنسانية[1].

قال الزركشي: وقيل هو علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه[2] وقيل "هو علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية و التركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وغير ذلك كمعرفة النسخ وسب النزول وما به توضيح المقام كالقصة و المثل[3].

- **التأويل لغة:**

التأويل من الأول وهو الرجوع والعود، كما يقال آل إليه رجع[4] ويطلق أيضا على معنى الارتداد كما يقال الئت عن الشيء أي ارتدت.

قال الراغب الأصفهاني(ت502ه) التأويل هو الرجوع إلى الأصل ومنه المؤول للموضع الذي يرجع إليه وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المراد منه علما كان أوفعلا[5] كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ [6] ﴾.

ويطلق لفظ التأويل أيضا على معنى التبيين والكشف[7] ومن قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ [8] ﴾.

التأويل في اصطلاح المفسرين هو عبارة عما استنبطه العارفون من المعاني الخفية والأسرار الربانية اللطيفة التي تحملها الآية الكريمة[9].

---

[1]– عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن– المجلد2– بيروت–دار الكتب العلمية، د.ط، 1988،ص .4.

[2]– الزركشي– البرهان في علوم القرآن– ج1– القاهرة– مكتبة الخانجي، د.ط، د.ت. ص.33

[3]– أبو حيان– البحر المحيط–المجلد1–القاهرة– مطبعة السعادة– 1328ه، ص 14/13

[4]– الفيروز أبادي– المرجع السابق– المجلد1.ص331

[5]– الراغب الأصفهاني–المصدر السابق– ص.31.

[6]– من سورة الأعراف، الآية 52.

[7]– محمد أحمد الخفاجي– الإسلامية بين السلفية و المعتزلة– ج1– القاهرة–مطبعة الأمانة– 1399ه– 1979م–ض– ص.61.

[8]– من سورة آل عمران، الآية 7.

[9]– محمد علي الصابوني التبيان في علوم القرآن– المجلد الأول 1985الطبعةالأولى ص.66.

وقد وقع الاختلاف بين العلماء قديما وحديثا عي المعنى الاصطلاحي للتأويل عرفه قدماء المفسرون بأنه مرادف للتفسير وهما بمعنى واحد[1]، وعلى هذا المعنى نجد الإمام ابن جرير الطبري(ت 224هـ) يقول في تفسيره " القول في هذه الآية" يريد بذلك أهل التفسير[2] وعرفه العلماء المعاصرون بأنه صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المرجوح بدليل يدل على أن المراد منه هو المعنى الذي عدد إليه[3].

- **<u>الفرق بين التفسير والتأويل:</u>**

تختلف الآراء بين العلماء في البيان الفرق و تحديد النسبة بين التفسير والتأويل لأن إظهار الفرق بينهما أمر معضل وصعب جدا، قال ابن حبيب النيسابوري: نبغ في زماننا المفسرون ولو سئلوا عن الفرق بينهما ما اهتدوا إليه[4].

يرى بعض العلماء أن التأويل مرادف للتفسير في معظم معانيه اللغوية وهما متساويان ومنه دعاء النبي ﷺ لابن عباس:" اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" يعني التفسير. وقيل أن التفسير والتأويل بينهما معنيان مختلفان وبينهما من التباين فالتفسير هو القطع بأن مراد الله كذا والتأويل ترجيح إحدى الاحتمالين بدون قطع. واختار هذا القول الإمام أبو منصور ما تريدي (ت-333هـ) وقال أيضا في إيضاح الفرق بينهما أن التفسير للصحابة و التأويل للفقهاء[5].

وقيل أن التفسير ما وقع مبينا ظاهرا في كتاب الله عز وجل ومعينا في السنة النبوية لأن معناه ظهر ووضح ليس فيه مجال للاجتهاد و الرأي. والتأويل ما استنبطه العلماء الماهرون من المعاني الخفية و الأسرار الربانية التي تحملها الآيات فيرجحون

منها ما كان أقوى من طريق القياس و الاستدلال ولا يكون هذا الترجيح قطعيا بل يكون للإظهار والإيضاح. وذكر بعضهم أن التفسير هو البيان عن طريق النص القاطع والتأويل هو البيان عن طريق الاجتهاد فعلى هذا أشار إليه الزرقاني بقوله "التفسير هو بيان التي تستفاد من وضع العبارة و التأويل هو البيان للمعاني التي تستفاد بطريق الإشارة"[6].

والنسبة بين هذه الأقوال الأخيرة هي التباين[7]

---

[1]-مصطفى زيد دراسات في التفسير- دار النشر العربي ط1 المجلد الأول ص 18- مجلة البحوث الإسلامية، العدد7- ص- 202.203

[2]- المرجع نفسه- العدد7- ص.202.

[3]- محمد حسين الذهبي، المرجع السابق - ج1- ص. 18.

[4]- محمد حسين الذهبي، المرجع نفسه - ج2- ص.19.

[5]- الماتريدي- تأويلات الماتريدي تحقيق الدكتور مستضيف الرحمن- بغداد- مطبعة الارشاد- 1983- ص. 5.

[6]- مصطفى زيد المرجع السابق،ص 21.

[7]- محمد حسين الذهبي، المرجع السابق -ج1 ص.19-21

أ- فضل علم التفسير:

علم التفسير في نظر كافة المسلمين من أشرف العلوم و أرفعها.

قال الأصبهاني : شرفه من وجوه:

أحدها: من جهة الموضوع، فإن موضوعه كلام الله تعالى.

وثانيها: من جهة الغرض، منه الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي هي الغاية القصوى.

وثالثها: من جهة شدة الحاجة، قال: كل كمال ديني أو دنيوي مفتقر إلى العلوم الشرعية و المعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى.

ب- منشأ علم التفسير :

وأول من أظهر تفسير القرآن وبين للناس معانيه رسول الله ﷺ وكان أعلم الناس بمعاني كتاب الله وإدراك أسراره ومعرفة مقاصده بل هو الذي وجه إليه كلامه من حيث قال : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ [1] ﴾.

يقول ابن خلدون: وكان النبي ﷺ يبين المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ، ويعرفه أصحابه، فعرفوه، وعرفوا سبب نزول الآيات و مقتضى الحال منها منقولا عنه، كما علم من قوله تعالى: ﴿ إذا جاء نصر الله و الفتح ﴾. أنها نعي النبي ﷺ ونقل ذلك عن الصحابة –رضوان الله تعالى عليهم أجمعين– و تداول ذلك التابعون من بعدهم ونقل ذلك عنهم. ولم يزل ذلك متناقلا بين الصدر الأول والسلف، حتى صارت المعارف علوما، ودونت الكتب، فكتب الكثير من ذلك، ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة و التابعين. وانتهى ذلك إلى الطبري والوا قدي والثعالبي وأمثالهم من المفسرين[2].

ج- أشهر المفسرين:

وأجمع العلماء أن أبرز المفسرين للقرآن من الصحابة: الخلفاء الأربعة: أبوبكر وعمر وعثمان– رضي الله عنهم –وأكثرهم تصديا وتفسيرا

هو علي –كرم الله وجهه– الذي كان يقول: سلوني عن كتاب الله ما من آية إلا و أنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار؟ أم في سهل أم في جبل؟"[3]

ومن مفسري الصحابة المشهورين: عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس –رضي الله عنهم– الذي عرف بأنه ترجمان القرآن ورئيس المفسرين و حبر الأمة.

---

[1]– من سورة النحل، الآية 44.

[2]– ابن خلدون، المقدمة 2007– ص. 446

[3]– محمد بن محمد أبو شهبة– الإسرائيليات و الموضوعات في كتب التفسير– مكتبة السنة، القاهرة– ط4– د.ت، ص. 58.

لك دليل على اهتمام و انشغال الأمة الإسلامية بكتاب ربها وبذلها لجهود كثيرة و حثيثة لوأما التابعون فأبرز من روى التفسير منهم مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة مولى بن عباس وطاووس وعطاء بن أبي رباح، وهؤلاء أكثر ما رووه عن بن عباس –رضي الله عنهما– و قد روى التفسير عن ابن مسعود –رضي الله عنه– علقمة والأسود بن يزيد النخعي و عبيدة بن عمرو والسليماني وعمرو بن شرحبيل.

ثم جاءت الطبقة التالية من صغار التابعين، فدونوا الروايات وميزوها عن العلم الحديث، وظهرت في طبقتهم لأول مرة الكتب المتعلقة بالتفسير، يقال أن عبد الملك بن جريج المتوفي عام 149هـ أول من جمع الأخبار المتعلقة بالتفسير في كتاب مستقل.

وقد تطور تصنيف علم التفسير بعد ذلك فحذفت الأسانيد من جهة و ضمت الروايات المتعددة من جهة أخرى إلى بعضها البعض و بدأ العلماء المفسرون باتخاذ منهج النقد للروايات.والتميز بينها لقبول الصحيح ورد لضعيف.

و يعتبر تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري المتوفى عام 310هـ و المسمى جامع البيان في التفسير القرآن أعظم وأقدم تفسير وصل إلينا كاملا. وهو بحسب شهادات العلماء المتخصصين من أعظم التفاسير وأجودها ويقع في ثلاثين مجلدا من الحجم الكبير.

د- أنواع التفاسير:

ولقد تنوعت وتعددت كثيرا كتب التفسير حتى إنها لا تكاد تقع تحت حصر، وذشرحه من جوانب عديدة.

ولقد حصر بعض العلماء كتب التفسير المعروفة في مجموعات بحسب تقسيمات علمية على لنحو التالي:

أ- التفسير بالمأثور:

أي تفسير القرآن الكريم بالقرآن نفسه أو بالسنة النبوية أو بما نقل عن الصحابة الكرام بما نقل عن التابعين ومن هذا القبيل، تفسير الطبري، وتفسير بحر العلوم للسمرقندي، ومعالم التنزيل للبغوي والدر المنثور للسيوطي وتفسير ابن كثير.

ب- التفسير بالرأي:

وهو تفسير القرآن باجتهاد المفسر معتمدا على أسباب النزول ودلالة كلمات الآيات والناسخ والمنسوخ وغير ذلك من أدوات التفسير، ولا شك أن التفسير بالرأي لم يتقبل بشروط المفسر وضوابط التفسير كان منزلقا خطيرا وبابا مفتوحا للتعصب، بل للخروج بكلام الله عن مراده ولكن من الكتب المشهورة

بالتفسير بالرأي، والمعروفة باستقامة أهلها وبتقيدهم العلمي وعدم خروجهم عن مستحسن الأقوال وسديد النهج تفسير "مفاتيح الغيب" للرازي، "وأنوار التنزيل" للبيضاوي "وروح المعاني" للألوسي، و"لباب التأويل للخازن.

ه- وهناك كتب اعتنت بتفسير ألفاظ القرآن الكريم وبيان معنى مفرداته، ككتاب "مفردات القرآن" للراغب الأصفهاني و"غريب القرآن" للسجستاني.

و- وهناك كتب توجهت باهتمامها نحو الآيات المتعلقة بالأحكام الشرعية مثل تفسير "أحكام القرآن" للشافعي و"أحكام القرآن" لابن العربي و"أحكام القرآن" للقرطبي.

ز- وهناك تفاسير اعتنت بالاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، وهو ما يسمى بالتفسير العلمي الذي يربط بين القرآن وعلم الكون، مثل تفسير الطنطاوي وما كتبه الغزالي وغيرهما.

ح- وهناك أخيرا التفاسير التي انصب اهتمامها على ما يتعلق بالعلوم العربية من نحو وبيان وبديع، أو ما في القرآن من إعجاز لغوي مثل مصنفات الباقلاني والرماني والرافعي.

5.1- التعريف بالإسرائيليات:

لفظ إسرائيليات، كما هو ظاهر جمع مفرده إسرائيلية، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي[1].

نسبة إلى بني إسرائيل وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام، أي عبد الله، وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب ومن تناسلوا منهم فيما بعد إلى عهد موسى ومن جاء بعده من الأنبياء، حتى عهد عيسى عليه السلام وحتى عهد نبينا محمد ﷺ وقد عرفوا باليهود من قديم الزمان، أما من آمنوا بعيسى فقد أصبح يطلق عليهم اسم " النصارى" وأما من آمن بخاتم الأنبياء فقد أصبح في عداد" المسلمين" ويعرفون بمسلمي أهل الكتاب[2]

كما كان للعرب في جاهليتهم رحلتين هامتين، رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام وقد ذكرتا في القرآن. وفي هذين الأخيرين كثير من أهل الكتاب وبديهي أن تتم لقاءات واتصالات، فكان أن تغلغلت الثقافة اليهودية إلى العرب ولا شك أيضا أن استمداد العرب منها كان محدودا وضيقا. - نشأة الإسرائيليات:

لقد أقام مع العرب – في جاهليتهم – جماعة من أهل الكتاب جلهم من اليهود الذين نزحوا إلى جزيرة العرب من قديم وقد حملوا معهم ما حملوا من ثقافات مستمدة من كتبهم الدينية وما يتصل بها من شروح، وما توارثوه جيلا بعد جيل عن أنبيائهم وأحبارهم، وكانت لهم أماكن يقال لها "المدارس" يتدارسون فيها ما توارثوه من ذلك، وأماكن أخرى يقيمون فيها عباداتهم وشعائر دينهم[3].

وفي المدينة وما حولها وعلى بعد منها، كانت تقيم طوائف يهودية كبني قنيقاع، وبني قريضة، وبني النضير ويهود خيبر، وتيماء، وكانت بحكم هذا الجوار بين اليهود والمسلمين – تتم لقاءات بينهم لا تخلو – عادة– من تبادل العلوم والمعارف: كان النبي ﷺ وغيرهم من أهل الكتاب ليعرض عليهم دينه، وكان اليهود يلقون رسول الله ﷺ ليحكمون فيما شجر بينهم، أو ليسألوه عن بعض ما يعز لهم السؤال عنه، إما تحديا أو تعجيزا، وإما امتحانا واختبارا لصدق نبوته، وقد حكى القرآن الكريم كثيرا من ذلك[4].

ولم تكن درجة الضبط والدقة والتثبت في الرواية واحدة في جميع مراحلها، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أكثر دقة وتثبيتا وعدلا وأمانة في رواياتهم ممن تلاهم حتى فشى الوضع والكذب في عصر التابعين خدمة للأهواء والأغراض وتصدي علماء المسلمين آنذاك بشدة، وخلف من بعدهم خلف تساهلوا في الرواية والمروي حتى صعب على الناس التمييز بين الصدق والكذب، بين الأصيل والدخيل.

---

[1]– الذهبي–الإسرائيليات في التفسير والحديث– مكتبة وهبه القاهرة–ط4– 1990ص .13.

[2]– محمد بن محمد أبو شهبة– المرجع السابق– ص.12–13.

[3]– الذهبي: المرجع السابق ص. 16.

[4]– الذهبي: المرجع نفسه ص.16

أما الشكل الثاني من أشكال التفسير فقد تمثل في التدوين، وبدأ ذلك في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حيث أمر بجمع ما صح لدى العلماء من حديث رسول الله ﷺ وما اشتمل عليه من تفسير، كذلك ما كان موقوفا عند الصحابة والتابعين، وكان التفسير بمثابة باب من أبواب الحديث التي جمعها العلماء وقاموا بتبويبها، ثم تم الانفصال في التدوين، فكان الحديث مستقلا والتفسير مستقلا. وقد تسربت الإسرائيليات في المرحلتين السابقتين:

الرواية التدوين: ففي مرحلة الرواية، كانت نفوس الصحابة تتوق إلى معرفة تفاصيل بعض القصص المجمل في القرآن والذي لم يسأل النبي فيه – فكانوا لا يتحرجون– في سؤال أهل الكتاب من جيرانهم فيما يتعلق بهذه التفاصيل التي لا تتعلق بحكم أو تشريع، وإنما هي تشبع حالة الفضول الإنساني إلى المزيد من المعرفة.

وفي عصر التابعين، حيث دخل كثير من أهل الكتاب في الإسلام، مع اتساع التواجد الإسلامي وتمدده، وحيث التساهل الذي ميز هذه المرحلة، زادت راوية الإسرائيليات نتيجة محاولة بعض المفسرين آنذاك سد الثغرات فيما لا يعرفونه من تفاصيل، وكأنهم تحرجوا من الإجمال والاختصار في الوقت الذي تتسم فيه كتب اليهود والنصارى بالتفاصيل.

وبعد التابعين جاء عصر لم يفرق فيه أصحابه بين الغث والثمين، ولم يقتصروا على رواية الإسرائيلياتـ بل راحوا يروون الخرافات والأساطير التي لا سند لها من كتاب أو صحائف.

وهكذا وجدنا أن تسرب الإسرائيليات إلى التفسير قد بدأ منذ عهد الصحابة مع شيء من التقييد والتحديد وتطور، واتسع مع مرور الزمن.

وأما في مرحلة التدوين، فقد بدأت بالنقاء شبه التام من الإسرائيليات نتيجة الالتزام بالسند، والتشدد في قبول الرواة، وبعد الانفصال عن تدوين التفسير وتدوين الحديث وحذف الأسانيد، كثرت الإسرائيليات وزادت الخرافات التي ألصقت بالتفاسير، وأصبحت فيما بعد جزء لا يتجزأ منه[1]

ب- أسباب الاستعانة بالإسرائيليات:

لم يأخذ الصحابة عن أهل الكتاب شيئا في تفسير القرآن من الأخبار الجزئية سوى القليل النادر، فلما جاء عهد التابعين وكثر الذين دخلوا في الإسلام من أهل الكتاب، كثر أخذ التابعين عنهم ثم ازداد شغف من جاء بعدهم من المفسرين بالإسرائيليات[2].

[1]– محمد حسين الذهبي: المرجع السابق ج1 ص 166، 167، والإسرائيليات في التفسير الحديث ص. 19 وما بعدها.

[2]– مناع القطان: المرجع السابق ص.355

وقد شرح ابن خلدون في مقدمته أسباب نقل المفسرين هذه الإسرائيليات فقال: والسبب هو أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، فإنما يسألون أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدون منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى، وأهل الكتاب الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حِمْير الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل أخبار بدئ الخليقة، ومما يرجع إلى الحدثان، والملاحم، وأمثال ذلك وهؤلاء مثل: كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام... وأمثاله[1].

ومن هذه المقالة يتضح لنا أن ابن خلدون أرجع الأمر إلى معطيات اجتماعية ودينية، فاجتماعيا كانت غلبة البداوة والأمية على العرب، وتشوقهم لمعرفة ما تتشوق إليه النفوس البشرية من أسباب المكونات وبدء الخليقة، وأسرار الوجود، أما دينيا فقد سوغت لهم الاعتبارات الدينية تلقي المرويات في تساهل وعدم تحري الصحة. إن مثل هذه المنقولات ليست مما يرجع إلى الأحكام، فيتحرى فيها الصحة التي يجيب ها العمل. وسواء أكانت هذه كل الأسباب، أم كانت هناك أسباب أخرى، فإن كثيرا من كتب التفسير قد اتسع لما قيل من ذلك وأكثر، حتى أصبح ما فيها مزيجا متنوعا من مخلفات الأديان المختلفة والمذاهب المتباينة[2]

ج- منابع الإسرائيليات:

إن من أشهر كتب اليهود "التوراة" وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم إذ يقول تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء [3]﴾.

والمقصود بها التوراة التي نزلت من عند الله قبل أن يصلها التحريف والتبديل، فما وافق القرآن حق وما خالفه فهو باطل، ومن كتبهم أيضا الزبور وهو كتاب داوود عليه

---

[1]– ابن خلدون: المرجع السابق ص.447

[2]– أمين الخولي: التفسير، معالم حياته، منهجه اليوم – دار العلمين، د.ط، د.ت، ص.10–11.

[3]– من سورة المائدة، الآية 44.

السلام ، وبجانب التوراة المكتوبة نجد "التلمود" وهي التوراة الشفهية وهي جملة من الوصايا والقواعد وشرائع دينية وأدبية ومدنية وشروح وتفاسير وتعاليم وروايات كانت تتناقل وتدرس شفهيا من حين إلى آخر ولقد استنبط اليهود معارفهم وثقافتهم من شروحات التلمود ومن الأساطير والخرافات التي افتروها أو تناقلوها من غيرهم ومن التوراة والأسفار، وأما النصارى فمصدر ثقافتهم الدينية ومعارفهم يعود في الغالب إلى الأناجيل وشروحها والرسل وسيرهم، هذه المصادر كلها كانت المنابع الأصلية للإسرائيليات، التي حشيت بها كتب التفسير والتاريخ والقصص والمواعظ وإن كان في هذه الروايات بعض الحق ففيه باطل كثير، وكذب صراح وافتراءات جمة... [1].

"وإنما سميت إسرائيليات لأن الغالب والكثير منها إنما هو من ثقافة بني إسرائيل أو من كتبهم ومعارفهم، أو من أساطيرهم أو أباطيلهم[2].

والحق يقال: إنما جاء في كتب التفسير من الإسرائيليات أكثر بكثير مما ورد فيها من النصرانيات التي لا تكاد تذكر بجانب الإسرائيليات وآثارها السيئة، فهي أبعد اثر، وأشد خطرا، أما النصرانيات فقد ورد معظمها في الأخلاق والمواعظ[3]. والحقيقة أن ما أدخله اليهود على الإسلام والمسلمين أفسد التاريخ وأتعب الفقهاء ورواة الحديث[4].

وإذا رجعنا قليلا إلى الوراء و فتشنا في صفحات التاريخ، فإننا ندرك السر في ذلك حيث إن اليهودية منيت بالفشل العسكري أمام دعوة الإسلام الفتية بقيادة المصطفى ﷺ فقتل من اليهود من قتل وشرّد منهم من شرّد في المدينة المنورة وخيبر، ففطن اليهود إلى سلاح أخطر من السلاح العسكري يعوضهم عن هزيمتهم ويشفي غليلهم وحنقهم على الإسلام والمسلمين، ذلك هو سلاح الغزو، فدست الإسرائيليات والنصرانيات على حين غرة من المسلمين، ولم تمض سنوات قلائل حتى غاصت كتب المسلمين[5].

---

[1]– الذهبي: التفسير والمفسرون ص. 170 ومحمد بن محمد أبو شهبة، المرجع السابق ص.19–20

[2]– الذهبي: المرجع نفسه. ص.165

[3]– محمد بن محمد أبو شهبة، المرجع السابق ص14 والسيد سعد الدين صالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، مكتبة الصحابة، جدة ومكتبة التابعين القاهرة ط2، د.ت، ص185.

[4]– محمود نعناعة: تاريخ اليهود، دار الفكر– الأردن ط.1 2001 ص.109

[5]– يوسف القرضاوي: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، دار الشرروق، القاهرة ط 1 1419 ص.345

د- موقف الإسلام من الإسرائيليات :

إن المتتبع للنصوص الشرعية أو المأثور عن السلف الصالح بشأن رواية الإسرائيليات يجد أن هناك أدلة تجيز روايتها وأخرى تمنعها، وسنعرض لكلا الأمرين باختصار ثم نوفق بينهما ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ونبدأ أولا بأدلة المنع وأهمها:

- **أدلة المنع:**

أ- الآيات الكريمة الدالة على أن اليهود والنصارى بدلوا وحرفوا كتبهم وأخفوا الكثير منها، مما أفقد الثقة بها، وإذا فقدنا الثقة في كتاب، فمن باب أولى لا تجوز الرواية عنه، ومن هذه الآيات[1] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ [2]﴾، وقوله تعالى: ﴿فبما فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ [3]﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ [4]) ﴾.

ب- الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية و يفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بما أنزل..." الآية[5].

ج- الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وابن أبي شيبة و البراز من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما:" أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه فغضب، فقال: أمتهوكون[6] فيها يا ابن الخطاب؟ و الذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبرونكم بحق فتكذبوا

---

[1]- الذهبي: المرجع السابق ص.55

[2]- من سورة المائدة، الآية 41.

[3]- من سورة المائدة، الآية13.

[4]- من سورة المائدة، الآية 14.

[5]- أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير- باب- (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) برقم 4485.

[6]- أمتهوكون فيها: أي متحيرون في ملتكم،انظر- ابن منظور، لسان العرب- 160/15.

به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني[1]

د- الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل الله على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرؤونه لم يشب[2]، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ ولا والله ما رأينا رجلا منهم قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم[3]

- **<u>أدلة الجواز:</u>**

أ- الآيات الواردة في القرآن الكريم الدالة على جواز الرجوع إلى أهل الكتاب وسؤالهم عما بأيديهم منها، قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ [4]﴾. ففي هذه الآية إباحة سؤال النبي ﷺ لأهل الكتاب، وكذلك أمته، وكما هو مقرر شرعا أن خطاب الله تعالى لنبيه ﷺ خطابا لأمته ما لم يقم دليل بالتخصيص كما هو الحال في هذا المقام[5] ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ[6]﴾. قيل: هو الحصين بن السلام حبر اليهود الأعظم وقد سماه النبي ﷺ بعيد الله بعد إسلامه، وقيل: هم من اليهود والنصارى، ومنهم ابن سلام وفي ذلك إباحة الرجوع إلى أهل الكتاب[7].

---

[1]- أخرجه الإمام أحمد، في مسنده- برقم(15156)،(348/23)- جاء في مجمع الزوائد للهثيمي- رواه أحمد وأبو يعلى والبراز وفيه مجادل بن سعيد-ضعفه أحمد ويحي بن سعيد(علي بن أبي بكر الهيثمي- مجمع الزوائد(174/1) دار الريان للتراث القاهرة ودار الكتاب العربي بيروت 1407.

[2]- يشب: أي لم يخلط، أنظر ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق (292/5)

[3]- أخرجه الإمام البخاري في كتاب الشهادات، باب (لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها) برقم 2539 (292/5)

[4]- من سورة يونس، الآية 94.

[5]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (245/8) أنظر محمد طاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير (284/6) دار سحنون، تونس 1997 وانظر الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث ص.57، والمراد بالشك في الآية على سبيل الغرض والتقدير لأن الشك لا يتصور منه أصلا، أو هو خطاب للنبي ﷺ والمراد به: أمته، الزمخشري الكشاف (252/2) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.1 1997.

[6]- من سورة الرعد، الآية 43.

[7]- ابن كثير-تفسير القرآن العظيم-(2/ 521)

ب- الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال :'بلغوا عني و لو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، و من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار[1].

وقد ذكر الإمام ابن كثير هذا الحديث في مقدمة تفسيره، مستدلا به على جواز التحديث عن أهل الكتاب فيما علما صدقه[2]

ج- ما ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه أصاب يوما اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يتحدث منهما[3]

هـ- حكم الإسرائيليات:

الإسرائيليات هي أخبار تتحدث عن أهل الكتاب وعن الأمم السابقة عن الإسلام وهي قسمان:

أ- القسم الأول: وهو ما جاء ذكره في القرآن أو سنة محمد ﷺ، فقصص الأنبياء تملئ القرآن والسنة كقصة الأعرج والأبرص والأعمى الذين ابتلوا من قبل الله عز وجل، وقصة الثلاثة الذين آووا إلى غار وانغلق عليهم، والرجل الذي قتل مائة نفس إلى آخر ما ذكره النبيﷺ[4]

ب- القسم الثاني: وهو ما أخذ عن العلماء أهل الكتاب وخاصة من أسلم في عصر النبي عليه الصلاة والسلام وبعده ومن أشهرهم عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وغيرهم.

وهذا ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

<u>النوع الأول:</u>

وهو ما كان موافقا لما جاء في الكتاب والسنة أو أحدهما، فهذا مقبول، استنادا للكتاب والسنة.

---

[1]- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء باب: ما ذكر عن بني إسرائيل برقم 3461، أنظر ابن حجر، فتح الباري 614/6.

[2]- ابن كثير، المصدر نفسه،1/4

[3]- الذهبي المرجع السابق ص.59 والزاملة: الدابة التي يحمل عليها المتاع، أنظر الزمخرشي أساس البلاغة (422/1) تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت ط1 1998.

[4]- ابن كثير: قصص الأنبياء، ص.3.

النوع الثاني:

ما كان مخالفا للكتاب والسنة أو أحدهما فهذا غير مقبول، وقد دخله التحريف والتغيير.

النوع الثالث:

وهو ما جاء عنهم وليس له ذكر لا في الكتاب ولا في السنة، فبالإمكان الاستغناء فنحن لا نصدق احتمالا أن يكون من كذبهم وتحريفهم، ولا نكذبه احتمالا أن يكونوا صدقوا فيه وإنما نكتفي بحكايته

و- أقطاب الإسرائيليات:

أكثر ما يروى من الإسرائيليات يروى عن أربعة أشخاص وهم، كعب الأحبار، وهب بن منبه، عبد الله بن سلام وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، وقد تباينت آراء العلماء في الحكم عليهم مابين مجرح وموثق وأكثر الخلاف دار حول كعب الأحبار وكان عبد الله بن سلام أعلاهم قدرا وأغزرهم علما ولم ينسب إليه من التهم ما نسب إلى كعب الأحبار ووهب بن منبه.

أ- عبد الله بن سلام:

هو أبو يوسف، عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي الأنصاري، حليف القوافلة من بني عوف من الخزرج، وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام، أسلم عند مقدم النبي ﷺ إلى المدينة وقصة إسلامه كما يوردها البخاري تشير إلى مكانته بين قومه، إذ قالوا عنه: "ذاك سيدنا وابن سيدنا[1] وأعلمنا وابن أعلامنا".

ولقد أخرج البخاري له بابا في مناقبه عند الكلام عن مناقب الأنصار، حيث قال: عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت هذه الآية[2]﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ [3] ﴾.

---

[1]- البخاري، صحيح البخاري ج.5 مطابع الشعب ص.80

[2]- البخاري، المصدر نفسه ج.46/5

[3]- من سورة الأحقاف، الآية 10.

ولقد اشتهر بين الصحابة بين العلم، كما اشتهر من قبل بين قومه بالعلم أيضا، وقد نقل المسلمون عنه الكثير وينسب إليه الطبري في تاريخه كثيرا من الأقوال في قضايا تاريخية ودينية، وترتبط به رواية الإسرائيليات التي ينبغي علينا تمحيصها وعرضها على مقاييس الصحة المعتبرة في باب الرواية، فما صح قبلناه، وما لم يصح رفضناه، دون أن نهمز أو نلمز في حق هذا الصحابي، فقد يكون ما لا يصح قد وضع على لسانه دون أن يقوله، وإذا كان الواضعون قد كذبوا على من هو أعظم منه- رسول الله ﷺ – فهل يستبعد أن يفترى على عبد الله بن سلام من اليهود أنفسهم، انتقاما منه لا سلامه ونكاية فيه؟ !

ويمكن القول، بأننا لا نجد اتهامات موجهة إليه، على نحو ما نجده تجاه كعب ووهب، كما نجد من طعن في علمه من القدماء أو المحدثين[1] إلا من كان من الكتاب المتأخرين الذين تأثروا بمقولات المستشرقين و نوايا هؤلاء، وبخاصة اليهود منهم، تجاه الإسلام والنبي والصحابة لا ينقصها الخبث والعداوة وسوء الظن[2]

ب- كعب الأحبار:

هو كعب بن مانع بن عمرو بن قيس من آل ذي رعين، وقيل: ذي الكلاع الحميري وكان إسلامه في خلافة سيدنا عمر، وقبل في خلافة الصديق، وقيل: إنه أسلم في عهد النبي ﷺ ولكن تأخرت هجرته، فمن ثم لم يراه، وقد كان عنده علم بكتب أهل الكتاب، والثقافة اليهودية، كما كان له حظ من الثقافة الإسلامية ورواية الأحاديث[3].

ولا نجد من بين علماء الجرح والتعديل[4] من طعن فيه أو اتهمه بالوضع والاختلاف، والجمهور على توثيقه، ولا ذكر له في كتب الضعفاء و المتروكين، وقد كان الصحابة كابن عباس وأبي هريرة وغيرهما يروون عنه، كما خرج له الإمام مسلم في صحيحه في مواضع من أواخر كتاب الإيمان، كما خرج له أبو داود و الترمذي والنسائي،

---

[1]- ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب،ج5، دار الفكر 1984 ص249، وابن الأثير أسد الغابة في معرفة الصحابة المطبعة الوهيبته، القاهرة1280هـ ج3 /764.765.

[2]- محمد بن محمد أبو شهبة: المرجع السابق، ص 100

[3]- محمد بن محمد أبو شهبة: المرجع نفسه ص 101

[4]- الجرح و التعديل، هو علم خاص بوصف الراوي للحديث

و هذا في حد ذاته دليل على أن كعبا كان ثقة ونحن لا نتهم كعبا هنا بالكذب أو الوضع أو الاختلاق، وإنما نعيب عليه "ترويجه" لهذه الإسرائيليات التي ضمت بين دفتيها ما هو كذب وما هو صدق، وكان حريا بكعب وأقرانه بل وبالصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين مراجعة مرويات أهل الكتاب، فعلى كعب تقع مسؤولية كبيرة في نقل تلك المرويات عن أسلافه دون تمحيص[1].

ويحاول الشيح الذهبي رحمه الله، أن يبرئ ساحة كعب بقوله: "وإذا كانت هذه الإسرائيليات المروية عن كعب وغيره، فقد أثرت في عقيدة المسلمين وعلمهم أثر غير صالح، فليس ذنب هذا راجعا إلى كعب وأضرابه لأنهم رووه في كتبهم ولم يشرحوا به القرآن، اللهم إلا ما يتفق من هذا مع القرآن ويشهد له، ثم جاء من بعدهم فحاولوا أن يشرحوا القرآن بهذه الإسرائيلياتـ فربطوا بينها وبينه على ما بينهما من بعد شاسع بل وزادوا على ذلك ما نسجوه من قصص خرافية، نسبوها لهؤلاء الأعلامـ ترويجا لها وتمويها على العامة.

فالذنب إذن ذنب المتأخرين الذين ربطوا هذه الإسرائيليات بالقرآن وشرحوه على ضوءها، واخترعوا من الأساطير ما نسبوه زورا وبهتانا إلى هؤلاء الأعلام وهم منه براء[2].

والحقيقة أن دفاع الشيخ الذهبي عن كعب وأقرانه يحمل في طياته اتهاما لهم دون قصد، فعبارته "لأنهم رووه على أنه مما في كتبهم" تعني أنهم لا زالوا رغم إسلامهم يعتقدون أنها كتبهم وأنها صالحة للأخذ منها دون تمحيص.

ج- وهب بن منبه:

هو أبو عبد الله، وهب بن منبه بم سيبح بن ذي كناز، اليماني، الصنعاني، قال عبد الله بن أحمد ابن حنبل عن أبيه: كان من أبناء فارس، وأصل والدة "منيه" من خرسان من أهل هراة، أخرجه كسرى منها إلى اليمن فأسلم في عهد النبي ﷺ ولد وهب في خلافة عثمان و مات على الأرجح سنة 110هـ.

---

[1]- أنظر أحمد عمر هاشم، قواعد أصول الحديث، معهد الدراسات الإسلامية القاهرة، د.ط، 1990 ص. 199، 211.

[2]- محمد حسين الذهبي، المرجع السابق ص.188.

روى عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، وابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو بن العاص، وجابر وأنس وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

وروى عنه عبد الله وعبد الرحمن، وعمر بن دينار وغيرهم، أخرج له البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وأبو داود، ويعده العلماء من خيار علماء التابعين، إذا كان كثير الاطلاع على الكتب القديمة، وقد وثقه الجمهور...ولا نعفي وهب بن منبه من مسؤولية إدخال الإسرائيليات بما فيها من القصص الباطلة إلى كتب التفسير[1].

والملاحظ على هؤلاء الأقطاب الثلاثة، أقطاب الروايات الإسرائيلية، لم يخترعوا شيئا من عندهم وإنما كانت لهم مصادرهم الإسرائيلية التي نقلوا عنها، فروايتهم للكذب والاختلاف لا تعني أنهم الذين كذبوا أو اختلفوا، ولكنها دليل على أنهم كانوا وسطاء في حمل ونقل معارف أهل الكتاب إلى المسلمين وإلى بعض كتب اليهود التي حشيت بالأكاذيب[2]

ك- موقف ابن كثير من الإسرائيليات وسبب الاستعانة بها:

يبين ابن كثير موقفه من رواية الإسرائيليات في تاريخه فيقول: "و لسنا نذكر من إسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، وهو القسم الذي لا يصدق و لا يكذب، مما فيه بسط لمختصر عندنا، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة في تعينيه لنا فنذكره على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه وإنما الاعتماد عليه والاستناد على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ما صح نقله أو حسن وما فيه ضعف نبينه...

فأما الحديث الذي رواه البخاري رحمه الله في صحيحه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن الرسول الله ﷺ قال: " بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج، وحدثوا عني ولا تكذبوا علي، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" فهو محمول على الإسرائيليات المسكوت عنها عندها فليس عندنا ما يصدقها ولا يكذبها، فيجوز روايتها للاعتبار، وهذا هو الذي نستعمله في كتابنا هذا فأما ماشهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا

---

[1]– ابن خلكان: وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان،ج2 تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ط، د.ت، ص. 238.

[2]– محمد بن محمد أبو شهبة: المرجع السابق ص.104

إليه استغناء بما عندنا، وما شهد له شرعنا منها بالبطلان فذلك مردود لا يجوز حكايته، إلا على سبيل الإنكار والإبطال[1].

فابن كثير يتتبع في منهجه تقسيم الإسرائيليات على نحو التالي:

أ- جواز رواية ما وافق شرعنا على سبيل التحلي لا الاعتماد

ب- جواز رواية المسكوت عنه للاعتبار.

ج- عدم جواز رواية ما خالف شرعنا إلا للإنكار و الإبطال.

وقد أقر ابن كثير بأخذه في كتابة بالقسم الثاني، إذ لا حاجة لما وافق، و لا ضرورة لما خالف أشرت آنفا إلى موقف ابن كثير من رواية الإسرائيليات من خلال ما عرض له في تاريخه، ونستكمل هنا بيان موقفه من خلال تفسيره للقرآن العظيم والذي يعتبر من أشهر ما دون في التفسير بالمأثور، بل يعتبر الكتاب الثاني بعد تفسير الطبري حيث فسر القرآن بالأحاديث والآثار مسندة إلى أصحابها مع جرح وتعديل لمن بحاجة إلى ذلك من الرواة، كما كانت رؤية نقدية تجاه ما يعرضه من أقوال، فيرجع بعضها على آخر، ويضعف بعض الروايات ويصحح أخرى. ويمتاز هذا التفسير- فيما يتعلق بالإسرائيليات- بتنبيه صاحبه إلى الروايات الإسرائيلية محذرا منها.

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً... [2]﴾ . يروى كل ما قيل عن السلف من روايات عجيبة، ثم يعقب عليها قائلا: "والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل، وهي مما يجوز نقلها، ولكن لا تصدق ولا تكذب، فلهذا لا يعتمد عليها ما وافق الحق عندنا والله أعلم.

ومثال ذلك أيضا: "فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عمر بن إبراهيم، حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ قال : لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فإنه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره ...والظاهر أنه تلقاه من الإسرائيليات[3].

---

[1]- أبو الفداء الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية، ج1 ص.7006.

[2]- من سورة البقرة، الآية 67.

[3]- ابن كثير: قصص الأنبياء ص. 38.

وفي معرض حديثه عن قتال موسى لعوج بن عنق:"...فوثب في الهواء عشرة أذرع وطوله عشرة أذرع، وبيده عصاه وطولها عشرة أذرع...ثم مع هذا كله من الإسرائيليات، وكل هذا من وضع جهال بني إسرائيل[1].

وفي حديثه عن سحرة فرعون: "وروى عنه أيضا أنهم كانوا أربعين غلاما من بني إسرائيل أمرهم فرعون أن يذهبوا إلى العرفاء فيعلموا السحر، ولهذا قلوا وما أكرهتنا عيه من لسحر وفي هذا نظر[2].

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ... [3]﴾. نراه يذكر قصصا في منتهى الغرابة، ثم ينهي ما رواه منها بقوله: وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد، والسدى، والحسن البصري، وقتادة، وأبي العالية، والزهري، والربيع بن أنس، ومقاتل بن حيان، وغيرهم وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح الإسناد إلى الصادق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن، إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، و الله أعلم بحقيقة الحال وكثيرا ما نرى ابن كثير يعرض كل الإعراض عن بعض القصص الإسرائيلي الذي يرويه بعض المفسرين في تفاسيرهم، ويرى أن الإمساك عن ذكره خير من روايته، لأن الاشتغال به عبث لا فائدة فيه.

فمن ذلك مثلا أنه عندما عرض لتفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ [4] ﴾. نراه يقول: "يخبر الله تعالى عن خليله إبراهيم –عليه السلام– أنه أتاه رشده من قبل، أي من صغره، ألهمه الحق و الحجة على قومه، كما قال الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ [5] ﴾. وما يذكر من الأخبار عنه في

---

[1]– ابن كثير: المصدر نفسه ص.237.

[2]– ابن كثير: المصدر نفسه ص.212.

[3]– من سورة البقرة، الآية 102.

[4]– من سورة الأنبياء، الآية 51.

[5]– من سورة الأنعام، الآية 83.

إدخال أبيه في السرب وهو رضيع، وأنه خرج بعد أيام فنظر إلى الكواكب والمخلوقات فتبصر فيها، وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم، فعامتها أحاديث بني إسرائيل، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح، وما خالق شيئا من ذلك رددناه، وما ليس فيه موافقة من ذلك ولا مخالفة، لا نصدقه ولا نكذبه، بل نجعله وفقا، وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته، وكثير من ذلك مما لا فائدة ولا حاصل له مما ينتفع به الدين، ولو كانت فائدته تعود على المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة[1].

وعندما يذكرها ما روى عن السلف في تفسيره لأول سورة ق نراه ينسب ما قيل لخرافات بني إسرائيل والتي يوضح هدف بثها قائلا: "وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاف بعض زنادقتهم يلبسون على الناس أمر دينهم"[2].

ويتضح مما سبق، أن ابن كثير لم يقف موقفا واحدا مما نقله ورواه من الإسرائيليات، فتارة ينقد وأخرى نراه فيها يصمت فنحن مثلا نجد ابن كثير يسوق بعض الإسرائيليات التي تحتمل الصدق والكذب، ثم لا يتعقبها ومن ذلك: أنه روى عن وهب بن منبه في قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى [3]﴾. قوله:"... فألقاها على وجه الأرض ثم حانت منه نظره، فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون يدب يلتمس، كأنه يبتغي شيئا يريد أخذه، يمر بالصخرة مثل الخلفة[4] من الإبل فيلتقمها، ويطعن بالناب من أنيابه في أصل الشجرة العظيمة فيجتثها، وعيناه تتقدان نارا وقد عاد المحجن منها عرفا، قبل شعره مثل النيازك[5] وعاد الشعبتان منها مثل القليب الواسع، فيه أضراس وأنياب لها صريف[6]، فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا ولم يعقب، فذهب حتى أمعن ورأى أنه قد أعجز الحية، ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه، ثم نودي: يا موسى أن ارجع حيث كنت، فرجع موسى وهو شديد الخوف، فقال: "خذها، بيمينك، ولا تخف سنعيدها

---

[1]– ابن كثير: قصص الأنبياء – ج2 ص 37–38 .

[2]– ابن كثير: تفسير ابن كثير –ج4– ص. 221.

[3]– من سورة طه، الآية 20.

[4]– الخلفة من الإبل: الحامل.

[5]– النيازك: جمع نيزك: وهو الرمح القصير.

[6]– الصريف: الصوت.

سيرتها الأولى" وعلى موسى حينئذ مدرعة[1] من صوف، فلما أمره بأخذه لف طرف المدرعة على يده فقال الملك: أرأيت يا موسى لو أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة تغني عنك شيئا؟ قال لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت، فكشف عن يده ثم وضعها على فم الحية حتى سمع حس الأضراس والأنياب، ثم قبض فإذا هي عصاه التي عهدها، وإذا يده في موضعها الذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبتين[2].

ومثال ذلك أيضا في تفسيره ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ... [3]﴾. ...إلى أخر الآية نجده بعدما ذكر أن الذي حاج إبراهيم –عليه السلام– هو ملك بابل "نمرود بن كنعان"أو "نمرود بن فالح" يقول ما نصه،"وروي عن عبد الرزاق، عن عمر، عن زيد بن أسلم: أن النمرود كان عنده طعاما، وكان الناس يفيدون إليه للميرة

فوفد إبراهيم في جملة من وفد للميرة، فكان بينهما هذه المناظرة، ولم يعط إبراهيم من الطعام، كما أعطى الناس، بل خرج وليس معه شيء من الطعام، فلما قرب من أهله عمد إلى كثيب من التراب فملأ منه عدليه، وقال: أشغل أهلي عني إذا قدمت إليهم، فلما قدم وضع رحاله، وجاء فاتكأ فنام، فقامت امرأته سارة إلى العدلين فوجدتهما

ملآنين طعاما طيبا، فعملت طعاما، فلما استيقظ إبراهيم وجد الذي قد أصلحوه، فقال: أنى لكم هذا؟ قالت: من الذي جئت به، فعلم أنه رزق رزقهم الله عز وجل، قال زيد بن أسلم: وبعث الله إلى ذلك الملك الجبار ملكا يأمره بالإيمان بالله فأبى عليه، ثم دعاه الثانية فأبى، ثم الثالثة فأبى وقال: اجمع جموعك، وأجمع جموعي، فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس، وأرسل الله عليهم ذبابا من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس، وسلطها الله عليهم، فأكلت لحومهم ودماءهم، وتركتهم عظاما بادية، ودخلت واحدة منها في منخري الملك، فمكثت في منخري الملك أربعمائة سنة عذبه الله بها، فكان يضرب رأسه بالمزارب في هذه المدة حتى أهلكه الله عز وجل بها[4]

---

[1]– المدرعة: قميص كالدرع.

[2]– ابن كثير: المصدر السابق– ج3– ص . 145.

[3]– من سورة البقرة، الآية 258.

[4]– ابن كثير: قصص الأنبياء ص.100.

ل- ما الفائدة من الإسرائيليات في التفسير؟

هناك من يقول أن الإسرائيليات غير مفيدة في التفسير ولا حاجة إليها فيه، لكن صنيع المفسرين من لدن الصحابة إلى التابعين وتابعيهم إلى ابن جرير وكل من بعده من المفسرين، ذكر الإسرائيليات في تفاسيرهم، وهذه قضية منهجية عند المفسرين، والذي يسأل عن فائدة الإسرائيليات في التفسير.

- التفسير لا يحتاج إلى الإسرائيليات ولكنه يستفيد منها.
- كان اليهود يعيشون مع الصحابة في المدينة، وكان أهل الذمة بعد ذلك في مجتمعات المسلمين آمنين، ومعهم في شوارعهم وبين بيوتهم وحول مساجدهم ويحسن بنا أن نلحظ البعد الدعوي في الإذن النبوي بالحديث عن بني إسرائيل ما كان حقا من أخبارهم، أو ما لم يعارض شرعنا، وهذا العدل والإنصاف في العلم والدعوة باب عظيم من أبواب الترغيب في الإسلام وتحبيب أهل الذمة في هذا الحق الذي يتم ما عندهم من الحق، ولا يرد الحق ممن جاء به. كما أنه كان من ثمرة ذلك الاحتكاك مع أهل الذمة، التعرف على كتبهم وأخبارهم عن كثب، وتنقية ورد ما ينتشر منها بين العامة مما يعارض الشريعة، أو رواية ما يصلح منها، خاصة مما له علاقة بكتاب الله تعالى.
- كثير منا ينفر من الإسرائيليات إذا مرت معه في كتب التفسير لأنها إسرائيليات، لا لأنها خالفت نصوصا شرعية، أو مسلمات عقدية. وهذا خطأ منهجي، ناتج عن التصور القاصر للإسرائيليات في كتب التفسير.

الفصل الثاني

توظيف المعتقدات الشعبية في قصص الأنبياء لابن كثير

إن السؤال الذي يطرح نفسه علينا وبإلحاح هو:

لماذا وظف ابن كثير هذه المعتقدات في النص القصصي؟

للإجابة عن هذا السؤال، فإننا سنبحث عنه من جانبين:

أ- طبيعة المعتقد الموظف والقصة القرآنية:

بمعنى بحث العلاقة الموجودة بينهما، هل هي علاقة تجاذبية، أي أنها من الإسرائيليات غير المتعارضة مع الكتاب والقصة وبالتالي يؤخذ بها ويستحسن الإشارة إلى معانيها مما قد ورد في الكتاب والسنة.

وإذا كانت تنافرية فهي من النوع الثالث من الإسرائيليات الذي لم يرد لا في القرآن ولا في السنة وعليه يجب الوقوف على خطورة هذا الأمر، و مناقشة ابن كثير إن أمكن في الاستدلال بها إن من بين الاحتمالات التي يمكن أن نضعها كسب لاستعانة ابن كثير بهذه المعتقدات:

- ربما أراد الاستئناس بها
- قد يكون أخذها من غيره دون الإشارة إلى مصادر هذا الأخذ.
- ربما أراد أن يترك المجال لمن سيأتي بعده فيدرسها.
- قد يكون ذلك انعكاس لما كان يسود في مجتمع ابن كثير.
- إن كثرة التوظيف تدل على اتساع معارف الرجل وانفتاحه على جميع الديانات خاصة السماوية و الوضعية.

ب- آثار هذا المعتقد في الأوساط الشعبية:

إن آثار هذا المعتقد قد تكون فإيجابية وقد تكون سلبية فإيجابيا قد تدفع عجلة تطور المجتمع على كل الأصعدة الثقافية الاجتماعية، الاقتصادية السياسية.

أما سلبية فقد تكون لها انعكاسات خطيرة على المجتمع فاعتمدها ابن كثير وإن كنا نظن به خيرا لأنه اعتمدها للتحذير من مغبة تعاطيها بطريق أو بآخر.

1.2- السحر:

لم يتبن ابن كثير معتقد السحر وإنما أراد من ورائه تعريفنا بالفضاء السائد أنذاك، و لعله في النهاية وبطريق غير مباشر أراد التحذير من خطورته لعصره وسيلة وللأجيال التي ستأتي بعده وقد نهى عنه الكتاب والسنة فالسحر قديم قدم الزمان بنص الآية الكريمة.﴿ وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ كَانُواْ يَعْلَمُونَ [1]﴾.

وقد روى ابن كثير في مؤلفه قصص الأنبياء ما كان من شأن سحرة فرعون الذين جمعهم لمواجهة سحر موسى كما زعم وادعى "يخبر الله تعالى عن فرعون أنه ذهب فجمع من كان ببلاده من السحرة، وكانت بلاد مصر في ذلك الزمان مملوءة سحرة فضلاء في فنهم غاية...فقيل كانوا ثمانين ألف"[2]

وقوله: " وأما السحرة فإنهم رأوا ما هالهم وحيرهم في أمرهم واطلعوا على أمر لم يكن في خلدهم ولا بالهم، ولا بدخل تحت صناعتهم وأشغالهم، فعند ذلك وهناك تحققوا بما عندهم من العلم أن هذا ليس بسحر ولا شعبذة ولا محال ولا خيال ولا زور ولا بهتان ولا ضلال" [3]

لقد عمل فرعون في كل ما وسعه ليعلم الناس السحر على يد كبار السحرة و العرافين من أجل أن يتفوق على موسى وجمع كل من له باع في السحر لمواجهته يقول ابن كثير: "...وأبوا على موسى أن يعطوه شيئا مما طلب، وقالوا له اجمع السحرة فإنهم

---

[1]– من سورة البقرة، الآية 102.

[2]– ابن كثير: قصص الأنبياء ص.212.

[3]– ابن كثير: المصدر نفسه ص.213.

بأرضك كثيرة حتى تغلب بسحرك سحر هما، فأرسل إلى المدائن فحسر له كا ساحر متعالم..." [1].

وإذا رجعنا إلى السنة وجدنا أن الرسول ﷺ قد تعرض للسحر فعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ سحر حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، وأنه قال لهل ذات اليوم: أتاني ملكان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال ما وجع الرجل؟ قال مطبوب[2] قال ومن طبه، قال لبيد بن الأعصم في مشط ومشاطة في حف طلعة ذكر في بئر ذروان[3].

وعن عائشة رضي الله عنها: "أن النبي ﷺ سحر حتى كان يتخيل إليه أنه صنع شيئا ولم يصنعه[4] وقد ورد عدة روايات أن سبب نزول سورتي الفلق و الناس أو ما أطلق عليهما المعوذتين، كان لرقية النبي ﷺ لما وقع عليه السحر، وقيل أنه كلما قرأ آية منهما إلا وانحلت عقد السحر التي وضعت له في بئر ذروان كما جاء في الحديث وقد نهى الرسول ﷺ عن إتيان الكهان والعرافين والسحر كما سبق وأن ذكرناه آنفا.

إن للسحر آثار إيجابية وآثار سلبية، حسب علماء الاجتماع إذ أنهم يقسمون السحر إلى أبيض وآخر أسود.

السحر الأبيض : هو الذي يخدم أهدافا علمية واجتماعية مثل سحر الحب والتداوي والتنبؤ بالمستقبل وغير هذا مما فيه خير للناس.

السحر الأسود : هو الذي يمارس قصد إلحاق الضرر بالآخرين وعن هذا النوع يقول "كريستوفرلي" الذي يدرس السحر الأسود منذ سنوات طويلة ويملك مكتبة كبيرة تحوي كتب السحر الأسود" إن كل مشاكل العالم سببها السحر الأسود وعبادة الشيطان، وإن الحروب التي نشبت في الشرق الأوسط والفساد السياسي والفضائح وأزمة النفط والأزمان الاقتصادية حدثت بسب السحر الأسود. وأنا أشعر أنه من واجبي أن أنصح الناس بالابتعاد عن هذا النوع من السحر [5]

---

[1]– ابن كثير: المصدر نفسه ص.263.

[2]– مطبوب في الحديث بمعنى مسحور، وطبه سحره.

[3]– صحيح البخاري: رقم الحديث –5763–ص– 1455.

[4]– مختصر صحيح البخاري: رقم الحديث– 1344– ص– 301.

[5]– زهير حموي: المرجع السابق–ص– 122.

فالسحر الأبيض حسب العلماء الاجتماع يمكن الاستفادة منه لأنه يعود على الناس بالخير العميم حيث يقرب المحبين وأنه يداوي المرض من علاتهم وفيه ما ينبؤ لخير مستقبل الفرد والجماعة أما الأسود فقد حذروا منه تحذيرا شديدا لأنه يسبب الأذى للغير على كل الأصعدة وأن معظم المشاكل التي تحدث في العالم سببها هذا النوع من السحر.

أ- ضرر السحر على الفرد والمجتمع :

مما لاشك فيه أن الله تعالى حينما حرم السحر حرمه لما فيه من مفاسد دينية ودنيوية، لاتصل إلى حد الفرد وحده إنما تصل هذه المفاسد إلى المجتمعات بأسرها، فلما كان السحر من أكبر الكبائر، ومن أخطر الأمراض التي تصيب الأفراد و المجتمعات.

1. خطر السحر على الفرد:

وأولها مرضه وجعله طريح الفراش، وقد يكون مرضه سببا في قتله أو سببا في جنونه، أو أنه قد يكون سببا في تركه منزله وأسرته وتصبح الأرض فراشه و السماء غطاءه والشوارع مثواه.

وأنه قد يؤدي إلى العداوة الأسرية، مثلا بين الزوج وزوجته وذلك لأتفه الأسباب فقد يصل الأمر إلى الطلاق أو الهجر أو الضرب. وقد يؤدي إلى فشله في الدراسة ويتحول إلى طالب فاشل بعد أن كان نجيبا.

وقد يؤدي بالإنسان إلى الوقوع في المحظورات الشرعية، كالذهاب إلى الكهنة والعرافين للنظر في أمره فيأمره هؤلاء السحرة إما بالشرك بالله كالذبح للجن وإما بفعل المعاصي وقد يجره إلى كثرة الوسواس في حياته فلا يهنأ له بال، فيكون موسوسا في عبادته وفي عاداته، فيلقي الشكوك بين أفراد أسرته.

2. خطر السحر على المجتمع :

إذا ساد المجتمع حالات كثيرة شبيهة بحالة الفرد الذي رأيناه فإن المجتمع ستسوده الفوضى والانحلال والتخلف، قد يورث العداوة بين أفراد المجتمع كالحقد والحسد أنه يزرع الشكوك بين أفراده.

أنه يدعو للانتقام بكل وسيلة متاحة لا سيما إذا عرف المسحور من سحره فيكثر القتل بين أفراد المجتمع أنه ينشر الرذيلة بين أفراده فيحل الخوف وحب الجريمة مكان الأمن والطمأنينة والقيم السامية.

أنه يؤدي إلى ضعف كيان الأمة وبذهابهم إلى الكهنة والعرافين يفقدون توكلهم على ربهم.

أنه عامل عل نشر الموبقات والشرك بالله بعد أن كان مجتمعا مسلما محافظ على دينيه وعرضه.

وبالمناسبة ونحن نتحدث عن معتقد السحر وما يتصل به من شعوذة لابد أن نتوقف عند قسم منه كثيرا ما أفسد العلاقات الاجتماعية في مجتمعنا، إنه سحر تعطيل الزواج[1] وما يسمى بتعبير السواد الأعظم –الربط – الذي يكون من وراء فشل الزواج–ليلة الزفاف– وقد يخص هذا النوع من السحر المرأة أو الرجل على حد سواء وفي الغالب ما يدفع عائلة المتضررين إلى تسديد مبالغ مالية خيالية للسحرة والمشعوذين من أجل فك هذا الربط لأن الأضرار النفسية الناجمة عنه تكون بليغة تجعل العروس أو العريس يعيشان ظروفا حرجة تجلب لهما ولعائلتهما العار حسب بعض العادات أو التقاليد.

ب- السحر الدين و العلم:

تداخل السحر والدين يبدو راسخا في المعتقدات الشعبية، إذ يشكل العالم المحسوس المادي وعالم الكائنات الخفية كالجن، والملائكة في تصور الإنسان البدائي عالما واحدا، لجأ إلى ممارسة عدة طقوس دينية وسحرية لاتقاء شرورها، رسخ هذا الاعتقاد ما جاء من ذكر الجن والملائكة في القرآن الكريم، ووجود السحر والسحرة، الذين

[1]– وحيد عبد السلام بالي: المرجع السابق ص.99.

باستطاعتهم إيذاء البشر، حتى أصبح من الصعب التفريق بين ما هو ديني أو سحري في المعتقد الشعبي.

هذا التداخل، بين السحر والدين، يأتي من خلال أن كلا منهما" يقوم على التفرقة بين عالم محسوس مادي وآخر روحي، أو عالم ما فوق الطبيعة، وكلاهما يفرق بين المادة والروح، ويعترف بوجود ذوات روحية ذات قوى خارقة للعادة، تستطيع أن تنفع أو تضر "[1]

كما أن كل من الدين و السحر يقومان على تأدية طقوس متقاربة من تقديم القربان و الأضحية، والاستعانة بالأدعية والأحاجي.

أما الفروق الموجودة بين الدين والسحر فقد" أشار إليها فرايزر عندما ذهب إلى أن هذه التفرقة تكمن في ذات الإنسان الذي يفرق في داخله نفسه بين العملية الدينية و العملية السحرية"[2]

2.2- العرافة :

إن للعرافة علاقة وطيدة بالكهانة لأنها تعتبر فرع من السحر، وقد عرفها البعض بقولهم:" إنها ادعاء معرفة الغيب وهي فرع من السحر لها علاقة وطيدة بالكهانة، فالكاهن هو من يأخذ الأخبار عن مسترقي السمع من السماء، فيدعي بذلك معرفة الغيب فيكون عرافا"[3]

ومن النصوص التي وظف فيها ابن كثير العرافة"...وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس كانوا سبعين رجلا، وروى عنه أيضا أنهم كانوا أربعين غلاما من بني إسرائيل أمرهم فرعون أن يذهبوا إلى العرفاء فيتعلموا السحر، ولهذا قالوا وما أكرهتنا عليه من السحر "[4]

---

[1]– د. حسن شحاتة سعفان،علم الإنسان– الأنتروبولوجيا– منشورات مكتبة العرفان– بيروت– ص.266.

[2]– د. حسن شحاتة سعفان، المرجع نفسه – ص 288.

[3]– إدوارد وليام: الحياة العربية في العصور الوسطى – ترجمة يحي الحبوري– مجلة المورد– الحياة العربيةفي العصور الوسطى– المجلد 13 –العراق–دار الجاحظ، د.ط.، د.ت، ص. 591.

[4]– ابن كثير: قصص الأنبياء، ص–212.

3.2- الخط بالرمل:

لقد أشرنا سابقا إلى هذه الصناعة التي عرفها ابن خلدون" ومن هؤلاء قوم من العامة استنبطوا لاستخراج الغيب وتعرف الكائنات صناعة سموها خط الرمل نسبة إلى المادة التي يصنعون فيها عملهم"[1].

إن ابن خلدون يبين لنا أن طائفة من الناس لجؤوا إلى هذه الصناعة من أجل التعرف على الغيب وعلى بعض من أسراره وأنهم يرتكزون على الرمل كأساس في صناعتهم وأن النبي إدريس هو أول من اشتغل في هذا العمل وقد أشار ابن كثير في معرض حديثه عن النبي إدريس " وذكر ابن إسحاق أنه أول من خط بالقلم وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمائة سنة وثمانين سنين. وقد قال طائفة من الناس إنه المشار إليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي لما سأل رسول الله ﷺ عن الخط بالرمل، فقال: "إنه كان نبي يخط به فمن وافق خطه فذاك "[2]

إن ما قلناه عن السحر سابقا يمكن أن نسقطه عن العرافة وعن الخط بالرمل.

4.2- الاعتقاد بوجود العين:

لقد ورد في أكثر من حديث شريف صحيح، وصحته وجود العين، ولعل هذا التوكيد الروحي والديني القائم على أساس صحيح، بخصوص موضوع العين، يعطي لهذا المعتقد الشعبي رواحا وورودا ووجدوا وحضورا قويا، أكثر من غيره، فلقد روى مسلم في صحيحة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: " العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين[3]

و الاعتقاد بأثر العين موجود عند العرب منذ الجاهلية وقد عبروا عنها بلفظة "نفس مثلما ورد عن ابن عباس في قوله" الكلاب من الجن، فإن غشيتكم عند طعامكم فألقوا لهن، فإن لهن أنفسا، أي أعينا[4] وفي الحديث: إنه نهى عن الرقية إلا في النملة والحمة والنفس، أي العين[5].

---

[1]– ابن خلدون: لمصدر السابق – ص، 195.

[2]– ابن كثير: المصدر نفسه – ص– 42.

[3]– مصطفى محمد عمارة، جواهر البخاري – بيروت– دار الفكر، د.ط، د.ت، ص، 468.

[4]– ابن منظور: المصدر السابق (6 / 236).

[5]– محمد مرتضى الزبيدي– المرجع السابق– ج4– ص259 نفس.

إذن أمر العين، من جهة دينية عقائدية صحيحة مقضي فيه، وهو حقيقة أبعد من الوهم والخيال، مما يشجع الطوائف الشعبية إلى الاعتقاد بوجودها، والاحتياط لها، والحرص منها، فإن حل أي مصاب- وإن كانت له مبرراته المادية والمعنوية- فلا يتغافل أصحابه في إرجاعه إلى عين فلان جار أو قريب أو بعيد أو صديق أو ما إلى ذلك وقد أورد ابن كثير العين حينما أمرنا سيدنا يعقوب أبناءه الدخول من أبواب متفرقة: "... ثم أمرهم أن لا يدخلوا المدينة من باب واحد ولكن ليدخلوا من أبواب متفرقة، قيل أراد أن لا يصيبهم أحد بالعين"[1].

أجمع المفسرون على أن أمر يعقوب لأبنائه الدخول من أبواب متفرقة لخوفه عليهم من العين و الحسد، لأنهم كانوا أعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة و كانوا أولاد رجل واحد، فأمرهم أن يتفرقوا في دخولهم لئلا يصابوا بالعين[2].

وجاء في تفسير ابن كثير، إنه خشي عليهم العين وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة ومنظر فخاف عليهم إن يصيبهم الناس بعيونهم فإن العين حق تستنزل الفارس عن فرسه[3].

إن أعضاء المجتمع يؤمنون بالتأثير القوي للعين من منطلقات دينية فقد ورد أيضا ذكر العين في عدة أحاديث نبوية في صحيح مسلم أيضا عن أنس: أن النبي ﷺ رخص في الرقية من الحمة و العين و النملة"[4].

والعين عينان: عين إنسية وعين جنية وقد صح عن أم سلمة" أن النبي ﷺ، لرأى في بيتها جارية في وجهها سفعة، فقال استرقوا لها فإن بها النظرة"[5].

وعن جابر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ" أكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله وقدره بالأنفس يعني العين"[6].

---

[1]- ابن كثير: قصص الأنبياء، ص 166.

[2]- انظر التفاسير التالية: التفسير المأثور عن عمر بن الخطاب- الدار العربية للكتاب ب 1985-ص- 355 ؛ التفسير والمفسرون للذهبي - مطبعة القاهرة - 1961-ج1- ص-247 ؛ مختصر تفسير-الطبري- مطابع- الشروق- 1982-ص-268/269.

[3]- ابن كثير- المصدر السابق، ص- 38.

[4]- أخرجه مسلم- في كتابه السلام-16- باب الطب و المرضى والرقي.

[5]- أخرجه البخاري- في كتاب الطب- 35- باب رقية العين-ومسلم في كتاب، باب استجاب الرقية-1725.

[6]- أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم- الجامع الصحيح المسمى بصحيح مسلم- دار المعرفة-بيروت، د.ط، د.ت، ص- 4021.

وفي جملة الأحاديث التي مرت معنا يتضح أن العين حق والإصابة بها ثابتة وموجودة، مهما كان الاختلاف في صيغتها، فإنها جميعا حملت معنى دلاليا واحدا للعين، وأوحت بانعكاساتها وما ينجر عنها من عواقب وخيمة تعود بالضرر على الإنسان في المقام الأول، وكل ما ينعم به من أشياء وممتلكات.

فالعين تعلق بالرجل حتى تسقطه من أعلى مكان أو جبل فيخر ميتا أو متوجعا[1].

وإذا تمكنت من الرجل الصحيح المعافى تجعله طريح الفراش وقد تقتله فيبيت في قبره، وكما تصيب الرجل تصيب المرأة والمولود ذكرا كان أو أنثى وتتعداه إلى الحيوان إذ تصيب الجمل[2] باعتباره من الحيوانات الأكثر استعمالا في الحياة اليومية للعربي،فيقع ويذبحه صاحبه، ويطبخه في القدرة، فتأثر العين حق، وهي قادرة على القتل وإصابة المكان أو الشيء لذي استحسنه العائن من المعيون.

وللعين ارتباط وثيق بالحسد" إن الاعتقاد بالحسد والعين الشريرة يمكن اعتباره واحد من أوسع الخرافات انتشارا في البنية الاجتماعية بمختلف شرائحها عمقا وعرضا،...والاعتقاد بالحسد قديم وواسع الانتشار بين الشعوب المختلفة، وتستخدم لإزالة مفعول ورد" العين الحاسدة وسائل مختلفة وأحيانا معقدة، لضمان النتيجة و البعد السيكولوجي للحسد فهو، كما نتوقعه إلى الغيرة من عدم الامتلاك أو عدم الوصول إلى غاية التي امتلكتها أو التي وصل إليها الآخرون"[3].

وقد أشار ابن كثير في مواقف كثيرة إلى الحسد فإبليس رفض السجود لآدم حسدا له"... وتقدم أنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم امتثلوا كلهم الأمر إلا هي وامتنع إبليس من السجود حسدا و عداوة له فطرده الله وأبعده[4].

كما حسد قابيل هابيل حين تقبل الله قربان أخيه ولم يتقبل قربانه فكان أن قتله حسدا " وقد ذكر مجاهد أن قابيل عوجل بالعقوبة يوم قتل أخيه فعلقت ساقه إلى فخذه

---

[1]– أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم– المرجع نفسه –ص– 288.

[2]– أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم– المرجع نفسه– ص– 293.

[3]– د. إبراهيم بدران– د. سلوى الخماش– دراسات في العقلية العربية– 1–الخرافة– ط2– دار الحقيقة– بيروت– 1979– ص– 249.

[4]– ابن كثير، قصص الأنبياء، ص31.

وجعل وجهه إلى الشمس كيفما دارت تنكيلا به وتعجيلا لذنبه وبغيه وحسده لأخيه لأبويه[1].

ويتجلى حسد إخوة يوسف بوضوح فقد كان سيدنا يعقوب يحبه حبا جما هو وأخوه بنيامين"... ينبه الله تعالى على ما في هذه القصة من الآيات والحكم والدلالات والمواعظ والبينات. ثم ذكر حسد إخوة يوسف له على محبة أبيه له ولأخيه يعنون شقيقه لأمه بنيامين أكثر منهم وهم عصبة أي جماعة... [2].

وقد سبق لسيدنا يوسف أن رأى في صغره رؤيا لما حكاها لأبيه أمره أن يكتمها عن إخوته كي لا يكيدوا له" فأمره بكتمانها وأن لا يقصها على إخوته كيلا يحسدوه ويبغوا له الغوائل..." [3]

لقد علم الإخوة بأمره ودبروا له مكيدة قتله ثم أعرضوا عن ذلك وباعوه بثمن بخس حسدا وبغضا لكن الله عز وجل رفع وأعز عبده فرقاه إلى أرفع الدرجات وأصبح عزيز مصر الآمر الناهي فيها.

ولقد أمر الله سبحانه رسوله أن يستعيذ به من شر الحاسد، وتأثير الحاسد في أذى المحسود أمر لا ينكره أحد عاقل، فهو أصل الإصابة بالعين، فإن النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية جد سلبية، وتقابل المحسود فتؤثر فيه بتلك الخاصية. وتأثير النفس الخبيثة لا يتوقف على الاتصالات الجسمية، كما يظن البعض، بل يكون تارة بالاتصال، وتارة بالمقابل، وتارة بالرؤية وتارة بالأدعية والرقي والتعويذات[4].

ويمكن أن يكون العائن أعمى، فيوصف له الشيء، فتؤثر نفسه فيه وإن لم يره، ولقد قال تعالى لنبيه: ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ [5] ﴾.

---

[1]– ابن كثير – المصدر نفسه – ص – 36.

[2]– ابن كثير – المصدر نفسه – ص – 154.

[3]– ابن كثير – المصدر السابق– ص –153.

[4]– الإمام شمس الدين عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي–ابن القيم الجوزي– الطب النبوي– تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي– دار الوكي– حلب– ط15– 1990– ص– 290.

[5]– من سورة القلم، الآية 51.

5.2- ضرر الحسد بالحاسد:

الحسد يضر بالحاسد من وجوه كثيرة:

– ذلك أنه يدخل الهم والحزن إلى قلب الحاسد، ولذلك قيل في الحسد إنه مذموم وصاحبه مغموم، وغمه لا مصيبة حلت في نفسه أوفي ماله أو في أهل بيته وإنما لنعمة أوتيها غيره فهو لا يشفي من غمه وحزنه إلا بزوال نعمة المحسود.

– أن الحسد يجر إلى معصية الله بمخالفة أمره أو بفعل ما نهى عنه وكان هو أول ذنب عصي الله به في السماء، وأول ذنب عصي به في الأرض: حسد إبليس آدم – عليه السلام– فلم ينفذ أمر الله له بالسجود لآدم حسدا منه له، وحسد قابيل أخاه هابيل على تقبل الله قربانه فقتله.

– أن الحاسد في حسده كأنه يتسخط على قضاء الله ويتعرض على ربه أن أعطى المحسود هذه النعمة التي لا يرضاها الحاسد، وهذا أمر كبير جدا قد يجر الحاسد إلى الردة عن الإسلام.

– أن الحسد يسود قلب الحاسد ويشغله عن ذكر الله[1]

كما يرى ابن خلدون أن الإصابة بالعين إنما هو من جنس التأثيرات النفسية إذ يقول: " ومن قبل هذه التأثيرات النفسية الإصابة بالعين وهو تأثير من نفس المعيان،عندما يستحسن بعينه مدركا من الدّوات أو الأحوال ويفرط في استحسانه، وينشأ عن ذلك الشيء عمن اتصف به فيؤثر فساده[2].

إلا أن ابن خلدون يرى أن التأثير بالعين فطري جبلي ليس لصاحبه الاختيار فيه أو اكتسابه، كما يفرق بينها وبين التأثيرات الأخرى بقوله أن هذه التأثيرات صدورها راجع إلى اختيار فاعلها، في حين أن العين تكمن في قوة صدورها لا في نفس صدورها لأن الإنسان قد يصدر منه ما لا يريده ويقصده[3].

إذا دققنا النظر في المجتمع سنرى هناك فئات متباينة فيه، فهناك من يؤمن بظاهرة العين إيمانا مطلقا وهناك من لا يعيرها اهتماما بل تجده يتهكم من المعتقدين فيها

---

[1]– عبد الكريم زيدان، المستفاد من قصص القرآن– ج1– ط1– 2002– مؤسسة الرسالة– بيروت– لبنان– ص– 113/112.

[2]– ابن خلدون، المصدر السابق– ص– 935.

[3]– ابن خلدون، المصدر نفسه – ص– 935.

و الصف الثالث يظهر أنه لا يؤمن بها ولكنه يمارس طقوسات تشير إلى أنه يخاف العين. فالصنف الأول يمثله شريحة كبيرة من المجتمع إذ أن أي تعثر في الحياة أو فشل أو مرض أو حادث يرجعونه إلى العين فيعلمون جاهدين على وقاية أنفسهم وممتلكاتهم وثرواتهم عن طريق إخفاء ما سيقومون به فأكسبهم ذلك عقدا نفسية، لقد خلقت هذه الفئة من الناس لنفسها محيطا خاصا ولغة خاصة عن الإحساس بأخطار العين، أما الصنف الثاني فهو على النقيض من الأول لا يعتقدون مطلقا في إصابة العين، ويرون بأن ذلك ترجمة لتخلف فكري وعقلي وجهل بالنظريات العلمية فالحسد عند هذه الفئة تفسير لظاهرة الغيرة من عدم امتلاك الشيء أو تحقيقه، ومن هنا يصبح حالة من الشعور بالنقص المادي والمعنوي ممزوجة بوضعية من العجز في نفسية الحاسد، لتتولد عنها عقدة لا يتم لتعويض عن النقص فيها إلا بتحقيق التساوي مع الآخرين أو التفوق عليهم فيلجأ إلى الشعور وإلى التمني لهم الشر وبذلك يحسدهم.

أما الصنف الثالث فهم في الأعماق يؤمنون بالعين وفي الظاهر على العكس من ذلك وهم يتخوفون من البوح باعتقادهم في العين خوفا من المساس بشخصيتهم خاصة إذا كانوا ذوي مراكز مرموقة ، فيلجئون إلى وسائل عديدة لرد العين كتعليقهم حدوة الحصان في سياراتهم بشكل غير ملفت وكأنها للزينة أو تعليق كف مكتوب فيها آية الكرسي في المحلات التجارية أو في السيارات وما إلى ذلك، وقد يلجأون إلى السحرة و العرافين بعد أن يغيروا هوياتهم.

6.2- الرؤيا:

قال بعضهم الرؤيا ثلاثة رؤيا بشرى من الله تعالى ورؤيا تحذير من الشيطان ورؤيا مما يحدث به المرء نفسه وأن الرائي لا ينبغي له أن يقص رؤياه إلا على عالم أو ناصح أو ذي رأي من أهله[1] تجنبا من الخوف في إصابته، فأصبح في الغالب ما يسيطر على الإنسان في اعتقاده الشعبي تردد وهو يرى رؤيا أو حلما فيتحفظ أو يتردد في قصها، وقد يذهب به الأمر– ومن باب التشاؤم– أن يقلب صورة ما يراه أثناء الحكاية واستنادا لما أوصى به الرسول ﷺ فالإنسان الحالم إذا ما رأى شيئا مفزعا في منامه أن يكتمه ويتفل عن يساره فإنها لا تضره والرؤيا الصالحة جزاء من أجزاء النبوة وأول ما بدأ به النبي ﷺ من الوحي الرؤيا، فكان لا يرى إلا جاءت مثل فلق الصبح.

وقد أشار صاحب قصص الأنبياء في حديثه عن رؤيا يوسف في صغره: "قال المفسرون وغيرهم: رأى يوسف عليه السلامة وهو صغير قبل أن يحتلم كأن "أحد عشر كوكبا" وهم إشارة إلى بقية إخوته"والشمس والقمر" وهما عبارة عن أبويه قد سجدوا له فهاله ذلك، فلما استيقظ قصها على أبيه"[2] لقد كانت لهذه الرؤيا الأثر البالغ في تغيير مسار حياة يوسف فما إن سمع بها إخوته حتى كادوا له وأرادوا قتله ثم ألقوه في الجب، لكن الله حفظه ورفعه مكانا عليا.

وفي حديثه عن رؤيا السجينين الذين كان مع سيدنا يوسف"...فرأى كل واحد منهما رؤيا تناسبه..." [3] وكان أن فسر لكل رؤياه بأن أحدهما سيقتل والآخر سينجو.

وفي معرض حديثه عن رؤيا إبراهيم "...فلما كانت هذه رؤيا إبراهيم– عليه السلام– في المنام أنه يأمر بذبح ولده، هذا وفي الحديث عن ابن عباس مرفوعا"رؤيا الأنبياء وحي" قاله عبيد بن عمير أيضا وهذا اختبار من الله عز وجل لخليله في أن يذبح هذا الولد[4].

لقد أعلم إبراهيم ابنه إسماعيل بذلك ليكون أهون عليه وليختبر صبره وجلده وعزمه على طاعة الله وطاعة أبيه ولما استسلما لأمر الله وهم بذبح ابنه فداه الله بكبش عظيم.

---

[1]– عبد الغني النابلسي– تعظيم الأنام في تفسير الأحلام– القاهرة–دار إحياء الكتب العربية، د.ط، 1974– ص–3.

[2]– ابن كثير: المصدر السابق– ص – 153.

[3]– ابن كثير: المصدر نفسه – ص – 160.

[4]– ابن كثير: المرجع نفسه – ص – 108.

7.2- الجن و الكهانة والسحر:

تعتبر الكهانة من الأمور التي ارتبطت بالجن، وهيمنت على عقلية الجاهليين، واتصلت بمجرى حياتهم، وتعني استخدام الجن في معرفة الأمور الغيبية، والتنبؤ واستطلاع الغيب بوساطتهم[1]، فكان الجاهليون إذا ناب أحدهم أمر يريد معرفة داخلية أو مستقلة، ذهب إلى الكاهن، فأخبره بما يهمه، وكانوا يعتقدون أن كل كاهن صاحبا من الجن، يحضر إليه، فيخبره بما يريد أو شيطانا يخبره به[2] " وأن الشياطين تسترق السمع، وتلقيه على ألسنة الكهان، فيؤدون إلى الناس الأخبار، بحسب ما ترد إليه[3].

فالكهنة" قوم لهم أذهان حادة، ونفوس شريرة، وطباع نارية، فألفتهم الشياطين، لما بينهم من التناسب في هذه الأمور، وساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه[4].

فكأن خضوع الناس للكهنة، بدافع تحقيق منفعة لهم، قد لا يخرج عن هدف جوهري، وهو دفع غوائل الدهر عنهم، والتي لا يقدر عليها بحسب زعمهم إلا الكهنة، وما يتفرع عنهم من أمور جانبية أخرى، تصب في محور محافظة الإنسان على حياته، والتمتع بالاستقرار والهناء، ورد الشر أيا كان مصدره[5].

وقد ألبس أمر الرسول عليه السلام على المشركين، فنعتوه بالسحر، ورموه بالجنون، وقالوا إن له رئيا أو تابعا من الجن، فخلطوا بين الملك والرئي، وهذا ما ذهبت إليه الخرافات العربية، من أن الكاهن هو الصورة المشوهة للنبي في التراث اليهودي، فهو يعرف حكم الغيب، ويتنبأ بما سيحدث مستقبلا، والفرق بينهما أن النبي يستلهم الملائكة، والكاهن يستلهم الشياطين[6]، فالشياطين هم أصحاب الكهنة ورعاتهم يتكلمون بألسنتهم، والقرآن الكريم خير مصدر، أشار إلى حقيقة وجود الكهان، في المجتمع الجاهلي، ورد على مزاعم المشركين بقوله ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ"[7]﴾ وقوله

---

[1]– محمد سليم الحوت، المرجع السابق، ص231.

[2]– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ– البيان والتبيين–289/1–شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري– نهاية الأرب في فنون الأدب– طبعة مصورة بالأفنست–عن دار الكتب المصرية،القاهرة، د.ط، 1983–128/3.

[3]– المسعودي– مروج الذهب–دار الكتب العلمية 186/2، د.ط، د.ت.

[4]– الشهرستاني، المصدر السابق، 674/1.

[5]– أحمد إسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام. ط.1 سينا للنشر، القاهرة 1995 ص.98

[6]– جواد علي، المرجع السابق 762/6

[7]– من سورة الطور، الآية 29

تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ۞ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ [1]﴾.

وهكذا قرن القرآن الكريم الكهانة بالجنون، وذلك لما لكل منهما من علاقة بالجن، ونفى عن رسول الله تهمة الكهانة. والكهنة أنواع تدور حول الجن وتتعلق بها، فمنها ما يتلقونه من الجن مباشرة، إذ تصعد الجن إلى جهة السماء، فيركب بعضها فوق بعض إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذي يليه، إلى أن يتلقاه من يليه، ويلقيه في أذن الكاهن، فيزيد فيه، فهي إذن قائمة على استراق الجني السمع، وإلقائه في أذن الكاهن، ثم ما لبثت السماء أن حرست من الشياطين، وأرسلت عليهم الشهب، وذلك بعد بعثة النبي "عليه السلام" فلم يبق من استراقهم إلا ما يتخطفه الأعلى، فيلقيه إلى الأسفل، قبل أن يصيبه الشهب[2] ويؤكد القرآن الكريم تلك الحقيقة بقوله﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا"[3] "وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ۞ إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ [4]﴾. وقد ذكر ابن كثير "الكهانة" عندما تحدث عن مولد سيدنا إبراهيم" وذكروا أنه طلع نجم أخفى ضوء الشمس القمر فهال ذلك أهل ذلك الزمان وفزع النمرود، فجمع الكهنة والمنجمين وسألهم عن ذلك[5]. وفي حديثه عن المنام الذي رآه فرعون زمن ولادة موسى "...أن فرعون رأى في منامه كأن نارا قد أقبلت من نحو بيت المقدس فأحرقت دور مصر وجميع القبط، ولم تضر بني إسرائيل، فلما استيقظ هاله ذلك فجمع الكهنة والحزأة والسحرة وسألهم عن ذلك"[6]

---

[1]– من سورة الحاقة، الآيتان 40–42.

[2]– الشهرستاني، المصدر السابق، ص674.

[3]– من سورة الجن، الآية 9.

[4]– من سورة الحجر، الآيتان 17–18.

[5]– ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 124

[6]– ابن كثير، المصدر نفسه، ص 195

الجن:

لقد سبق وأن عرفنا سابقا الجن، ونضيف فنقول بأن الجن أصناف كما أشير إليه في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا"[1] ... وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا [2]﴾. وقد بعث المولى عز زجل في الجن رسلا، مصداقا لقوله تعالى ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ [3]﴾. أما طعامهم فمن العظم والروث كما وضحه الرسول ﷺ قائلا:"لا تستنجوا بالروث ولا بالعظام فإنه زاد إخوانكم من الجن"[4].

يعيش الجن في أرضنا ويكثر تواجده في الخراب والفلوات ومواضع النجاسات، كالحمامات والمزابل والمقابر، وقد سبق وأن قلنا أن الجن إنما سمي جنا للاستتاره عن الأنظار فهو لا يرى، علما أن العلم الحديث يؤكد بأن مقدرة بعض الأحياء رؤية ما لا نراه، لذا من الواجب الوقوف عند حديث الرسول ﷺ الذي يؤكد صحة الفكرة الشعبية السائدة على رؤية الحمار والكلب للجن، حيث يقول الرسول ﷺ "إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعوذوا بالله من الشيطان فإنهن يرون ما لا ترون"[5].

والذي يؤكد ما ورد في الحديث النبوي الشريف حول الجن وعلاقته بالسحر، الفكرة المشهورة القائلة بأن الجن تتغذى على البخور الذي يطلق تقربا لها ومع إطلاقها يردّد عزيمته الكفرية الشركية، وفيها من التعظيم والتبجيل لكبار الجن الشيء الكثير[6] فلا يمكن بهذا استغناء أية ممارسة سحرية عن الجن.

لقد اعتقد العرب – في الجاهلية– أن الجن قد ينفعون وقد يضرون، ولهم سادة وعظماء، يرتقون في أذهان العرب إلى مكانة تقترب من مكانة الآلهة، بما يملكونه من

---

[1]– من سورة الجن، الآية 11.

[2]– من سورة الجن، الآية 14.

[3]– من سورة الأنعام، الآية 130.

[4]– أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم، المرجع السابق، ص 154.

[5]– أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم، المرجع نفسه، ص 156.

[6]– وحيد عبد السلام بالي، المرجع السابق، ص 148.

قدرات فائقة، الأمر الذي قاد بين بعض الجاهليين إلى عبادتها، وربطها بعبادة الأوثان، وذلك لأنهم كانوا يعتقدون، أن كل ما يحل في الأوثان مرتبط بالجن،فكما جاء في إحدى الروايات، أنه كان في كل من " اللات والعزى ومناة الشيطانة، تكلم العرب الجاهليين، وتتراءى للسدنة، وما الشيطانة إلا جنية[1]، وإن كان بعض منهم، قد رفض عبادة الجن، كما رفض عبادة الأوثان، وهذا ما فعله زيد بن عمرو بن نفيل، وعبر عنه في شعر ينسب إليه في رواية مرفوعة إلى أسماء بنت أبي بكر، وكان قد سعى في تحطيم هذه العبادة، وإسقاط هذا الصنف الروحي من الآلهة فيقول في ذلك[2]

عزلت الجن والجنان عني ۞ كذلك يفعل الجلد الصبور

فلا العز أدين ولا ائتينها ۞ ولا أطمي بني طسم أدير[3]

وهكذا فقد آمن بعض الجاهليين، أن تلك الكائنات، هي القوى العظمى التي بيدها النفع و الضر، فلجأوا إليها في الملمات، وإن رفض بعضهم ذلك الاعتقاد.

ويبدو التفاوت في إيمانهم بقدرتها على حمايتهم، وخوفهم منها، أنهم كانوا إذا دخل أحدهم قرية، خاف من جن أهلها، ومن وباء الحاضرة أشد الخوف إلا أن يقف على باب القرية، فيعشر كما يعشر الحمار في نهيقه، ويعلق عليه كعب أرنب، وقاية من العين والسحر[4].

لقد نظر الجاهليون إلى هذه الكائنات على أنها ذات قدرات خارقة، وكثيرا ما تستخدمها لإلحاق الأذى ببني البشر، فقد تفتك بالإنسان وتختطفه، ناهيك عما تلحق به من الأمراض.

وهكذا وقر في أذهان الجاهليين، أن الجن قادرة على حماية الإنسان من الموت، وأن با مكان الإنسان تسخيره لمصالحه، وقد كثر الحديث عن ذالك في مجالات عدة

---

[1]– أبو الوليد، محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي– أخبار مكة – تحقيق رشدي صالح ملحس –ط3–دار الأندلس– بيروت– 1983– ص

[2]– عبد الغني زيتوني– الوثنية في الأدب الجاهلي– وزارة الثقافة والإرشاد القومي– دمشق، د.ط، 1987– ص – 172.

[3]– الأطم: كل بيت مربع مسطح كأنه الوثن– أدير :أطوف

[4]– شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: المصدر السابق–125/3.

كالسحر، ومعالجة المرضى، وصناعة السيوف والأسلحة، وقد نسبوا إليها صناعة السيوف المأثورة، والقوارير والحمامات لسليمان مما يؤكد تلك العلاقة[1].

ويؤكد علاقة تلك القوى بالجن، ما كان يمارسه الساحر من طقوس "إذ كان يلبس المسوح، ويتوضأ باللبان، ويظهر قبيل ممارسة عمله بمظهر خاص، على أساس أنها ضرب من السحر التشاكلي[2].

فهو يظهر بصورة نتنة، كي تتقبل الجن هستيره، في تلك الفيافي المقفرة، فلا يتعرض للأذى، وهو بذلك يحمي نفسه ومن معه، كل ذلك كي يقترب من صورة الشيطان الذي يحلو له أن يكون قبيح المنظر، بشع الصورة،قذرا، إذ كان الساحر في العصور التاريخية القديمة، ينفر من النظافة، ولا يقدم على الاغتسال لأن بينه وبين الشيطان عهدا على ذلك[3].

وذكرت المصادر العربية أسماء بعض القبائل التي عبدت الجن، "وأشهرها قبيلة طلحة الطلحات، وهو طلحة بن خويلد الأسدي، وكان خطيبا شاعرا وكاهنا وناسبا"[4] وقد تسمى بعض الأشخاص بأسمائها، مثل عمر بن عبد الجن بن عائد، وعمرو بن عبد الجن التنوخي، وبنو مليح من خزاعة[5].

وقد عبدها العرب لتكون واسطة بينهم وبين الله، ومن أجل الشفاعة، بدليل قوله تعالى على لسانهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى [6]﴾.

---

[1]– (الجاحظ) أحمد أبو عثمان بن بحر الجاحظ، الحيوان ص.187

[2]– جواد علي، المرجع السابق، ص.85، 86

[3]– عمرو يوسف، حقائق مثيرة عن السحر، المركز العربي للنشر والتوزيع،مصر ص.29–30

[4]– الجاحظ، البيان والتبيين 359/1، الكلبي، الأصنام ط5 –2003 مطبعة دار الكتب والوثائق القومية،القاهرة ص.34

[5]– محمد عجينة، المرجع السابق 12/2 الكلبي – المصدر نفسه ص. 34

[6]– من سورة الزمر، الآية 3.

8.2- الأصنام:

أما الأصنام فتماثيل مصورة مصنوعة من الحجر أو من الخشب، أشهرها الصنم "ودّ" الذي كانت تعبده قبيلة عذرة اليمنية وهو في هيئة رجل متقلد سيفا منكب قوسا وبين يديه حربة، ولعله كان يرمز إلى الحرب، والصنم "سُواع" لبني هذيل و"يغوث" لبني مذحج، و"يعوق" لقبيلة همدان، و"نسر" لبني حمير.

وأما الأوثان فغير مصورة منها "مناة" الدالة على القضاء والمنية و"العزى" وهي شجرة بوادي نخلة و"اللات" صخرة في الطائف مربعة و"ذو الحضلة" وهو صخرة بيضاء كانوا يسمونها الكعبة اليمانية.

وكانت الكعبة مقدسة عند الوثنيين، فيها أصنامهم، يحجون إليه في مواسم معينة، ومن أبرزها "هبل" المصنوع من العقيق على سورة إنسان.

إن أصل عبادة الأصنام يرجع إلى قوم نوح حيث أن ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر هم في الأصل رجال صالحين من قوم نوح، ولما ماتوا رأى الشيطان تعلق الناس بهم وذكرهم الكثير لهم فأوحى لهم بأن يصورها لهم ثم زين لهم عبادتها، ويورد ذلك ابن كثير "...ثم بعد تلك القرون الصالحة، حدثت أمور اقتضت أن آل الحال بأهل ذلك الزمان إلى عبادة الأصنام، كان سبب ذلك ما رواه البخاري من حديث ابن جريح عن عطاء الله بن عباس عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا [1]﴾. قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون إليها أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وانتسخ العلم عبدت، قال ابن عباس:

وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، وهكذا قال عكرمة والضحاك وقتادة ومحمد ابن إسحاق[2]. وقد كان قوم عاد من عبدة الأصنام حيث عبدوا:

---

[1]– من سورة نوح، الآية 23.

[2]– ابن كثير– قصص الأنبياء – ص– 49.

صدا وصمودا، هرا "... والمقصود أن عادا وهو عاد الأولى كانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان وكان أصنامهم ثلاثة: صدا، وصمودا، هرا"[1]. أما عبدة الكواكب والنجوم فهم قلة كانوا يعيشون في حرّان من بلاد الشام "... وهكذا كان أهل حرّان يعبدون الكواكب والأصنام"[2].

ونتبين من شعائرهم وطقوسهم أن عبادتهم للأصنام والظواهر الكونية ومظاهر الطبيعة، لم تكن لذاتها، وإنما لأنهم يظنون أن أرواحا تحل فيها، ومما عبده العرب الإله "قزح" وكان يسمى بـ"قزاح" إله الرعد والخصب والمطر والبرق، كان موقعه قرب مكة وقالوا أن قزح اسم ملك موكل بالسحاب[3]، ويذكر الحموي "أنه اسم الشيطان، وهو الموضع الذي كانت توقد فيه نيران الاستمطار في الجاهلية[4].

وعبد العرب اللات والعزى ومناة، وكانوا يظنون أن في كل واحدة منهم شيطانة تكلمهم وتتراءى للسدنة، والدليل على ذالك أن الرسول "عليه السلام" عندما بُعث بَعث خالد بن الوليد ليهدم العزى، وكانت شيطانة تأتي ثلاثة شجرات ببطن نخلة، فوجد تحت أصلها امرأة سوداء ناثرة شعرها قائمة كأنها تنوح عليهن، ويؤكد ذالك ما جرى بين خالد والسادن من حوار وخطاب[5].

ومما يرجح العلاقة بين الجن و الأوثان، ما ورد من أن الرسول "عليه السلام" حينما كان بمكة يدعو القبائل العربية إلى الإسلام في أثناء الحج، كان يتبعه عمه أبو لهب، ويحذر العرب منه ومن دعوته قائلا: إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى

---

[1]– ابن كثير– قصص الأنبياء – ص– 68.

[2]– ابن كثير– المصدر نفسه– ص– 90–91.

[3]– حسن نعمة، موسوعة الأديان السماوية والوضعية، ط1، دار الفكر اللبناني، 1994، ص 266 .

[4]– شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي الحموي، معجم البلدان دار صادر للطباعة والنشر دار بيروت للطباعة، د.ط، 1376ه، 1957، 341/4.

[5]– أبو الوليد الأزرقي– محمد بن عبد الله بن أحمد– المرجع السابق–1/ 126وما بعدها، الكلبي –المصدر السابق– ص25.

ومناة من أعناقكم، وحلفائكم من الجن، من بني أقيس إلى ما جاء به من البدعة و الضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه[1].

وما الشيطانة إلا جنية من الملائكة التي تزعم قريش وبعض القبائل الأخرى "إنها بنات الله تحلّ في تلك الأصنام"[2] ويشير القرآن إلى هذه المعتقدات بقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ۞ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى [3]﴾. وزعموا أن الشياطين تدخل في بعض الكواكب فعبدوها، وأقاموا لها أصناما، وأخذوا يخاطبون من داخلها، ويستطلعون على ما سوف تنكشف عنهم الأيام من خلالها[4].

وتوهموا أن الأصنام تتكلم من خلال ما فيها من شياطين، والدليل قولهم" إنهم كانوا يسمعون من أجواف الأصنام همهمة [5].

وعرف عن العرب معرفتهم بالنجوم ومطالعها وأنواعها واعتقادهم أنها شياطين وأشباح، وقد وصفت العرب النجوم بعدة أوصاف تؤكد علاقتها بالشياطين،فمنها نجوم الأنواء، ونجوم الاهتداء والسعود والنحوس...وسخرت"لمعرفة الأمور الخافية عليهم من حاضر ومستقبل"[6] فكان الكهان يتنبئون بما سيقع من أمور وأحداث، بالاستدلال بحركات تلك الأجرام[7] واعتقدوا بقدرة الكاهن على معالجة المرضى عن طريق "طرد الشياطين من جسم المريض بالتعاويذ والتراتيل والأناشيد المقدسة[8]، فكان عملهم هذا بمنزلة أهل العلم والفلسفة والطب والقضاء واليقين.

---

[1]– أبو محمد عبد الملك ابن هشام– السيرة النبوية المعروفة بسيرة ابن هشام– ط2– المكتبة العصرية– صيدا– بيروت– 1419هـ– 1999م– 62/2.

[2]– عبد الغاني زيتوني– المرجع السابق–ص– 173.

[3]– من سورة النجم، الآيتان 19–20.

[4]– حسن مجيب المصري– الأسطورة بين العرب والفرس والترك– ط1– دار الثقافة للنشر– 1421هـ–2000م–ص– 35.

[5]– الجاحظ أبو عثمان –عمرو بن بحر– الحيوان–6/ 201– والكلبي –المصدر السابق– ص–12.

[6]– حسن مجيب المصري– المرجع السابق–ص–35.

[7]– الجاحظ–الحيوان–30/6.

[8]– جواد علي– المرجع السابق– 434/8.

9.2- دعوة نوح على سام أن يجيء أولاده سود:

من الخوارق الأخرى نجد دعوة سيدنا نوح أن يجيء أولاد سام سودا "...وقد ذكر أن "حاما"واقع امرأته في السفينة فدعا عليه نوح أن تشوه خلقة نطفته فولد له ولد أسود وهو كنعان بن حام جد السودان، وقيل بل رأى أباه نائما وقد بدت عورته فلم يسترها وسترها أخواه فلهذا دعا عليه ن تغير نطفته وأن يكون أولاده عبيدا لإخوته"[1].

إن هذا الأمر يعتبر في نظرنا من بين الإسرائيليات التي بثت هنا وهناك إذ كيف يعقل لنبي كريم أن يدعو على ابنه بهذه الدعوة الغريبة من أجل أمر كهذا.

وقد استغرب ابن خلدون هذا الأمر فقال "وقد توهم بعض النسابين ممن لا علم لديه بطبائع الكائنات، أن السودان هم ولد حام بن نوح اختصوا بلون السواد لدعوة كانت عليه من أبيه ظهر أثرها في لونه وفيما جعل الله من الرق في عقبه،وينقلون في ذلك حكاية من خرافات القصاص، ودعاء نوح على ابنه حام وقد وقع في التوراة وليس فيه ذكر السواد وإنما دعا عليه بأن يكون ولده عبيدا لولد إخوته لا غير، وفي القول بنسبة السواد إلى حام غفلة من طبيعة الحر والبرد وأثرهما في الهواء وفيما يتكون فيه من الحيوانات. وذلك أن هذا اللون شمل أهل الإقليم الأول والثاني من مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب، فإن الشمس تسامت رؤوسهم مرتين في كل سنة، قريبة إحداهما من الأخرى، فتطول المُسامتة عامة الفصول، فيكثر الضوء لأجلها ويلح القيظ الشديد وتسود جلودهم لإفراط الحرّ[2].

[1]– ابن كثير– قصص الأنبياء – ص–60.

[2]– ابن خلدون– المقدمة – ص–98–99.

10.2- القربان:

يعني القربان في علم الاجتماع " كل ما يتقرب إلى القوى العلوية من ذبيحة وغيرها[1] وقد تكون هذه القوى آلهة أو غيرها من القوى فوق الطبيعة الأخرى: جن، أولياء، أرواح...إلخ وإذا كانت لكل قربان دلالته وقيمته الرمزية فإن أكثر أنواع القرابين قيمة هي الذبائح التي تراق دماؤها خلال طقوس دينية أو سحرية على مكان مقدس.

وتختلف طبيعة القرابين باختلاف المناسبات والجهة التي تقدم إليها و الشائع في معتقداتنا أن الجن يفضل من القرابين بشكل عام المواد الغذائية مثل فول، حليب، كسكس باللحم ومن دون ملح ...إلخ، من الذبائح التي تحظى بالأفضلية لديه ذبائح الدجاج الأبيض أو الأسود أو الأحمر حسب المناطق و المناسبات و المقاصد في الأماكن التي يعتقد في تواجد الجن بها خصوصا مجاري المياه الراكدة ثم يترك دم الذبيحة يسيل وينثر بعد ذلك ريشها وأمعاؤها كي "يلتهمها" مع منع القطط والكلاب من النيل من تلك الوليمة[2].

- **الدم والقربان:**

يثير الدم في النفس البشرية مشاعر غامضة، تتأرجح بين الخوف والتقديس، فسهولة انسيابه، حرارته لونه الأحمر القاني ورائحته المتميزة، جميعها خصائص تثير بعنف خيال الناس،إن الدم هو طابو في ثقافتنا الشعبية، إذ يحرم تناوله في الأكل أو شربه، ويحذر من أن يطأ بقعة دم منتشرة على الأرض، بل يتجنب مجرد الاقتراب من أماكن تواجد الدم لاعتقاد في أن الجن يتردد عليها وبسبب كل ذلك وغيره يحظى الدم في الاعتقاد الشعبي بخصائص سحرية تجعل منه أحد عناصر المهمة في وصفات السحر أكان دم بشر أو حيوان.

فبالنسبة للسحر بالدم البشري يحفل كلام العامة بالكثير من الوصفات التي تستعمل في الغالب إما دم شخص نفسه المستفيد من العملية السحرية وصفات سحر الحب(أو دم الموتى أو دم الحبيب أو الغريم) وسنكتفي من كل ذلك بنموذج واحد شائع حيكت حوله الكثير من المعتقدات هو "دم المغدور" يعتبر دم كل شخص فارق الحياة في حادث ،قتل عنيف دما سحريا يستعمل في وصفات إلحاق الأذى بالآخر[3].

---

[1] –Marcel Maussin Victor Karady-op- cit p -317.

[2]– طواهري ميلود، الطلبة بين الذهنية السحرية والمرجعية الدينية، رسالة دكتوراه، تحت إشراف: د. عبد الجليل مرتاض، 2009/2008– ص: 164–165.

[3]– طواهري ميلود– المرجع نفسه – ص– 165.

- **طقوس التضحية:**

تتضمن هذه الممارسات الحرمان من الأشياء والمستلزمات الثمينة، أو تحطيم كل ما يقدم عن طريق الاستهلاك أو الحرق أو القتل أو تقديم القرابين.

حسب ما ذهب إليه مارسيل موس، فإن التضحية تعتبر وسيلة للانتقال من العالم الدنيوي إلى المقدس عن طريق تقديم القربان أو الضحية، في طقس احتفالي، للتمكن من الاتصال بالمقدس مباشرة، وذلك لتجنب حدوث مخاطر كثيرة، كما يؤكد ميزونوف على توفر بعض المواصفات في الكائن المضحى به، وتتم عن طريق اختيار الكائن المطهر والبريء ليكون قربانا عظيما يتم بواسطته التقرب من القوة الإلهية. من جهة أخرى، فقد أكد كل من Hubert و Mauss (من المدرسة الدوركايمية) على الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها التضحية، فكل فعل طقوسي يستلزم توفر المضحي والمضحى به، ويتم ذلك عبر عمليات ومراحل مختلفة:

- توفر الفضاء والوسائل اللازمة لاستخدامها في إقامة الاحتفال.
- ذبح الأضحية لتقدم قربانا للآلهة.
- تقسيم الأضحية وتوزيعها ما بين القوة الإلهية المقدسة وما بين أعضاء الجماعة الفاعلين والمشاركين في إحياء الطقس[1]

أما في المجتمعات الإسلامية. تكون التضحية عن طريق ذبح الأضحية في مناسبات دينية عديدة مثل عيد الأضحى أو في مناسبات احتفالية مثل "الوعدة" الذي يصنفها نور الدين طوالبي ضمن الطقوس البدعية ويبدو أنه من المعتاد في الممارسات الإسلامية، أن يأخذ المؤمن الصالح على عاتقه أمام الخالق تنفيذ وعدة، تكون في هذه الحال اعترافا بالجميل، إذا تحققت إحدى أمنياته[2].

لقد أورد ابن خلدون مصطلح قربان في معرض حديثه عن قصة قابيل وهابيل "... فلما ذهب قربا قربانهما فقرب هابيل جذعة سمينة وكان صاحب غنم وقرب قابيل حزمة

---

[1] –Martine Segalen : ethnologie، concepts et aires culturelles، Armand Colin،Paris 2001، p 65. René Girard : La violence et le sacré، Edition Bernard grasset، Paris 1972 p30

نقلا عن محمد حمادي، الممارسات الطقوسية عند الصوفية ودلالتها الرمزية والثقافية، رسالة دكتوراه في الأنثروبولوجية 2007، 2008 ص.139.

[2] – نور الدين طوالبي، الدين والطقوس والتغيرات، ترجمة وجيهة العيني، منشورا ت عويدات: بيروت، د.ط، د.ت.

من زرع رديء زرعه فنزلت نار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب وقال لأقتلنك حتى لا تنكح أختي فقال إنما يتقبل الله من المتقين[1].

وقوله في حديثه عن سيدنا نوح"...ابتنى نوح مذبحا لله عز وجل وأخذ من جميع الدواب الحلال والطير الحلال فذبحها قربانا إلى الله عز وجل"[2].

11.2- المسخ:

إن المسخ هو التحول من صورة إلى صورة أقبح منها "وكانوا يعتقدون بالمسخ وهو تحويل صورة إلى أخرى أقبح منها، وتحويل إنسان إلى حيوان أو حجر، ولهم اعتقادات في مسخ الأطفال، وتبديل الجن لهم بأولادهم ذوي العاهات، وقد زعموا أن اللات صنم ثقيف، كان في الأصل يهوديا يلت السّويق[3] في الطائف فمسخ حجرا، عبد فصار اللات[4] وقد ذكر ابن كثير المسخ عندما تحدث عن إبليس عليه لعنة الله"...وكان من حي من الملائكة يقال لهم الجن، وكانوا خزان الجنان، وكان من أشرفهم ومن أكثرهم علما وعبادة وكان من أولي الأجنحة الأربعة فمسخه الله شيطانا رجيما"[5].

وعندما تحدث عن أمة موسى" وبالجملة فشريعة موسى –عليه السلام– كانت عظيمة وأمته كانت أمة كثيرة، ووجد فيها أنباء وعلماء وعباد وزهاد وأولياء وملوك وأمراء وسادات وكبراء، لكنهم كانوا فبادوا وتبدلوا كما بدلت شريعتهم ومسخوا قردة وخنازير"[6].

---

[1]– ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 33

[2]– ابن كثير، المصدر نفسه، ص 62.

[3]– يلت السويق– يخلطه والسويق– وما يتخذ من الحنطة و الشعير–ابن منظور– لسان العرب مادة –سوق–

[4]– جواد علي– المرجع السابق– 819/6.

[5]– ابن كثير– قصص الأنبياء – ص– 11.

[6]– ابن كثير– المصدر نفسه – ص– 275– 276

12.2- التطير:

لقد كان لتأثير في اعتقادات الناس تأثيرا كبيرا في حياتهم ونفسياتهم على مر العصور وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من موضع متعلقة بالكافرين والمشركين، يقول تعالى: ﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ [1]﴾، وفي قوله أيضا: ﴿ فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ [2] ﴾. يفسر ابن كثير هذه الآية في قصص الأنبياء فيقول فإذا جاءتهم الحسنة"والخصب ونحوه "قالوا لنا هذه" أي هذا الذي نستحقه وهذا الذي يليق بنا "وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه" أي يقولون هذا بشؤمهم أصابنا هذا ،ولا يقولون في الأول إنه بركتهم وحسن مجاورتهم، ولكن قلوبهم منكرة مستكبرة نافرة عن الحق، إذا جاء الشر أسندوه إليه، وإن رأوا خيرا ادعوه لأنفسهم، قال الله تعالى: ﴿ ألا إنما طائرهم عند الله") ﴾أي أن الله يجزيهم على هذا أوفر الجزاء[3] وقد عرف منذ القدم بأن التطير مرتبط بالتشاؤم سواء تعلق بالنظر أم السمع مما يؤدي في الأخير إلى انصراف الشخص عن القيام بأمر من أمور الدنيا، وبين حافظ بن أحمد حكمي مفهوم التطير وأشكاله فيقول: "الطيرة هي ترك الإنسان حاجته، واعتقاده عدم نجاحها تشاؤما بسماع بعض الكلمات القبيحة أو تشاؤما ببعض الطيور كالبومة والغراب وما شاكلها إذا صاحت، فيقال إنها ناعية أو مخبرة على بشر، وكذا التشاؤم بملاقاة الأعور أو الأحدب أو المهزول... [4] ومن طقوس التطهير الجماعية التي كان يمارسها العرب في الجاهلية بهدف طرد الشر والشؤم والأرواح الشريرة عن كل من القبيلة والمدينة معا، ما ذكره ابن الكلبي في معرض حديثه عن محاولة اتقائهم شؤم الغراب "أن قبيلة "عك" كانوا إذا خرجوا حجاجا، قدموا أمامهم غلامين أسودين من غلمانهم يصيحان: نحن غرابا عكّ [5] مما يؤكد تشاؤمهم من الغراب، وحرصهم على

---

[1]– من سورة النمل، الآية 47.

[2]– من سورة الأعراف، الآية 131.

[3]– ابن كثير المصدر السابق، ص222

[4]– حافظ ابن أحمد الحكمي، معرج القبول، بيروت، دار الكتب العلمية، ج2، د.ط، 1998، ص331.

[5]– الكلبي، المصدر السابق، ص 7.

لفت أنظار الأرواح الشريرة إلى هذين الغرابين عن القبيلة، وهذا يؤكد ما ذهبت إليه بعض المعتقدات الشعبية من أن الشيطان يظهر في هيئة غراب، وأن بعض الغربان تقوم بمهمة رسول إبليس. [1]

ومن العادات الجاهلية التي ارتبطت بالجن والشياطين التطير "الذي يبدو على صلة بعقيدة استحالة الأرواح طيورا بعد مفارقتها الأجساد[2] على اعتبار" أن الجن والشياطين هي النفوس البشرية المفارقة عن الأبدان بحسب الخير والشر[3].

فالغرض من الطيرة هو دفع تلك القوى التي تتلبس بعض الحيوانات المرتبطة بالجن، إذ آمن العرب بتلبس الأرواح في الطيور، شريرة كانت أم خيرة، فتفاءلوا ببعضها وتشاءموا من البعض الآخر[4] وقد يكون السبب في تشاؤمهم من البارح، اعتقادهم "أن جهة اليسار نافذة تطل منها الجن والشياطين، لتوسوس في نفوس البشر، أو مصدر شؤم وأذى[5] ومن الأمور التي ارتبطت بالشيطان (السحر)" إذ يعده البعض عملا يقرب فيه إلى الشيطان، وبمعونة منه، يؤدي إلى الخداع وفساد العقل[6].

---

[1]– فوزي العنتيل، الفلكلور ما هو؟، مكتب مدبولي، القاهرة، دار المسيرة، بيروت، د.ط، د.ت، ص.107

[2]– سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ط، 1988م، ص 44.

[3]– جواد علي، المرجع السابق، 6–788.

[4]– شفيق معلوف، المرجع السابق، ص60.

[5]– أحمد إسماعيل النعيمي، المرجع السابق، ص 201–206.

[6]– الزبيدي، المصدر السابق، 6–740.

13.2- علم النجوم والكواكب:

لقد سبق وأن قلنا سابقا أن علم التنجيم هو محاولة معرفة المنجمين للغيب وأن علم النجوم على نوعين جائز ومحرم فالجائز هو ما انتفع به الناس وأما المحرم فهو الذي يتعامل فيه بالسحر.

ومعتقد التنجيم ليس وليد اليوم، بل له جذور ضاربة في القدم، يعود تاريخه إلى العصر الجاهلي[1] حيث كان محترفوا التنجيم يقومون بالنظر إلى النجوم أي الكواكب ويحسبون سيرها ومواقيتها، ليعلم أحوال العالم التي تقع في المستقبل، وقد أصبح للظاهرة أبعاد نفسية هامة في حياة الأفراد بحيث ربطها البعض بمصيره فصار يتفاءل للأخبار السارة ويتشاءم للأخرى فيحدث له الفتور والقلق وضيق النفس والعجز عن أداء واجباته اليومية إلى درجة الانطواء على النفس.

لقد عبد قوم إبراهيم الكواكب والأصنام وكانوا يقدمون لها القرابين وها هو ابن كثير يشير إلى ذلك"...وأقاموا بحران وهي أرض الكلدانيين في ذلك الزمان وكذلك أرض الجزيرة والشام أيضا وكانوا يعبدون الكواكب السبعة والذين عمروا مدينة دمشق كانوا على هذا الدين يستقبلون القطب الشمالي ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الفعال و المقال ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل لكوكب منها ويعملون لها أعيادا وقرابين، وهكذا كان أهل حران يعبدون الكواكب الأصنام[2].

وفي حديثه عن رؤيا النمرود التي رآها وفسرها له الكهنة والمنجمون بأنه سيولد ولد يكون هلاكه على يديه" فجمع الكهنة والمنجمين وسألهم عن ذلك فقالوا يولد مولود في رعيتك يكون زوال ملكك عل يديه[3].

وعرف عن العرب معرفتهم بالنجوم ومطالعها وأنواعها، واعتقادهم أنها شياطين وأشباح وقد وصفت الأعراب النجوم بعدة أوصاف تؤكد علاقتها بالشياطين، فمنها نجوم الأنواء، ونجوم الاهتداء والسعود والنحوس... وسخرن "لمعرفة الأمور الخافية عليهم من حاضر ومستقبل[4] فكان الكهان يتنبئون بما سيقع من أمور وأحداث، بالاستدلال بحركات

---

[1]– صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، الجزائر، شركة الشهاب، للنشر والتوزيع، د.ط، 1987–ص–41.

[2]– ابن كثير، قصص الأنبياء – ص– 90.

[3]– ابن كثير، المصدر نفسه–ص–124.

[4]– حسين مجيب المصري، المرجع السابق–ص–35.

تلك الأجرام[1] واعتقدوا بقدرة الكاهن على معالجة المرضى عن طريق " طرد الشياطين من جسم المريض بالتعاويذ والتراتيل والأناشيد المقدسة[2] فكان عملهم هذا بمنزلة أهل العلم والفلسفة والطب والقضاء واليقين.

14.2- الخوارق:

لقد سبق وأن عرفنا خوارق والعادات بأنها حدوث أمر على غير العادة أو السنة الجارية فإن الله سبحانه وتعالى جعله لكل شيء مقدار وحدا معينا، وكل ما ظهر خلاف للسنن الجارية شيء يكون خرقا للعادة، وقد ثبت في القرآن الكريم وفي السنة وفي غير موضع، وجود خوارق العادات التي أجراها الله سبحانه وتعالى على يد عباده من أنبياء ورسل صالحين، وقد أورد ابن كثير في كتابه قصص الأنبياء حينما تحدث عن معجزات موسى"لما تمادى قبط مصر على كفرهم وعتوهم وعنادهم لملكهم فرعون، ومخالفة لنبي الله ورسوله وكليمه موسى بن عمران –عليه سلام– وأقام الله على أهل مصر الحجج العظيمة القاهرة،وأراهم من خوارق العادات ما بهر الأبصار وحير العقول"[3]

إن طبيعة فرعون وقومه الموغلة في السوء أبت الإذعان للآيات الواضحة التي تدل على رسالة موسى، فاستمروا في إجرامهم حينئذ أصابهم الله بصنوف أخرى من المصائب والنكبات: بالطوفان يعمر ممتلكاتهم ومزارعهم، وبالجراد يأكل مزروعاتهم، وبالقمل وهو حشرة تفسد الثمار وتؤذي الإنسان والحيوان وبالضفادع التي انتشرت في كل مكان فنغصت حياتهم وأفسدت صفاء عيشهم،كما أرسل عليهم آفة جعلت الدم يسيل من أفواههم وتلوثت بذلك مياههم فضعفت أجسامهم، وكانوا كلما حل بهم العذاب يقولون لموسى: لئن كشف الله ما بنا من سوء وعذاب سنؤمن بربك ونرسل معك بني إسرائيل، ولكن ما إن كشف الله عنهم العذاب حتى ينكثوا بوعدهم قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۞ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۞ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ

---

[1]– الجاحظ، المصدر السابق– 6– ص –30.

[2]– جواد علي، المرجع السابق، ص:434.

[3]– ابن كثير– قصص الأنبياء – ص– 226.

قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ ۞ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ [1]﴾.

فأمام كل هذه الآيات والنعم والخوارق قابلوا ذلك (بالجحود) بالنكران ففي حديثه عن جحود بني إسرائيل للنعم التي أسبغها الله عليهم"... أي ولو شاهدوا مهما شاهدوا من الخوارق و المعجزات لا ينقادوا لإتباعها..." [2]

لقد لقي موسى الأهوال من بني إسرائيل في سبيل دعوتهم إلى عبادة الله وحده، وكانت المعجزات التي أيده الله بها كافية لأن تنزع منهم كافة رواسب الوثنية فمن مظاهر ذلك أنهم عندما جاوزوا البحر مروا على قوم يعبدون الأصنام فطلبوا من موسى أن يتخذ لهم صنما يعبدونه مثل هؤلاء الوثنيين، فلا مهم موسى على جهلهم وأكد لهم أن هؤلاء القوم الذين يعبدون الأصنام دينهم باطل وأعمالهم خاسرة ولذا فإن مصيرهم الهلاك، ثم أبدى عجبه كيف أنهم يطلبون معبودا غير رب العالمين الذين خصهم با كرامه وفضلهم على الأمم التي كانت في زمانهم بوحيه ورعايته قال تعالى: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۞ إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ [3] ﴾.

- **علاقة خوارق العادات بالمعتقدات الشعبية:**

آمنت الشعوب و الحضارات منذ القدم بالخوارق، وبعض النظر عن حقيقة هذه الخوارق أو عدم حقيقتها، فإنها كثيرا ما ارتبطت، بالديانات، فنجد أن اغلب من وجدت أو ادعوا أن لهم أمور خارقة ليست من مقدور البشر ربطوا هذه القدرات، بالدين الذي ينتسبون إليه أو ربما جعلوها تمهيدا لدين يريدونه أو يريدون وضعه، ولما كان الجزء الأكبر من الدين وأي دين كان، هو الإيمان بالغيب، الذي لا يمكن إخضاعه لتجربة مادية أو فزيائية محسوسة، فإن هذا الأمر جعل من السهل أن يتداخل لخرافات والمعتقدات والميولات والأهواء بالدين، حتى وإن كان هذا الدين سماويا لاشك ولا ريب

---

[1]– من سورة الأعراف، الآيات من 132 إلى 135.

[2]– ابن كثير– المصدر السابق– ص–244.

[3]– من سورة الأعراف، الآيات من 138 إلى140.

فيه، ولنا في الدين الإسلامي خير مثال على ذلك، إذ نجد أن المعتقدات و الخرافات قد دخلت فيه بشكل مقلق خاصة اعتقادات العقل البسيط، فإننا قد نجد ربما بعض المجتمعات أو الطوائف مثلا تمارس السحر بأنواعه اعتقادا منها بأنه من صلب الدين، مع أن الأصل في الإسلام هو السحر حرام قطعا.

ويرى ابن خلدون أن الله قد يؤتي الخوارق لمن شاء، فهي ليست حكرا على الأنبياء أو الأولياء الصالحين من المسلمين،بل قد تكون عند الكافر الفاجر، مثل السحرة والكهان باختلاف ديانتهم ومشاربهم.

إننا إذا رجعنا إلى التاريخ فإننا نجد مثلا أن رسل الله قد أثروا تأثيرا كبيرا في الناس بواقعية وقداسة ما بعثوا به إلى البشر من عند الله وكان سلاحهم في ذلك الخوارق وأولها المعجزات، كما نجد أيضا أن الكهان و السحرة مثلا كان لهم تأثير كبير على المجتمعات القديمة، وإن كان تأثيرهم لم يصل إلى درجة تأثير الأنبياء والرسل، إلا أنهم استطاعوا أن يشدوا إليهم انتباه الناس وعقولهم ويؤثروا فيهم حتى في أزمان وفي مجتمعات وجد فيها الأنبياء والرسل. وسلاح الكهان في ذلك أيضا كان ما أوتي لهم من قدرات خارقة قد يراها العقل البسيط أمر خارج عن قدرات البشر، فينجر وراء عقله العقيم،كما نجد أن هناك من الكهنة والسحرة من ادعى النبوة وقال بأنه يأتيه الوحي من السماء وأن له معجزات تثبت ما يقول ولم تنقطع أصوات هؤلاء حتى في زمننا هذا، كما تتقطع في أزمان الرسل والأنبياء، ولنا في التاريخ الإسلامي من الأمثلة على ذلك، فقد ادعى كثير من الناس النبوة، كما هو شأن مسيلمة الكذاب وابن صياد والأسود العنسي وغيرهم،ورغم استطاع هؤلاء أن يجمعوا الناس من حولهم ويؤثروا في عقولهم.

15.2- المبالغة في الوصف:

يعرف المعجميون الوصف" وصفك الشيء بحليته ونعته"[1] بينما يعني الوصف من الوجهة الاشتقاقية، التجسيد والإبراز والإظهار حيث كان يقال: قد وصف الثوب الجسم، إذا نم عليه ولم يستره[2] أما عند الغربيين "يعني فعل وصف(Décrire) في بعض المعاجم الفرنسية، استحضار شخص ما، أو شيء ما كتابيا أو شفويا. والوصف يضاد التعريف، فهذا يكون للمفاهيم والأفكار، وذلك يكون للأحياء والأشياء المحسوسة[3].

لقد أورد ابن كثير المبالغة في الوصف حين يتحدث عن عوج بن عنق" فكيف يزعم بعض المفسرين أن عوج بن عنق ويقال ابن عناق كان موجودا من قبل نوح إلى زمان موسى ويقولون كان كافرا متمردا جبارا عنيدا ويقولون كان لغير رشدة بل ولدته أمه عنق بنت آدم من زنا، وإنه كان يأخذ من طوله السمك من قرار البحار ويشويه في عين الشمس[4] وحين تكلم عن عاقر ناقة صالح:.. فكانوا على ذلك دهرا طويلا وانقرض جيل وأتى جيل آخر. فلما كان في بعض الأعصار خطب رئيس من رؤسائهم على ابنة بنت آخر مثله في الرياسة فزوجه فولد بينهما عاقر الناقة وهو قدار بن سالف، فلم تتمكن القوابل من قتله لشرف أبويه وجديه فيهم.

فنشأ نشأة سريعة فكان يشب في الجمعة كما يشب غيره في شهر[5].

---

[1]– ابن منظور–المصدر السابق،المجلد التاسع– دار صادر– بيروت– مادة وصف.

[2]– ابن رشيق– العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده–ج2–ص–292– نقلا عن د.عبد الملك مرتاض في نظرية الرواية عالم المعرفة– العدد 24، 1998–المرجع السابق –ص–283.

[3]– Paul Robert-Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française- Décrire– نقلا عن عبد الملك مرتاض– المرجع السابق–ص–288.

[4]– ابن كثير– قصص الأنبياء – ص–58.

[5]– ابن كثير– المصدر نفسه – ص–89.

16.2- المبالغة في العدد:

لقد سبق لنا وأن عرفنا آنفا العدد ولا داعي لأن نعيد ذلك فما يهمنا في هذا المقام هو أن نستخرج ما دل على مبالغة في العدد ونجد ذلك حين تحدث عن عدد سحرة فرعون الذي فاق التصور"فجمعوا له من كل بلد ومن كان ما كان فاجتمع منهم خلق كثير وجم غفير، فقيل كانوا ثمانين ألفا...وقال كعب الأحبار كانوا اثني عشر ألفا"[1].

وحين تحدث عن طول عوج بن عنق"...وذكروا ههنا أن عوج بن عنق من عند الجبارين إلى بني إسرائيل ليهلكهم، وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع..." [2]

كما أن عوج بن عنق هذا غريب الهيئة ينط هنا وهناك وإلى ارتفاع عال جدا"...ثم عمد موسى إليه فوثب في الهواء عشرة أذرع وطوله عشرة أذرع، وبيده عصاه وطولها عشرة أذرع..." [3].

إن طول عوج بن عنق فيه نظر يستحى من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن"[4].

---

[1]- ابن كثير- قصص الأنبياء - ص- 212.

[2]- ابن كثير- المصدر نفسه - ص- 237.

[3]- ابن كثير- المصدر نفسه - ص- 237.

[4]- أخرجه البخاري في كتب "أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته.

17.2- توظيف بعض العادات:

تختلف الأعياد والطقوس باختلاف التوجهات الدينية، فالعادات والتقاليد تختلف من بلد إلى بلد، فالعقيدة اليهودية مثلا ترتكز على وحدانية الخالق واختياره لبني إسرائيل كوسيط بينه وباقي البشر، وتسمى الشريعة اليهودية بـ "الحلقة Halakhah) والتي تعني باليهودية الطريق، وهي تلخص طريقة حياة المؤمن باليهودية والعادات والطقوس والتقاليد بصورتها الشمولية تماما مثل "الشريعة" في الإسلام وتتضمن الطقوس اليهودية، الصلاة الجماعية ثلاث مرات في اليوم يقوم المتعبدون خلالها بتلاوة الشعائر والأدعية التي تعرف بالعبرية بـ"تقبللاه Tefillah" وهم مستقيمون ورؤوسهم مغطاة، كما تعد دراسة التوراة واجبا دينيا لدى اليهود وإحدى طقوس العبادة الهامة.

ويحرم اليهود أكل الخنزير وأي طعام يمتزج فيه اللحم بالحليب، كما يلتزمون بالذبح الحلال "الكوشير" الذي يستوجب إفراغ الدم كاملا من جسم الذبيحة قبل أكلها، ويتحاشى اليهود العمل يوم السبت تيمنا به كيوم للراحة بعد أن خلق العالم في ستة أيام، ويحتفل اليهود سنويا بيوم الخروج من مصر أيام الفراعنة "passover"[1].

وقد أشار إلى هذا ابن كثير "وعند أهل الكتاب أن بني إسرائيل لما أمروا بالخروج من مصر، جعل الله ذلك الشهر أول سنتهم وأمروا أن يذبحوا كل أهل بيت حملا من الغنم، فإن كانوا لا يحتاجون إلى حمل فليشترك الجار وجاره فيه، فإذا ذبحوه فلينضحوا من دمه على أعتاب أبوابهم ليكون علامة لهم على بيوتهم ولا يأكلونه مطبوخا ولكن مشويا برأسه وأكارعه وبطنه ولا يبقوا منه شيئا ولا يكسروا له عظما ولا يخرجوا منه شيئا إلى خارج بيوتهم، وليكن خبزهم فطير سبعة أيام... فإذا أكلو فلتكن أوساطهم مشدودة وخفافهم في أرجلهم وعصيهم في أيديهم، وليأكلوا بسرعة قياما، ومهما فضل عن عشائهم فما بقي إلى الغد فليحرقوه بالنار، وشرع هذا عيدا لأعقابهم ما دامت التوراة معمول بها، فإذا نسخت بطل شرعها وقد وقع"[2]

فأنت ترى معي كيف أن شريعتهم دققت في كل شيء، ماذا يأكلون وهيئة أكلهم، فكأنها قانونا وليس عيدا أو احتفالا.

---

[1]– Copyright@2006-2009 aa Faq-org. All rights reserved، powred by hila/net.co.

[2]– ابن كثير، المرجع السابق ص.233

إلى جانب هذا العيد، كانت لهم أعيادهم الخاصة بهم والتي من أشهرها عيد الحصاد، عيد رأس السنة وعيد الصوم الكبير، وعيد الفصح ويسمونه عيد الفطير[1].

ويهتم اليهود بهذا العيد لأنه يوافق اليوم الذي خرج فيه بنو إسرائيل من مصر فرارا من فرعون وظلمه، وفي هذا يقول ابن كثير: "...وهذه السنة عندهم تسمى الفسخ، ولهم عيد الفطير، وعيد الحمل، وهو أول السنة ، وهذه الأعياد الثلاثة أكل أعيادهم منصوص عليها في كتابهم[2]

[1]– قيل سمي بعيد الفطير، لأنهم خرجوا سريعا من مصر فلم يعدوا خبزهم كالعادة وإنما أعدوه فطيرا دون أن يختمر ومازالت هذه عادة اليهود في هذا العيد الذي يستمر سبعة أيام، يأكلون خبزا غير مخمر.

[2]– ابن كثير، المرجع السابق، ص.233

18.2- قوس قزح أمان من الغرق:

إن طوفان نوح من أبرز الحوادث التاريخية وأشدها وقعا في النفس الإنسانية من حيث إنه من أقسى العقوبات التي عاقب الله بها الكفار، كما أنه من إمارات قدرة الله العظيمة.

لقد عهد الله نوحا ألا يعيد الطوفان على أهل الأرض وجعل تذكارا لميثاقه إليه القوس الذي في الغمام وهو قوس قزح الذي قدمنا عن ابن عباس أنه أمان من الغرق[1].

وربما يكون قزح هذا هوا الذي عبده العرب في جاهليتهم "ومما عبده العرب الإله "قزح" وكان يسمى بقزاح إله الرعد والخصب والمطر والبرق، كان موقعه قرب مكة وقالوا "إن قزح اسم ملك موكل بالسحاب[2] ويذكر الحموي "أنه اسم الشيطان، وهو الموضع الذي كانت توقد فيه نيران الاستمطار في الجاهلية[3]

[1]– ابن كثير، المصدر السابق ص.62

[2]– حسن نعمة، المرجع السابق ص.266

[3]– شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي الحموي، المصدر السابق 341/4.

19.2- تدخل الشيطان في حياة بني آدم:

إن في العالم الغيبي مخلوقا خفيا اسمه الشيطان يرانا من حيث لا نراه، له أتباع وأعوان بحيث يؤثر في أنفسنا وإن لم ندرك مصدره، يستعمل كل ما يقدر عليه ليفتك بنا، لقد ترجى من الله ألا يعاقبه في وقته بل يمهله إلى يوم القيامة، فهو منذ أول خطيئة ارتكبها يحاول أن ينتقم من بني آدم بزرع الشر في كل مكان وفي كل زمان. ويقال أنه وسوس لحواء بأن تسمي ابنها عبد الحارث حتى يعيش لها أبناءها الذين فقدتهم الواحد تلو الآخر، ويقال أن الحارث اسم من أسماء الشيطان فهو هنا قد جرها إلى الشرك من دون أن تشعر "لما ولدت حواء، طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد، فقال سميه عبد الحارث فإنه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره"[1].

[1]– ابن كثير، المصدر السابق ص 38

الفصل الثالث

القيمة العلمية

لكتاب قصص الأنبياء

لقد عاش الحافظ ابن كثير في غضون الثلاثة الأرباع الأولى من القرن الثامن الهجري، في ظل دولة المماليك، وقد كانت هذه الفترة امتداداً لأحداث عظيمة ونكبات شديدة مرت على العالم الإسلامي، وقد أدى اضطراب الأحوال السياسية إلى سوء الأحوال الاجتماعية، ومع ما كانت عليه هذه الفترة من اضطراب فقد سادها نشاط علمي كبير، ولعل أهم أسباب هذا النشاط تنافس المماليك في تشجيع العلوم وتقريبهم للعلماء، وإجزال العطاء لهم، حيث علم المماليك أن تشجيع العلم أساس لقيام دولتهم؛ ومن الأسباب لهذا النشاط يقظة الرأي العام الإسلامي، بعد تلك المحن والأحداث المؤلمة التي مرت بالأمة الإسلامية وقد تمثل هذا النشاط بكثرة دور التعليم التي شملت كثيرا من المساجد والمدارس في مصر والشام وبكثرة المؤلفات في سائر العلوم كشيخ الإسلام ابن تيمية والحافظين المزي والذهبي والعلامة ابن القيم والحافظ، ابن كثير وغيرهم، وقد امتازت هذه الفترة بحرية الفكر والبحث العلمي، والقيمة الرفيعة والمنزلة العالية التي يحتلها العلماء بين العامة والخاصة على حد سواء، وكان جل اهتمام العلماء في هذا العصر الانصراف إلى الإفادة من كتب الأقدمين، ودراستها ونقدها وتخريج أحاديثها واختصارها، والمقارنة والموازنة بينها.

وكان طبيعيا أن تنصرف دراسة الحافظ ابن كثير إلى هذه العلوم، وأن تكون وفق ما كان معهودًا في عصره، لكن من يقرأ في كتب الحافظ ابن كثير في التفسير والحديث والتاريخ والفقه وغير ذلك يجد أنه صاحب مبدأ وعقيدة يتمسك بها ويدعو إليها ويدافع عنها، كما أنه صاحب هدف واضح جلي في جميع مؤلفاته[1] وكما اشتهر ابن كثير بتفسيره، اشتهر أيضا بتاريخه، وطبع تاريخه عدة طبعات، ومن تاريخ ابن كثير البداية والنهاية، أخذ بعض المعاصرين فصولاً منها:

[1]– سليمان بن إبراهيم الراحم، منهج ابن كثير في التفسير ، ط1، 1999م دار المسلم للنشر والتوزيع، ص: 12، 13، 15، 16.

قصص الأنبياء:

"هو فصل من تاريخ (البداية والنهاية) تتعلق بالأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام، استلمها الدكتور مصطفى عبد الواحد– سامحه الله–ونشرها في كتاب خاص، وأوهم القراء أنه كتاب خاصّ ألّفه ابن كثير، وظهر هذا الكتاب في عدّة طبعات في مصر ولبنان، يزعم ناشروه أنهم قد حققوه والكتاب كلّه موجود بالحرف في تاريخ البداية والنهاية[1].

وسنحاول في هذا الفصل أن نبرز القيمة العلمية لكتاب قصص الأنبياء لابن كثير بالتركيز على القيم التالية الدينية والتاريخية والفنية.

[1]– د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسّرين، ط3، 2008، دار العلم دمشق، ص: 382– 383.

1- القيمة الدينية:

من خلال احتكاكنا بالكتاب اكتشفنا أن ابن كثير له اطلاع كبير على تاريخ أهل الكتاب فهو بين الفينة والأخرى يسرد ما جاء على لسانهم، فعلى سبيل المثال أثناء حديثه عن نوح يقول: "وعلى تاريخ أهل الكتاب المتقدّم يكون بين مولد نوح وموت آدم مائة وست وأربعون سنة، وكان بينهما عشرة قرون"[1].

وفي معرض حديثه عن نوح "وفيما ذكر أهل الكتاب أن الله كلم نوحًا قائلاً له: أخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك وجميع الدواب التي معك ولينموا وليكبروا في الأرض، فخرجوا وابتنى نوح مذبحًا لله عز وجل وأخذ من جميع الدواب الحلال والطير الحلال فذبحها قربانًا إلى الله عز وجلّ"[2].

إن هذا الاستشهاد يعكس الانفتاح على الآخر ويبرز كيفية الاستفادة من تراثهم، كما أنه يفتح بابًا من الحوار بين الديانات جميعًا، ويمكن هذا الأمر أن يبصر أهل الكتاب إلى الاعتقاد الصحيح في سماحة الإسلام فقد توصل الإسلام إلى نزع الأحقاد الدينية من عقول متبعيه بعد أن وقف علماء الإنسان على أسرار النفس الإنسانية وكيف أنها تختلف في الحكم على الأشياء، ولهذا صرح القرآن بأن اختلاف الناس في معتقداتهم من سنن الله في خلقه قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[3].

ويقول أيضا مخاطبًا رسوله محمد ﷺ ﴿ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[4].

وعلى هذا علم المسلمون أنه يتوجب عليهم ألا يحقدوا ولا يضطهدوا من يخالفهم في الدين لأن هذه هي إرادة الله التي خلقت الناس على هذا الاختلاف، فبينما كان أكثر الأديان يأمرون أتباعهم باستعمال أشد الطرق الإكراهية لحمل الناس على الدخول في دينهم ولو أدى ذلك إلى قتل عشرات الآلاف، نرى الإسلام يخاطب متبعيه بأن لا يرغموا

---

[1]– ابن كثير، قصص الأنبياء، ص: 44.

[2]– ابن كثير، المصدر نفسه، ص: 62.

[3]– من سورة هود، الآيتان 118، 119.

[4]– من سورة يوسف، الآية 103.

أحدا على ترك دينه واعتناق الإسلام وفي هذا يقول تعالى:﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾[1].

ويقول الله مخاطبًا رسوله محمدا ﷺ ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[2].

أي ليس بمستطاع لك يا محمد ولا من وظائف الرسالة التي بعثت بها أن تُكْره الناس على الإيمان.

وعلى هذا الأساس سار المسلمون في علاقتهم مع أهل الأديان الأخرى، فكانوا يبيحون لأهل البلد الذي يفتحونه أن يبقوا على دينهم مع أداء الجزية، وكانوا في مقابل ذلك يحمونهم ضد كل اعتداء، ولا يمسّون عقائدهم وشعائرهم ومعابدهم.

ومن آثار الحرية الدينية ما رسمه الإسلام من أدب المناقشة الدينية ومجادلة أهل الكتاب مجادلة أساسها العقل والمنطق وعمادها الإقناع بالطريقة التي هي أحسن قال تعالى: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالّذي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلهُنَا وَإِلهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[3]. ويقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بالّتي هِيَ أَحْسَنُ﴾[4].

ويرسم الله كيفية معاملة المسلمين للذين يخالفونهم في دينهم بقوله: ﴿لاَ يَنْهَاكُمْ اللهُ عَنِ الّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ في الدِّين وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهم فَأُولئكَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾[5].

ففي هاتين الآيتين يأمر الله المسلمين معاملة من يخالفونهم في دينهم بالعدل، ولم يكتف به بل تجاوز ذلك إلى التوصية بالبر بهم، والبر فوق العدل، فهو لا يأتي إلاّ من

---

[1]– من سورة البقرة، الآية 256.

[2]– من سورة يونس، الآية 99.

[3]– من سورة العنكبوت، الآية 46.

[4]– من سورة النحل، الآية 125.

[5]– من سورة الممتحنة، الآيتان 8 و9.

العطف والحنو وإرادة الخير، واستثنى الله الذين اضطهدوا المسلمين وقاتلوهم، وهذا عدل لا شائبة فيه.

والإسلام يرجح كفة الصلح والمودة على العداوة والبغضاء، قال الله تعالى:﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الّذينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً واللهُ قَدِيرٌ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

ومن التسامح في الإسلام إباحته طعام أهل الكتاب، وتحليله لذبائحهم، وإباحته للمسلم أن يتزوج من نسائهم قال الله تعالى:﴿وَطَعَامُ الّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالمُحْصَنَاتُ مِنَ المُؤْمِنَاتِ والمُحْصَنَاتُ مِنَ الّذينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[2].

والمؤاكلة والمصاهرة تدعو للمحبة وحسن المعاشرة والإخلاص في المعاملة.

ومن التسامح أيضا: تسميتهم بأهل الذمة، فلفظ الذمة معناه: ذمة الله وعهده ورعايته.

-كما يمكن أن نستشف من الكتاب الكثير من القيم الأخلاقية التي صاحبت الأنبياء والتي دعوا إليها من صدق وصبر وبر، وتواضع باعتبار أن الدين هو عماد الحياتين، بل وأن الأديان السماوية هي التي رفعت من قدر الإنسانية في الكون، وعلمت الإنسان "كيف يسمو فوق ذاته، كأن له النصيب الأوفر في دفع عجلة الزمن للخروج بالإنسانية من البدائية اللاهوتية التي كان من أبرز آثارها في الإنسان سيطرة الأوهام عليه، فأصبح بفضل ما غرست هذه الأديان في قلبه من اطمئنان وفي نفسه من ثقة باحثا عن حقيقة وجوده، وعما يمكنه من فرض سيادته على هذا الكون الذي أنس إليه بعد الوحشة"[3].

معنى هذا أن الدين كان عبارة عن سلم عرجت منه البشرية إلى عالم أنبل وأسمى من عالم البدائية المتوحشة "وهو ذو طابع إنساني عام يدعو في جوهره، دوما إلى الفضائل الإنسانية ويحارب كل ألوان الرذائل، مقره قلب الإنسان وعقله"[4].

---

[1]- من سورة الممتحنة، الآية 7.

[2]- من سورة المائدة، الآية 5.

[3]- نقرة التهامي، سيكولوجية القصة في القرآن الكريم الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1974، ص: 7.

[4]- العرابي لخضر أغراض القصص القرآني عند سيد قطب رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه سنة 2001م جامعة تلمسان، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عباس محمد، ص: 406.

فالغرض من قصص الأنبياء التي مرّت معنا كان الهدف منها الموعظة والإنذار قبل كل شيء بهدف تربية نفس الإنسان وتعميق عقيدته، والسمو بروحه، وخلقه ونفسه إلى أسمى وأرقى مراتب الأخلاق والتدين، فهي الطريق إلى المنهج الديني الحق الداعي إلى التوحيد والثبات على دين الله الواحد الأحد.

إذن دلت التجربة التربوية على أن أشد المواعظ الدينية نفاذا إلى القلوب ما عرض في أسلوب قصصي يحمل على المشاركة الوجدانية للأشخاص، والتأثر بالأحداث، والانفعال بالأحداث، والانفعال وبالمواقف[1] ومنه تصبح القيمة الدينية مواكبة للقصص القرآني بحيث تسعى إلى بث الخلق الكريم، والإيمان بمدبر الكون الذي يتحكم في مصائر الناس جميعا، كما يسعى القصص القرآني إلى وجوب التدبر في ما سرده من أخبار الأقوام، وفي القرآن إشارة لقصة قوم يونس عليه السلام –مثلا– الذين أوشكوا على الوقوع في العذاب لولا إيمانهم ﴿فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِين﴾[2].

هَذِهِ هِيَ إِذَنْ الحَقِيقَةُ الّتي يُقَرِّرُهَا قَصَصُ القُرْآنِ حَقِيقَةُ الإِيمَانِ وَمَا يُنِيرُهُ لِصَاحِبِهِ مِنْ سَبِيلِ الرِّضَى، وَمَا يُقَابِلُهَا مِنْ حَقِيقَةِ الكُفْرِ وَمَا يَسْتَوْجِبُهُ مِنْ ثِقْلِ العَذَابِ وَالخِزْيِ.

فَكَانت هذه القصص بحق أفضل أداة لتربية النفوس وتثبيت العقيدة.

–كما أنه من القيم الدينية الأخرى أنها تُوصل للمعتقد الشعبي فعل ما تعارف عليه الناس ولم يتعارض مع الكتاب والسنة فقد استحسنه الإسلام وبقية الأديان الأخرى وما تعارض معهما لم يستحسنه فالعرف نص في غياب النص من الكتاب والسنة لقوله تعالى ﴿خُذِ العَفْوَ وامُرْ بِالعُرْفِ وَاعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾[3].

كما أن معرفة الناس بحقيقة هذه المعتقدات المذكورة في القرآن تسمح للناس بحسن التعامل معها وهذا الزخم الكثير يساعد الدارسين والمهتمين في هذا المجال.

---

[1]– نقرة التهامي، المرجع نفسه، ص: 544.

[2]– من سورة يونس، الآية 98.

[3]– من سورة الأعراف، الآية 199.

2- القيمة التاريخية:

يؤسس ابن كثير من خلال كتابه قصص الأنبياء لعلاقة مكانية وزمانية بين الأمم جميعًا في ظل التفاوت في الاعتقاد الشعبي حيث أن جميع الكتب السماوية في تعاملها مع هذه الأخيرة تحاول أن تلطف من حدّتها ضمانًا لوحدة المجتمعات وإبقاءً للتقارب بين المحسوس وعالم الغيب كما أن هذه المظاهر الشعبية مسايرة للإنسان في كل زمان ومكان وليست حكرًا على شعب من الشعوب من أجناس مختلفة وعقائد مختلفة كون القرآن هو عصارة ثقافات متعدّدة فالسحر والجن والشيطان إلى غير ذلك موجود عند كل الأديان وفي كل الثقافات.

كما يعكس الكتاب ثقافة ابن كثير الواسعة فهو مطلع على الكتب السماوية وكثيرًا ما كان يستشهد بأقوالهم ومثال ذلك:"وفيما ذكر أهل الكتاب أن الله كلم نوحًا قائلاً له: أخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك وجميع الدواب التي معك ولينموا وليكبروا في الأرض، فخرجوا وابتنى نوح مذبحًا لله عز وجل، وأخذ من جميع الدواب الحلال والطير الحلال فذبحها قربانا إلى الله عز وجل[1].

وفي حديثه عن سيدنا نوح عليه السلام "وعلى تاريخ أهل الكتاب المتقدم يكون بين مولد نوح وموت آدم مائة وست وأربعون سنة وكان بينهما عشرة قرون[2].

كما يعرفنا الكتاب بالكثير من الأنبياء وما اتصفوا به من أخلاق حميدة وعالية بوأتهم لنيل النبوة عن جدارة واستحقاق وأزاحت اللثام عن أصناف المآسي والعقوبات التي تعرّضوا لها من أقوامهم وكان بالمقابل العقاب الرباني الذي تعرضوا لها كقوم نوح وهود ولوط إلى غير ذلك.

كما أطلعنا الكتاب على بعض من عادات أهل الكتاب ومعتقداتهم.

– وبالإضافة إلى كون ابن كثير مفسّرًا فهو أيضا مؤرخ وكثيرا ما استشهد بآراء وأقوال أهل التاريخ والسير ليدعم آرائه وأفكاره ففي معرض حديثه عن سيدنا أيوب يقول:"وقد ذكر

[1]– ابن كثير المصدر السابق، ص: 62.

[2]– ابن كثير، المصدر نفسه، ص: 44.

ابن جرير وغيره من علماء التاريخ أن أيوب عليه السلام لما توفيّ كان عمره ثلاثًا وتسعين سنة وقيل إنه عاش أكثر من ذلك. وقد روى ليث عن مجاهد ما معناه أن الله يحتج يوم القيامة بسليمان عليه السلام على الأغنياء، وبيوسف عليه السلام على الأرقاء وبأيوب عليه السلام على أهل البلاء[1] وفي حديثه عن سيدنا إبراهيم "وذكر بعض أهل التواريخ أن فرعون مصر كان أخًا للضّحاك الملك المشهور بالظلم، وكان عاملاً لأخيه على مصر ويقال كان اسمه سنان بن عَلْوَان بن عُبَيْد بنُ عوَيج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح[2].

من جهة أخرى يطلعنا الكتاب على بعض المعتقدات التي كانت سائدة زمن ابن كثير والتي ربما حاول ولو بطريقة غير مباشرة أن ينبّهنا إلى خطورة البعض منها كالسحر والكهانة والتنجيم.

كما أنه لا يعتد ولا ينفرد برأيه بل إنه في كثير من الأحايين يلجأ إلى رأي أغلب المفسرين كالطبري ففي حديثه عن عيسى يقول:"وذكر ابن جرير في تاريخه أنه أنزل عليه وهو ابن ثلاثين سنة ومكث حتى رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة"[3].

وفي حديثه عن النبي شمويل "قال أكثر المفسرين هؤلاء القوم المذكورين في هذه القصة هو سمويل، وقيل شمعون، وقيل هما واحد، وقيل يوشع"4.

–ولجوء ابن كثير إلى الإسرائيليات ليس بالجديد بل أن معظم المفسرين الذين سبقوه أو عاصروه لجأوا إليها ولكن يتفاوت بين مكثر منها آخذ بالغث والسمين وبين مقلّل لها معلّق على أغلبها، وقد بذل ابن كثير جهدًا كبيرًا في إبعاد الإسرائيليات والموضوعات والأساطير الخرافية والقصص الشعبية التي دخلت عند المؤرخين المسلمين في قصص الأنبياء فما كان موافقا للدين أقرّ به وما خالفه أنكره وبهذا فكتاب قصص الأنبياء لابن كثير يكون قد وقف على أبرز المحطّات التاريخية للأمم السابقة من خلال الكتب السماوية كما أوضحها القرآن الكريم، وشرحتها السنة النبوية المطهّرة. كثير يكون قد وقف

[1]– ابن كثير، المصدر السابق، ص: 179.

[2]– ابن كثير، المصدر نفسه، ص: 103.

[3]– ابن كثير، المصدر نفسه، ص: 383.

[4]– ابن كثير، المصدر نفسه، ص: 307.

على أبرز المحطّات التاريخية للأمم السابقة من خلال الكتب السماوية كما أوضحها القرآن الكريم، وشرحتها السنة النبوية المطهّرة.

3- القيمة الفنية:

إن لفظة الفن تطلق عادة على "الحذق أو المهارة التي يبلغ بها المرء مقصده بعد تدبر وتمعن[1] كما أنها تشمل كل عمل سام مبتكر للجمال في الصور والأصوات والحركات والأقوال وتطلق على ابتكار الأشياء التي تثير اللذة والسرور في النفس، وتشتمل على كل الإبداعات التي تفجرها قرائح الفنانين[2].

أما الفن في الأدب فهو "جودة العرض وحسن السبك وجمال الأسلوب وقوة العاطفة ونشاط الخيال[3].

لقد كانت لغة ابن كثير في كتابه لغة قرآنية مباشرة بسيطة تساعد الفهم مستعينًا بأسلوب سهل ميسّر في نظر العامة والخاصة على حدّ سواء وقد اعتمد- تقريبًا- نفس المنهج الذي سلكه في تفسير القرآن الكريم عند تطرقه لقصص الأنبياء

1)-حيث اعتمد ابن كثير القرآن كمصدر أول في دراسته ما وجد إلى ذلك سبيلا.

2)-كان ابن كثير يقلل من ذكر الأحاديث الضعيفة ويناقش ويبين ضعفها في كثير من المواضع.

3)-كان يختصر في ذكر الأسانيد ويكتفي بذكر مصادرها وأسماء من رويث عنهم كعلي وابن مسعود وابن عباس والسدي وغيرهم.

4)-الاستناد إلى لغة العرب وأشعارهم.

5)-كان ابن كثير يقلل من ذكر الإسرائيليات ويتعقبها في الغالب ويبين ضعفها وتوهينها وقد سبق أن تطرقنا إلى هذه النقطة سابقًا ولا داعي لتكرارها.

---

[1]- عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1972، ص: 10.

[2]- صلاح عبد الفتاح الخالدي، المرجع السابق، ص: 269.

[3]- صلاح عبد الفتاح الخالدي، المرجع نفسه، ص: 79.

1-اعتماده على القرآن كمصدر أول:

لقد لجأ ابن كثير إلى شرح قصص الأنبياء إلى القرآن إذ أن أحسن الطرق وأصحها في التفسير أن يفسّر القرآن بالقرآن أولا ما وجد إلى ذلك سبيلا ومعلوم بالبداهة أن قائل الكلام هو أدرى بمعانيه وأهدافه ومقاصده من غيره، كيف لا والمتكلم في القرآن هو الله جلّ وعلى الذي أحاط بكل شيء علمًا وأحصى كل شيء عددًا ففي حديثه عن سيّدنا آدم ذكر الآية ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أعلم بما يريد أن يخلق من آدم وذريته الذين يخلف بعضهم بعضا كما قال:﴿ وَهُوَ الّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ﴾ (الأنعام: 165)[1].

وقوله عن آدم: "قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى واسْتَكْبَرَ﴾ .(البقرة: 34) هذا إكرام عظيم من الله تعالى لآدم حين خلقه بيده ونفخ فيه من روحه كما قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر: 29)[2]. فالآيتين كما ترى يصبّان في الموضوع ذاته وقد تحدث عن آدم واستشهد بما جاء في القرآن ومصداق هذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اِتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهَا رِجَالاً كَثِيًرا وَنِسَاءًا﴾[3].

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ﴾[4].

---

[1]- ابن كثير، قصص الأنبياء، ص: 8.

[2]- ابن كثير، المصدر نفسه، ص: 9.

[3]- من سورة النساء، الآية 01.

[4]- من سورة الأعراف، الآية 189.

2- الاستشهاد بالأحاديث الصحيحة والتعليق على الضعيفة:

تعتبر السنة النبوية بيانًا وإيضاحًا للقرآن الكريم إضافة إلى استقلالها ببيان بعض الأحكام والتشريع قال تعالى:﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

وقال تعالى:﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُنِ لِلخَائِنِينَ خَصِيمَا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن منزلة السنة من القرآن هي التفسير والإيضاح والبيان ولولا بيانه ﷺ ما استطاعت الأمة أن تفهم كثيرا من أحكام الدين كأحكام الصلاة والزكاة والحج ونحوها.

ونظرا لما للسنة النبوية المطهرة من أهمية في تفسير القرآن، ولما اشتملت عليه من إيضاح وتفسير وبيان لآيات التنزيل فقد سار ابن كثير على اعتبارها المصدر الثاني للتفسير كما هي طريقة السلف الصحيح من الصحابة وتابعيهم ومن جاء بعدهم من مفسري السلف. وكثير هي الأحاديث التي استشهد بها ابن كثير في شرحه لقصص الأنبياء الصحيحة منها والضعيفة بنسبة أقل معلقا على ضعفها في كثير من الأحيان فعندما أخذ يسرد قصة آدم ولجوء الناس يوم القيامة إليه من أجل أن يشفع لهم ويذكر الحديث "...وذكر البخاري هنا ما رواه هو ومسلم من طريق سعيد وهشام عن قتادة عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: "يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو "سْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيءٍ وَذَكَرَ تَمَامَ الحديث[4].

---

[1]- من سورة النحل، الآية 44.

[2]- من سورة النساء، الآية 105.

[3]- من سورة النحل، الآية 64.

[4]- ابن كثير، المصدر السابق، ص: 9.

ولما بيّن لنا المادة التي خلق منها كل من آدم والملائكة وإبليس ساق الحديث"...وكما قد روينا في صحيح مسلم عن عائشة عن رسول الله ﷺ قال: ﴿خُلِقَتْ المَلاَئِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ من نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ﴾[1].

وفي تبيان حقيقة إبليس: "وقال ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصّحابة وسعيد بن المسيّب وآخرون كان إبليس رئيس الملائكة بالسماء الدنيا. قال ابن عباس وكان اسمه عزازيل، وفي رواية عنه: الحارث. قال النقاش وكنيته "أبو كردوس" قال ابن عباس: وكان من حي من الملائكة يقال لهم الجن، وكانوا خزّان الجنان، وكان من أشرفهم ومن أكثرهم علمًا وعبادة وكان من أولي الأجنحة الأربعة فمسخه الله شيطانًا رجيمًا[2].

وكثيرا ما أورد الأحاديث الضعيفة والغريبة فيعقبها بالتعليق على ضعفها ومن أمثلة ذلك في الحديث عن آدم: "وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين بن إسكابِ، حدّثنا علي بن عاصم، عن سعيد بن أبي عُرُوبَةَ عن قَتَادَة، عن الحسن، عن أُبَيّ بن كَعْب، قال: قال رسول الله ﷺ: "قَالَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: أَرَأَيْتَ يَا رَبِّ إِنْ تُبْتُ وَرَجَعْتُ أَعَائِدِي إِلَى الجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ فذلك قوله: ﴿فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة: 37) وهذا غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع.

وفي معرض حديثه عن سيدنا سليمان عليه السلام ذكر أن أحد أبوي بلقيس كان من الجن "وقد روى الثعلبي من طريق سعيد بن بشر عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نُهيك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال أنه: "كان أحد أَبَوَيْ بلقيس جِنّيًا، وهذا حديث غريب وفي سنده ضعف[3].

---

[1]– ابن كثير، قصص الأنبياء، ص: 11.

[2]– ابن كثير، المصدر نفسه، ص: 11.

[3]– ابن كثير، المصدر نفسه، ص: 323.

3)-اختصاره في ذكر الأسانيد والاكتفاء بذكر مصادرها وأسماء من رويت عنهم

كثير هي المرات التي اختصر فيها ابن كثير في ذكر الأسانيد فكان يكتفي بذكر المصادر وأسماء من رويت عنهم كالسهلي والسدي وابن مسعود وابن إسحاق ومن أمثلة ذلك:

"قال السّهيلي: واسم امرأة لوط والهة واسم امرأة نوح والغة"[1].

وفي حديثه عن سيدنا شعيب "قال السّدّي في تفسيره عن الصّحابة ﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون﴾ (الأعراف: 86) أنهم كانوا يأخذون العشور من أموال المارة[2].

وعندما تحدث عن يوسف وجماله "قال ابن مسعود: وكان وجه يوسف مثل البرق، وكان إذا أتته امرأة لحاجة غطى وجهه[3].

وقوله "قال ابن إسحاق وغيره: لما كان التفريط منهم في بنيامين مترتبا على صنيعهم في يوسف قال لهم ما قال"[4].

ولما تحدث عن سيدنا موسى ذكر اسم أمّه" قال السّهيلي: واسم أم موسى أيارُكا وقيل: أبا ذخت[5].

4)-الاستناد إلى لغة العرب وأشعارهم:

لقد كانت لغة العرب مصدرًا مهمًا بعد القرآن والحديث في تفسير القرآن وقد لجأ إليها المفسرون لإبعاد ما غمض وأشكل عليهم وابن كثير كثيرا ما استشهد في قصصه بلغة العرب وأشعارهم للتعزيز والدعم والأمثلة على ذلك كثيرة ولعل من أهمها حين ذكر

---

[1]- ابن كثير، المصدر السابق، ص: 133.

[2]- نفسه، ص: 138.

[3]- نفسه، ص: 159.

[4]- نفسه، ص: 168.

[5]- نفسه، ص: 196.

سيدنا زكريا ﴿واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مريم: 4) استعارة من اشتعال النار في الحطب أي غلب على سواد الشعر شيبه كما قال ابن دريد في مقصورته: (من الرجز)

أما ترى رَأْسِي حَاكَى لَوْنَهُ ۞ طُرَّةَ صُبْحٍ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَا

واشْتَعَلَ المُبْيَضُّ فِي مُسْوَدِّهِ ۞ مِثْلَ اشْتِعَالِ النَّارِ فِي جَمْرِ الغَضَا[1]

وقد تحدث عن خليل الله إبراهيم فقال:"ولهذا اتخذه الله خليلاً والخلّة هي غاية المحبّة، كما قال بعضهم (من الخفيف)

قد تخلّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي ۞ وبِذَا سُمِّيَ الخَلِيلُ خَلِيلاَ[2]

ولما مات هابيل حزن سيدنا آدم على ابنه حزنا شديدا وأنشد في ذلك شعرا "وذكر أهل التواريخ والسير أن آدم حزن على ابنه هابيل حزنا شديدا، وأنه قال في ذلك شعرًا وهو قوله فيما ذكره ابن جرير عن ابن حميد (من الكامل).

تغيّرت البلاد ومن عليها ۞ فوجه الأرضُ مُغْبَرٌّ قَبِيحٌ

تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي لَوْنٍ وَطَعْمٍ ۞ وَقَلَّ بَشَاشَةُ الوَجْهِ المَلِيحِ[3]

لقد ذكر ابن كثير أن سيّدنا الخضر لم يسبق وأن اجتمع بالرسول ﷺ "والمعلوم أن الخضر لم ينقل بسند صحيح ولا حسن تسكن النفس إليه أنه اجتمع برسول الله ﷺ في يوم واحد، ولم يشهد معه قتالا في مشهد من المشاهد، وهذا يوم بدر يقول الصادق المصدوق فيما دعا به لربه عزّ وجلّ واستنصره واستفتحه على من كفّره: "اللّهمّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِه العِصَابَةُ لاَ تُعبَدْ بَعْدَهَا في الأَرْضِ وَتِلْكَ العِصَابَةُ كَانَ تَحْتَهَا سَادَةُ المُسْلِمينَ يَوْمَئِذٍ وَسَادَةِ المَلاَئِكَةِ حَتَّى جبريل عليه السّلام كما قال حسّان بن ثابت في قصيدة له في بيت يقال إنه أفخر بيت قالته العرب: (من الكامل)

---

[1]– ابن كثير، المصدر السابق، ص: 353.

[2]– المصدر نفسه، ص: 120.

[3]– نفسه، ص: 35.

وَثَبِيرُ بَدْرٍ إِذْ يُرَدُّ وُجُوهَهُمْ ۞ جِبْرِيلُ تَحْتَ لِوَائِنَا وَمُحَمَّدُ[1]

كما تحدّث عن قارون "وقصّة قارون هذه قد تكون قبل خروجهم من مصر لقوله ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾ فإن الدار ظاهرة في البنيان، وقد تكون بعد ذلك في التيه وتكون الدار عبارة عن المحلّة التي تضرب فيها الخيام كما قال عنترة (من الكامل):

يَا دَارَ عَبْلَةَ بالجَوَاءِ تَكَلّمِي ۞ وعِمي صَباحًا دَارَ عَبْلَة وَاسْلَمِي[2]

منهج القصص القرآني:

هذا عن منهج ابن كثير في كتابه قصص الأنبياء أما المنهج القصصي في القرآن فهو "نموذج في التكامل والانسجام، وإذا كان الباحثون في الأدب والعلم يتخيرون مناهجهم اليوم فللقرآن الفضل في إنارة السبيل لهم بفضل أسلوبه ومنهجه المحكم البناء[3].

وإذا كانت غاية منهج القصص القرآني هداية الخلق، وإرساء دعامة التوحيد في الأرض، فهذا لا يعني أنه يتبع اللغة الجافة والنظريات المجردة، وإنما يصوغ العقيدة في قالب جمالي تميز به أسلوب القرآن ككل، ولم يقتصر على أسلوب القصص فقط ولما كانت القصة تستهوي النفوس البشرية لما بها من عناصر التشويق وأساليب الاستمالة اعتمدها المنهج القرآني، فالتقى الغرض الديني بالغرض الفني لأن القصة صورة من صور البيان العربي، ووسيلة من وسائل نشر الدعوة، فضلا أن لكل قصة شخصية مميزة متفردة يعيش معها المتلقي كما لو كان يعيش عصرها ويشارك الأحداث والحوار والصراع...ففي القصة القرآنية ثروة من الحقائق والمعارف وثروة من التصورات والتوجيهات والعلوم[4].

---

[1]– ابن كثير، قصص الأنبياء، ص: 298.

[2]– ابن كثير، المصدر نفسه، ص: 271.

[3]– محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية مون للطباعة والتجليد، ط1، 2001، ص: 15.

[4]– محمد الدالي، المرجع نفسه، ص: 18.

ملامح التصوير في القصة:

تسعى القصة في القرآن إلى تحقيق الغرض الذي لأجله سيقت وفي سبيله جرت أحداثها، ولعل هذا ما جعل بعض الأدباء يعتبرها أول قصة ملتزمة في الأدب العربي[1] وذلك بما حوله من دعوة إلى التوحيد ومكارم الأخلاق ونهي عن الضلال وحث على التدبر والاعتبار إذ قال سبحانه وتعالى:﴿فَاقْصُصْ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]. ومنه يكون "المحور الذي تدور حوله القصة أو تستند إليه سائر عناصرها هو المقصد أو الهدف، وليس الأبطال أو الشخوص أو الأحداث أو الأزمنة أو الأماكن مقصودة لذاتها، وإنما الفن في العبرة، حيث تكون، تتضافر عناصر القصة في تسلسل محكم وتناسق بديع لتجسيد هذه العبرة[3].

ولعل الأسلوب التصويري الذي سردت به هذه القصص، هو السبب في إطلاق القرآن هذه التسمية، ذلك لأنه لم يقدمها كما تقدم الأخبار المجردة من التصوير الفني، والإثارة النفسية، ولم يسمها حكايات لأنه لم يسردها كما تسردها الحكايات التاريخية في كتب التاريخ مجردة مما يأخذ الأسماع والقلوب من غوص على مكامن الشعور، وتشخيص للحادثة، وتنسيق في العرض وإيقاع في الموسيقى اللفظية[4].

والواقع أنه الأسلوب الذي يجعل القصة الماضية حاضرة أمام الأعين بفضل طريقة الرواية التي تؤدي ذلك دائما، بأنك تسمع أخبارا قد ذهب أشخاصها في التاريخ وانتهى دورهم في الحياة وأنها في هذا العرض إنما هي في بعث جديد قد تسعى إليك أو أنك في رحلة زمنية عبر القرون الماضية إليها... فهي غائبة حاضرة معا تحدثك بلسانها وتسمعك قولها[5].

---

[1]– نقرة التهامي، المرجع السابق، ص: 85.

[2]– من سورة الأعراف، الآية 176.

[3]– محمد الدالي، المرجع السابق، ص: 119.

[4]– نقرة التهامي، المرجع نفسه، ص: 86.

[5]– عبد الكريم الخطيب القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة للطباعة والنشر ،بيروت لبنان،د.ط، د. ت، ص: 80.

ومعنى هذا، أن ظلال التصوير الفني تنعكس على مقومات القصة في القرآن الكريم، والأحداث في بعث جديد تتدفق بالحياة والأشخاص يروحون ويجيئون، يحزنون ويفرحون ويغضبون، ويتحاورون، فتجد نفسك مشدودة إلى هذه المشاهد، التي تستشعر آثارها تسري داخلك، لأنك على يقين أنها أحداث ووقائع تسرد من قبل خبير بكل شيء، وسع علمه حدود الزمان والمكان، فهي قصص الحق واليقين الذي لا يعتريه شك[1].

ثم هي، ومع ذلك، قصص تنضح بالفن والجمال بفضل أسلوبها التصويري الساحر. والقرآن حين يعرض قصص الأنبياء وغيرهم تراه "يأخذ مواد القصص من أحداث التاريخ ووقائعه لكنه يعرضها عرضًا أدبيا، ويسوقها سوقا عاطفيا، يبين المعاني، ويؤيّد الأغراض، ويؤثر بها التأثير الذي يجعل وقعها على الأنفس وقعا استهوائيا يستثير منها العاطفة والوجدان، ويخرج بها من الدائرة التاريخية إلى الدائرة الدينية، ومن هذا الاتجاه الذي يقصده القرآن لا يصح حينئذ أن يؤخذ عليه أنه لا يتناول القصة من جميع أطرافها، وأنه لا يتسلسل في إيراد حدوثها مرتبة منظمة، وأنه يصعب فهم القصة من القرآن على من لم يطلع عليها من مصدر آخر ذلك أن القرآن يأخذ من القصة ما يحقق أهدافه من التهذيب والوعظ، فحين يقص القصة كلها محبوكة الأطراف موصولة الأجزاء مرتبطا بعضها ببعض في تسلسل واتساق يسلمك السابق منها إلى لاحقه حتى تصل إلى خاتمتها...كما نراه في سورة يوسف وفي معظم الأحيان يأخذ من القصة بعضها لأن هذا البعض ما يحقق الهدف، وقد يلمح القرآن ويشير إلى القصة تلميحًا يستغني به عن الإطالة، اعتمادًا على أن القصة معروفة مشهورة، أرأيت الخطيب حين يستشهد بقصة من القصص أتراه يعمد إلى القصة كلها فيسردها؟ أم أنه يعمد أحيانًا إلى جزء من القصة يورده في خطبته، وأحيانًا يكتفي بالإيماء إلى القصة والإشارة إليها من غير أن يكون في مثل هذا العرض نقص في الخطبة واعتراض على الخطيب[2].

ويرى بكري شيخ أمين أن "القصة في القرآن ليست عملاً فنيا مستقلاّ وطريقة عرضه وسير حوادثه –كما هو الحال في القصص الفني– إنما القصة فيه وسيلة من

---

[1]– عبد الكريم الخطيب، المرجع السابق، ص: 80– 81.

[2]– عفيف عبد الفتاح طبّارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم، ط11، 1982 دار العلم للملايين، ص: 25.

الوسائل الكثيرة التي استخدمها لغرضه الأصيل وهو التشريع وبناء الفرد والمجتمع، وإن القصة التي ترد فيه لا تختلف في غايتها عن المثل الذي يضربه الله للناس[1].

وليس من شك، في أنه محق بخصوص إسهام القصة القرآنية في إصلاح الفرد والمجتمع-لأنها غايتها- لكن هذا لا ينفي أن تكون قصة فنية ذات منهج وأسس، وفي الوقت ذاته بعيدة كل البعد عن الأسطورة والرمز، قصة ذات حبكة معجزة[2] ذلك يعني أن الأداء الفني للقصص القرآني لا ينفي عنه هدفه الديني "وليس كل من يحاول إثبات الملامح الفنية للقصة القرآنية، يريد أن يشكك في كون القرآن كتاب تشريع، وليس كلّ إثبات لفنيته القصة القرآنية يعني أن القرآن كتاب فن قصصي كله أو في بعضه"[3].

ومن هنا كانت القصة القرآنية أكثر الوثائق صدقا وواقعية وأسمى القصص على الإطلاق لما حوته من قيم الإيمان والخلق القويم، وألوان الإبداع في كل نواحيه، في نظام الخلق، والإبداع الفني الذي يتلاشى أمامه كل فن، فكان بحق، المنهج الرائع للقصة الفنية، حيث الصدق الواقعي، والصدق الفني، وذلك ابتغاء تحريك القلب وإيقاظ مدارك العقل، "لينهض كل بعلمه وليسهم كل منهما في تحقيق إنسانية الإنسان ثم إقامته على صعيد من العبودية التامة لله عز وجل[4].

إن القصة القرآنية تسعى جاهدة لتحقيق القيم والمبادئ الإنسانية التي تقرّبه من الله عز وجل وتجعله يخضع له في خلوته وفي الجماعة.

---

[1]- أمين بكري شيخ، التعبير الفني في القرآن الكريم دار العلم للملايين، ط1، 1994، ط6، 2001، ص: 217.

[2]- خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآنية،منهجها وأسس بنائها- دار الشهاب للطباعة والنشر باتنة، د.ط، د.ت، ص:128- 129.

[3]- خالد أحمد أبو جندي، المرجع نفسه، ص: 134.

[4]- محمد سعيد رمضان البوطي من الفكر والقلب، فصول في العلوم والاجتماع والأدب- دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع د.ط، د. ت.

- الفرق بين القرآن والتوراة في قصص الأنبياء:

لم يسلك القرآن مسلك التوراة فلم يقص أخبار الأنبياء والمرسلين كما قصت هي، وإنما اختار بعضهم ليقص قصصهم وأعرض عن الباقي، قال الله تعالى مخاطبا رسوله محمدًا: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾.

وهو حين اختار بعض هؤلاء الرسل لم يعمد إلى أخبار هؤلاء جميعا وإنما اختار من هذه الأخبار ما يتفق وحالة الدعوة الإسلامية وموقف النبي من قومه، ومن هنا لم يكن فيه ذلك التفضيل الموجود في التوراة، ثم إن القرآن الكريم لم يعمد إلى الزمن فيجعله العامل الأساسي في ترتيب هذه القصص كما في التوراة، إن كل هذا إنما يدل على الفارق الأكبر بين قصص القرآن وبين قصص التوراة، فالتوراة قصدت إلى التاريخ، أما القرآن فلم يقصد إلاّ إلى العظة والعبرة، وإلى البشارة والإنذار، وإلى الهداية والإرشاد، وإلى شرح مبادئ الدعوة الإسلامية والرد على المعارضة وإلى تثبيت قلب النبي ﷺ ومن اتبعه[1].

[1]- عفيف عبد الفتاح طبّارة، المرجع السابق، ص: 27.

الخاتمة

في ضوء استقرائي لمباحث فصول بابي البحث توصلت إلى رصد النتائج التالية:

1–أن الديانات السماوية وإن اختلفت مسمياتها واختلفت معتقداتها إلا أنها تقوم جميعها من آدم إلى مبعث محمد ﷺ على أساس واحد هو الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى والأخذ بما جاء عنه من تعاليم تقود الإنسانية إلى طريق الخير والرشاد.

وبالجملة نرى اسم الإسلام شعارًا عامًا يدور في القرآن على ألسنة الأنبياء وأتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصر النبوة المحمدية، ثم نرى القرآن يجمع هذه القضايا كلها في قضية واحدة يوجهها إلى قوم محمد ﷺ، ويبين لهم فيها أنه لم يشرع لهم دينًا جديدًا، وإنما هو دين الأنبياء الذين سبقوا محمدًا عليه الصلاة والسلام ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيم وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى/ 13)

فالقرآن على وفاق مع الكتب السماوية الأخرى في الدعوة إلى التوحيد وأصول الأخلاق والآداب وما يتعلق بصالح البشرية، والقرآن يخبرنا أن كل رسول أرسل وكل كتاب أنزل قد جاء مصدّقا ومؤكّدًا لما قبله: فالإنجيل مصدق ومؤيّد للتوراة، والقرآن مصدّق ومؤيّد للإنجيل والتوراة ولكل ما بين يديه من الكتب قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى بَنْ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة/ 46).

وأصول العقيدة تتفق حولها جميع الكتب السماوية، وتدعو إليها–على سواء–جميع الرسالات من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ مصداق هذا قول الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى/ 13).

أما جانب الأحكام والتشريعات العملية، فهو الجانب الذي يطرأ عليه التبديل أو التعديل، والقرآن –باعتباره آخر الكتب السماوية– جاء يؤكد الجانب العقدي في الكتب السابقة، ويقرر أو يبدل أو يعدّل الجانب التشريعي والعملي فيها يشهد لذلك قوله تعالى

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة/ 48)

هكذا كانت الشرائع السماوية خطوات متصاعدة، ولبنات متراكبة في بنيان الدين والأخلاق وسياسة المجتمع، وكانت مهمة اللبنة الأخيرة منها، أنها أكملت البنيان وملأت ما كان فيه من فراغ، وأنها في الوقت نفسه كانت بمثابة حجر الزاوية الذي يمسك أركان البناء، وصدق رسول الله ﷺ حين صوّر الرسالات السماوية في جملتها أحسن تصوير بقوله "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجْملَه إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلاّ وُضعت هذه اللبنة قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري- كتاب بدء الخلق باب ختم النبيين4: 225- 226.

2- أن المعتقدات الشعبية ليست حكرًا على شعب من الشعوب أو ديانة من الديانات وإنما هي راسخة لدى العام والخاص، المثقف والأمي، فمفاهيمٌ بمثل السحر، العين، الحسد، الطيرة، التفاؤل والتشاؤم والتنجيم، الكهانة عرفتها كل الشعوب وأغدقت الأموال من أجل الحيطة منها ومحاولة سبر أغوارها فالسحر على سبيل المثال قديم، قدم الوجود وقد عرفته معظم الشعوب كالكلدانيين واليهود والمصريين الذين سيطرت عليهم عقيدة السحر فكانوا يستعينون به في شؤونهم الدينية والدنيوية معًا، كما كانوا يستعينون به في مختلف صوره التي عرفها العالم القديم أو المتداول منها ابتداء من التعاويذ والطلاسم والتعزيم وكتابة الأحجبة بأنواعها والرقى وسحر التمائم كما ربطوا بين الفلك والسحر والتنجيم وقراءة الطالع والبروج السماوية وقراءة الكف الخ...

3-لعل ابن كثير أراد أن ينبهنا إلى خطورة بعض المعتقدات الموجودة في كل زمان ومكان فعلى الرغم من أنه لم يصرح ذلك مباشرة إلا أننا نظن أنه حاول بطريقة أو بأخرى أن يعرّي عن تلك المعتقدات الراسخة في عقول وأفئدة الكثير من الناس على مختلف مستوياتهم وعلى تباين انتماءاتهم على أمل إيجاد حلول ناجحة لها فهؤلاء الدجالين أو المنجمين أو المشعوذين قد تلاعبوا بعقول الناس وما زالوا إلى وقتنا هذا إذ يشكلون خطرًا

حقيقيا على الأفراد والمجتمعات نظرا لما ينشرونه من الفتنة والضلال والبعد عن الله من خلال الشرك به وكل هذا مردّه إلى جهل قاصديه وطمع ممارسيه.

4–إن الإسرائيليات التي استند إليها ابن كثير هي من النوع الذي لا يتعارض مع ما جاء في القرآن والسنة وأنه في كثير من الأحيان حاول التعقيب عليها فقد ذكر في مطلع كتابه البداية والنهاية– باعتبار قصص الأنبياء– فصل منه أنه لم يأخذ من الإسرائيليات إلا ما سمح به الشرع وما لم يخالف القرآن والسنة وهو النوع الذي لا يصدق ولا يكذب وأنه استعان بها على سبيل التحلي بها لا من أجل الحاجة إليها والارتكاز عليها وقد استشهدنا من قبل بالإسرائيليات التي ذكرها وعقب عليها مستخدمًا ألفاظًا وعبارات تفيد أنه استهجنها ولم يوافق عليها مثل: "وهو من الإسرائيليات"، "آثار فيها مجازفات كثيرة باطلة" إلى غير ذلك وقد سبق لنا أن تحدثنا عن هذا الموضوع في أحد الفصول السابقة فلا داعي لتكرار ذلك، كما أن ابن كثير ليس الوحيد الذي استعان بالإسرائيليات بل أن العديد ممن سبقه وممن عاصره وكذا من جاء بعده بين مكثر ومقلّل.

وإن كان –في الحقيقة– لهذه الإسرائيليات التي أخذها المفسرون عن أهل الكتاب وغيرهم وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثر سيء في التفسير، جعل الناظر في كتب التفسير يكاد لا يقبل شيئا لاعتقاده أن الكل من باب واحد، وبهذا دخل الشك في كثير من الأخبار الصحيحة كما أفقدت كثيرا من كتب التفسير قيمتها و فتحت لأعداء الإسلام من المبشرين والمستشرقين وغيرهم منفذًا ينفذون منه إلى الطعن في الإسلام وتشويه سمعته ووسمه بِمَيْسَمِ الجهل والخرافات.

5–جاء كتاب قصص الأنبياء زاخرًا بالمظاهر الشعبية مجسّدة في المعتقدات وهي تعكس جانبا من الحياة الاجتماعية زمن ابن كثير كالاعتقاد في الجن وفي الشيطان وفي قدرتهما.

اللجوء إلى السحر والشعوذة من أجل إيجاد حلول لمشاكلهم الاجتماعية التي يعيشونها، الاستنجاد بالمنجمين والكهان، الاعتقاد في الطيرة والعين إعطاءهم العدد سبعة قيمة قدسية على غيره من الأعداد الأخرى، كذلك إعطاءهم تأويلات وتفسيرات للرؤى والأحلام

التي يرونها هذه المعتقدات قد وقع فيها التداخل عند عامة الناس بينها وبين أمور وأفكار مبتدعة، ارتبطت بهذه الأمور الدينية حتى أصبحت عند عامة الناس من الثوابت التي لا يمكن مسّها مع أنها معتقدات واهية معتقدات دينية لا أصل لها، وأفكار ارتبطت وموروست باسم الدين إمّا عن جهالة أو كوسيلة اتخذها أصحابها لتحقيق مآرب ومصالح لهم في الحياة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم (رواية حفص)

أ- المراجع العربية:

1. إبراهيم بدران، سلوى الخماش دراسات في العقلية العربية 1-الغرافة، ط2، دار الحقيقة بيروت 1979.
2. إبراهيم لوقا المسيحية في الإسلام، ط5 سويسرا 1995.
3. الأبشهي المستطرف في كل فن مستطرف المكتب العالمي للبحوث دار مكتبة الحياة بيروت لبنان ج2. د.ط، د.ت.
4. البغوي، الحسن بن مسعود بن محمد بن الفراء، التهذيب في فقه الإمام الشافعي تحقيق عادل أحمد عبد الجواب وعلي محمد معوض ج5 دار الكتب العلمية بيروت ط1 1997.
5. ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج1، القاهرة مطبعة المدني.د.ت د.ط
6. ابن تيمية، الرسالة الصدفية دار ابن حزم ط1، 2004.
7. ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان دار ابن حزم، ط1 1999.
8. ابن تيمية، النبوات علق عليها محمد بن رياض الحمد السلفي الأثري المكتبة العصرية صيدا بيروت، د.ط، 2004.
9. ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب ج5، دار الفكر، د.ط، 1984.
10. فتح الباري بشرح صحيح البخاري المجلد العاشر المكتب الجامعي الحديث الأزاريطة الاسكندرية. د.ت د.ط
11. السحر والكهانة والحسد مكتبة التراث الإسلامي.د.ت د.ط.
12. ابن حزم الظاهري الفصل في الملل والنحل والأهواء والنحل ج2، د.ط، د.ت.
13. ابن خلدون المقدمة مكتبة المدرسة ودار الكتب اللبناني بيروت، ط2 1979.
14. ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج2 تحقيق إحسان عباس دار الثقافة بيروت، د.ط، د.ت.
15. ابن رشيق العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج2، د.ط، د.ت.
16. ابن سيرين تفسير الأحلام اعتنى به صالح عثمان عبد الحميد اللحام دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، ط1 2003.
17. ابن فارس معجم المقاييس في اللغة دار الفكر بيروت، ط1 1994.
18. ابن قيم الجوزي، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان دار المعرفة بيروت ج1، د.ط، د.ت.

19. ابن قيم الجوزي، زاد الميعاد في هدى خير العباد بيروت دار الكتاب العربي 1971، ج3 المجلد 2، د.ط، 1971.
20. ابن قيم الجوزي، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى بيروت دار الكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون 2001.
21. ابن الأثير أسد الغابة في معرفة الصحابة المطبعة الوهبية القاهرة، 1280هـ ج3.
22. أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم الجامع الصحيح المسمى بصحيح مسلم دار المعرفة بيروت.
23. أبو جرة سلطاني بروتوكولات خبثاء صهيون مكتبة الزهراء الجزائر، ط1 1990.
24. أبو حيان البحر المحيط المجلد 1 مطبعة السعادة 1328هـ.
25. أبو حامد الغزالي إحياء علوم الدين دار الكتاب العربي لبنان المجلد1 ج2، د.ط، د.ت.
26. أبو زكريا يحي بن شرف رياض الصالحين دار ابن باديس الجزائر ط 13 1991.
27. أبو عبد الباري عبد الحميد العربي المرشد الأمين في كيفية العلاج من العين دار الإمام مالك، قسنطينة، د.ط، 1999.
28. أبو محمد بن عبد الملك ابن هشام السيرة النبوية المعروفة بسيرة ابن هشام ط2 المكتبة العصرية صيدا بيروت 1999 م.
29. أبو المنذر خليل بن إبراهيم أمين الطرق الحسان في علاج أمراض الجان البليدة دار الإمام مالك للنشر، د.ط، 1997.
30. أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي أخبار مكة تحقيق رشدي صالح ملحس ط3 دار الأندلس بيروت 1983.
31. ابن كثير إسماعيل بن عمر القرشي، البداية والنهاية ج1 راجعه وأخرج أحاديثه شريف محمد، محمد سعيد محمد، محمد عبد العظيم، محمد تامر دار البيان العربي، د.ط، د.ت.
32. ابن كثير إسماعيل بن عمر القرشي، تفسير القرآن العظيم ج1 دار الدعوة تركيا، د.ط، د.ت.
33. ابن كثير إسماعيل بن عمر القرشي، صحيح معجزات النبي تحقيق محمد أحمد عيسى دار الرشيد، د.ط، د.ت.

34. ابن كثير إسماعيل بن عمر القرشي، قصص الأنبياء دار صبح بيروت لبنان طبعة جديدة 2003م.
35. ابن منظور لسان العرب ج3 دار صادر بيروت ط3 1994.
36. أحمد إيبش–التلمود كتاب اليهود المقدس دمشق آذار، د.ط، 2006.
37. أحمد شلبي، مقارنة الأديان–اليهودية دار العلوم جامعة القاهرة ط8 1988.
38. أحمد شلبي، مقارنة الأديان–المسيحية مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط10 1998.
39. أحمد شلبي، مقارنة الأديان–أديان الهند الكبرى ط4 القاهرة مكتبة النهضة المصرية 1976.
40. أحمد شلبي، مقارنة الأديان–الإسلام–مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط8 1989.
41. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي دار الثقافة بيروت لبنان، د.ط، د.ت.
42. أحمد عبد الجواد الدعاء المستجاب من الحديث والكتاب المدينة المنورة، د.ط، د.ت.
43. أحمد صالح رشدي الأدب الشعبي ملتزم الطبع والنشر دار المعرفة القاهرة، د.ط، 1954.
44. أحمد إسماعيل النعيمي الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام ط1 سينا للنشر القاهرة 1995.
45. أحمد عبد الوهاب المسيح في مصادر العقائد المسيحية ط1 القاهرة مكتبة وهبة 1978.
46. أحمد عمر هاشم قواعد أصول الحديث معهد الدراسات الإسلامية القاهرة، د.ط، 1990.
47. اسكندر جديد شخصية المسيح في الإنجيل والقرآن ط2 القدس نداء الرجاء 1995.
48. أمين الخولي التفسير معالم حياته منهجه اليوم دار العلمين، د.ط، د.ت.
49. أنطوني غدنز علم الاجتماع ترجمة فايز الصباغ المنظمة العربية للترجمة مؤسسة ترجمان لبنان ط4 2005.
50. البخاري صحيح البخاري دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان3، د.ط، د.ت.
51. الثبلي آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان تحقيق أيمن البحيري ط1 مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان 1995.
52. الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف المنسوب تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط1 دار المعارف القاهرة 1965.

53. الثعالبي، قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس دار الكتب العلمية بيروت لبنان، د.ط، 1994.
54. الجاحظ: الحيوان ج6 تحقيق عبد السلام هارون ط3 المجمع العربي الإسلامي دار إحياء التراث لبنان 1969.
55. الجوهري تاج اللغة وصحاح العربية ج2 دار العلم للملايين ط3 1984.
56. الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة1983.د.ط
57. الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد المفردات في غريب القرآن تحقيق محمد خليل عياني دار المعرفة بيروت، د.ط، د.ت.
58. الزبيدي تاج العروس من جواهر القاموس تحقيق علي شبيري دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، د.ط، د.ت.
59. الزركشي: البرهان في علوم القرآن ج1 القاهرة مكتبة الخانجي، د.ط، د.ت.
60. الزمخشري، أساس البلاغة ج1 تحقيق محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية بيروت ط1 1998.
61. الزمخشري، الكشاف ج2 دار إحياء التراث العربي بيروت ط1، 1997.
62. السيد الجميلي: السحر وتحضير الأرواح دار الشهاب باتنة الجزائر، د.ط، د.ت.
63. السيد سابق: العقائد الإسلامية دار الكتاب العربي بيروت لبنان، د.ط 1995.
64. السيوسي محمد عبد الواحد السكندري شرح فتح القدير ج3 دار الفكر بيروت، د.ط، د.ت.
65. الشبلي آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان تحقيق أيمن البحيري ط1 مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان 1995.
66. الفيروز آبادي، القاموس المحيط تحقيق محمد نعيم العرقاسوسي بيروت مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1998.
67. الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز المكتبة العلمية بيروت لبنان، د.ط، د.ت.
68. القرطبي، الجامع لأحام القرآن ج15 دار الكتب العربية للطباعة والنشر القاهرة 1967.
69. القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ج4 تحقيق فاروق سعدة دار الآفاق بيروت، د.ط، 1981.

70. الكلبي، الأصنام، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية القاهرة ط5، 2003.
71. الماتريدي تأويلات أهل السنة تحقيق مستضيف الرحمن بغداد مطبعة الإرشاد، د.ط، 1983.
72. المسعودي مروج الذهب دار الكتب العلمية ج2، د.ط، د.ت.
73. بسمة أحمد جستنّيه تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابه وتاريخه دار العلم دمشق سوريا ط1، 2000.
74. بغدادي بلقاسم المعجزة القرآنية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د.ط، 1992.
75. جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ج2 القاهرة 1951.
76. جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج6، ط2 العلم للملايين بيروت مكتبة النهضة بغداد 1976.
77. جميل صليبا المعجم الفلسفي ج1 دار الكتاب اللبناني، د.ط، 1978.
78. جودت السعد أوهام التاريخ اليهودي الأهلية للنشر والتوزيع عمان الأردن، ط1 1998.
79. حافظ بن أحمد الحكمي معارج القبول بيروت دار الكتب العلمية، ج2، د.ط، 1998.
80. حسن شحاتة سعفان علم الإنسان الأنثروبولوجيا منشورات مكتبة العرفان بيروت، د.ط، د.ت.
81. حسن مجيب المصري الأسطورة بين العرب والفرس والترك ط1 دار الثقافة للنشر 2000م.
82. حسن نعمة موسوعة الأديان السماوية والوضعية ط1 دار الفكر اللبناني 1994.
83. خالد أحمد أبو جندي الجانب الفني في القصة القرآنية منهجها وأسس بنائها دار الشهاب للطباعة والنشر باتنة، د.ط، د.ت.
84. خليل بن عبد القادر الشيباني للعلاج بالرقي الشرعية من السحر والحسد ومس الجن دار البدر ط1، 2005.
85. داود جرجس داود أديان العرب قبل الإسلام ط1 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د.ط، 1981.
86. داود علي الفاضلي أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم الرباط مكتبة المعارف 1973.
87. رفيق العجم موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي مكتبة لبنان ناشرون ط1 1999.

88. رولان دورون وفرنسوا زباردو موسوعة علم النفس تعريب فؤاد شاهين المجلد3 منشورات عويدات، د.ط، 1992.
89. زهير حموي الإنسان بين السحر والعين والجان دار ابن حزم ط3، 2003.
90. زين الدين أحمد عبد اللطيف الزبيدي مختصر صحيح البخاري المسمى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح المكتبة العصرية بيروت، د.ط، 2005.
91. سامي سعيد الأحمد المعتقدات الدينية في العراق القديم مطابع دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، د.ط، 1988.
92. سعد الدين صالح العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية مكتبة الصحابة جدة ومكتبة التابعين القاهرة ط2، د.ت.
93. سميح دغيم، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام ط1 دار الفكر اللبناني بيروت 1959.
94. سميح دغيم، موسوعة مصطلحات الفكر العربي والإسلامي الحديث والمعاصر ج1 مكتبة لبنان ناشرون ط1، 2000.
95. سرجي نيلوس بروتوكولات حكماء صهيون مكتبة الزهراء الجزائر، ط1 1990.
96. سلامى موسى نظرية التطور وأصل الإنسان سلامة موسى للنشر والتوزيع القاهرة 1957، ط3.
97. سليمان بن إبراهيم الراحم منهج ابن كثير في التفسير ط1، 1999 دار المسلم للنشر والتوزيع.
98. سيد قطب، حقيقة الجن في ظلال القرآن دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير القاهرة، د.ط، د.ت.
99. سيد قطب، في ظلال القرآن دار الشروق ط16، 1990.
100. شفيق معلوف عبقر ط3 منشورات العصبة الأندلسية دار الطباعة والنشر العربية 1949.
101. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري نهاية الأدب في فنون الأدب طبعة مصورة بالأوفنست عن دار الكتب المصرية القاهرة، د.ط، 1983.
102. شوقي عبد الحكيم مدخل لدراسة الفلكلور والأساطير العربية ط1 دار العودة 1982.
103. صفي الرحمن المباركفوري الرحيق المختوم الجزائر شركة الشهاب للنشر والتوزيع، د.ط، 1987.

104. صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسّرين ط3، 2008 دار العلم دمشق.
105. صلاح عبد الفتاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث1 دار القلم دمشق ط1، 1998.
106. صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب دار الشهاب الجزائر، د.ط، 1988.
107. عباس محمود العقاد إبليس منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت، د.ط، د.ت.
108. عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد دار ابن حزم ط1، 1999.
109. عبد الرحمن بن حسن الجبر في تاريخ عجائب الأخبار في التراجم والآثار 1، 6 دار الجيل بيروت. د.ت.د.ط
110. عبد الرزاق حميدة، شياطين الشعراء مكتبة الأنجلو المصرية.د.ت.د.ط
111. عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن المجلد2 دار الكتب العلمية، د.ط، 1988.
112. عبد العزيز بن عبد الله بن باز حكم السحر والكهانة طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية ط12، 2000.
113. عبد العزيز عتيق في النقد الأدبي دار النهضة العربية بيروت ط2، 1972.
114. عبد الغني زيتوني الوثنية في الأدب الجاهلي وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق، د.ط، 1987.
115. عبد الغني النابلنسي، تعظيم الأنام في تفسير الأحلام القاهرة دار إحياء الكتب العربية، د.ط، 1974.
116. عبد الغني النابلنسي، تعطير الأنام في تعبير الأنام دار الفكر للطباعة والتوزيع بيروت، د.ط، 2002.
117. عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان، د.ط، د.ت.
118. عبد الكريم زيدان، المستفاد من قصص القرآن ج1، ط1، 2002 مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، د.ط، د.ت.

119. عبد الكريم زيدان، موجز الأديان في القرآن مؤسسة الرسالة ط1، 2002.
120. عبد الملك مرتاض في الأمثال الزراعية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د.ط، 1982.
121. عبد الملك القاسم والثمن الجنة ط1 دار القاسم للنشر الرياض 1993.
122. عبد المحسن صالح الإنسان الحائر بين العلم والخرافة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ط2، 1998.
123. عبد الوهاب المسيري البروتوكولات واليهودية الصهيونية دار الشروق القاهرة ط3، 2003.
124. عثمان حشلاف التراث و التجديد في شعر السياب.جيوان المطبوعات الجامعية. د.ط،1986.
125. عفيف عبد الفتاح طبارة مع الأنبياء في القرآن الكريم دار العلم للملايين ط1، 1994، ط6، 2001.
126. عزت الدين بليق منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين، ط1 دار الفتح للطباعة والنشر بيروت 1976.
127. علي أحمد عبد العالي الطهطاوي دليل الإنسان لعلاج السحر والحسد والجان دار الكتاب العلمية، ط1 2002.
128. علي بن أبي بكر الهيثمي مجمع الزوائد، ج1 دار الريان للتراث القاهرة ودار الكتاب العربي بيروت، د.ط، 1407هـ.
129. علي بن هاديا، بلحسن البليش، الجيلاني بن الحاج يحي القاموس الجديد للطلاب، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط7 1991.
130. علي عبد الله الدفاع، نوابغ علماء العرب والمسلمين في الرياضيات مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، د.ط، 1978.
131. علي حسن محمد سليمان القصة القرآنية الخصائص والأهداف مطبعة الحسين الإسلامية القاهرة، ط1 1995.
132. علي محمد محمد الصلابي صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، ج1 دار الفجر للتراث القاهرة، د.ط، 2005.

133. عماد الدين عبد الله الشنطي اليهودية والمسيحية في الميزان، ط1 مكتبة ومطبعة دار المنارة 2004.
134. عمر سليمان الأشقر عالم الجن والشياطين مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع الكويت **409**1- 1989م_عالم السحر و الشعوذة دار النفائس. الأردن.1989.د.ط
135. عمرو يوسف حقائق مثيرة عن السحر المركز العربي للنشر والتوزيع مصر.د.ت.د.ط
136. فارس الخضر العادات الشعبية بين السحر والجن والخرافة مجلة الإذاعة والتلفزيون 2008.
137. فضل حسن عباس القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته دار الفرقان عمان، ط1 1987.
138. فوزي العنتيل، الفلكلور ما هو؟ مكتب مدبولي القاهرة دار المسيرة بيروت، د.ط، د.ت.
139. فوزية دياب القيم والعادات الاجتماعية دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، د.ط، 1980.
140. كمال الدين محمد بن موسى الدميري حياة الحيوان الكبرى دار القاموس الحديثة للطباعة والنشر مكتبة البيان بيروت ج1، د.ط، د.ت.
141. لواء أحمد عبد الوهاب الإسلام والأديان الأخرى مكتبة التراث الإسلامي، د.ط، د.ت.
142. ماحي عبد اللطيف رمزية العدد في الفكر الشعبي بين المقدس والدنيوي، د.ط، 2003-2004.
143. ماكيفر سارلز هبيرج المجتمع، ج1 ط3 ترجمة علي أحمد عيسى مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر، د.ط، د.ت.
144. مالك بن نبي ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية ترجمة عبد الصبور شاهين دار الفكر دمشق سوريا، 1986.
145. محمد أبو زهرة، المجتمع الإسلامي في ظل الإسلام دار الفكر العربي القاهرة، د.ط، د.ت.
146. محمد أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع ط1 دار الفكر العربي القاهرة، د.ط، 1999.
147. محمد أبو عمار المصري قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المكتبة التوفيقية القاهرة، د.ط، د.ت.
148. محمد أحمد الحاج النصرانية من التوحيد إلى التثليث ط1 دمشق دار القلم بيروت الدار الشامية 1992.

149. محمد أحمد الخفاجي العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة ج1 القاهرة مطبعة الأمانة، د.ط، 1979.
150. محمد أحمد العدوي دعوة الرسل إلى الله تعالى بيروت دار المعرفة للطباعة والنشر 1979.
151. محمد بن رياض الحمد السلفي الأثري، النبوات، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، طبعة 2004م
152. محمد بن محمد أبو شهبة الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير مكتبة السنة ط4، د.ت.
153. محمد الدالي الوحدة الفنية في القصة القرآنية مون للطباعة والتجليد ط1 2001.
154. مصطفى السباعي السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي دار الورّاق للنشر والتوزيع، د.ط، 1960.
155. محمد رشيد رضا تفسير المنار دار المنار ط2 1947.
156. محمد سيد طنطاوي بنو إسرائيل في الكتاب والسنة دار الشروق ط2 2000.
157. محمد سعيد رمضان البوطي من الفكر والقلب فصول في العلوم والاجتماع والأدب دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.د.ت،د.ط..
158. محمد سليم الحوت، في طريق الميثولوجيا عند العرب دار النهار للنشر بيروت، د.ط، 1983.
159. محمد حسن غامري:
- المدخل الثقافي في دراسة الشخصية المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية 1989.د.ط.
- مقدمة في الأنثروبولوجية العامة ديوان المطبوعات الجامعية 1991.د.ط.
- محمد شكري الألوسي روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج1 دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.د.ت،د.ط.
160. محمد حسين الذهبي:
- التفسير والمفسرون ج1 مصر دار الكتب الحديثة 1976.د.ط.
- الإسرائيليات في التفسير والحديث مكتبة وهبة القاهرة ط4 1990.
161. محمد عجينة موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها 2 ط1 العربية للنشر والتوزيع تونس 1994.

162. محمد عزة درورة القرآن المجيد منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت.د. ت،د.ط.
163. محمد عزت الطهطاوي الميزان في مقارنة الأديان ط2 دمشق دار القلم 2002.
164. محمد فريد وجدي دائرة المعارف العلمية بيروت لبنان ط3 1971.
165. محمد متولي الشعراوي
- معجزة القرآن دار الهدى الجزائر ط1 1998.
- خواطر حول القرآن الكريم المجلد 13.د.ت.د.ط
166. محمد محمد حسن شراب: معجم بلدان فلسطين ط2 الأهلية للنشر والتوزيع 1996.
167.محمد علي الصابوني:التبيان في علوم القرآن ط1 المجلد الأول 1985
168. محمد علي قطب كيف ترقي نفسك من العين والحسد دار المسلم للنشر والتوزيع ط1 2004.
169.مصطفى زيد دراسات في التفسيردار النشر العربي المجلد الأول .ط1998،1
170. مصطفى عاشور عالم الجن أسراره وخفاياه مكتبة رحاب الجزائر.د.ت،د.ط.
171. مصطفى محمد عمارة جواهر البخاري بيروت دار الفكر. د.ت،د.ط.
172. محمد نعناعة تاريخ اليهود دار الفكر الأردن ط1 2001.
173. مريم السباعي القصة وأهدافها في القرآن الكريم مكتبة مكة. د.ت،د.ط.
174. مناع القطان مباحث في علوم القرآن مؤسسة الرسالة بيروت ط9 1980.
175. موريس بوكاي التوراة والإنجيل والقرآن ترجمة الشيخ حسن خالد المكتب الإسلامي ط3 1990.
176. موريس جنز برج نفسية المجتمع ترجمة عبد العزيز عبد الحق مصر 1974. د.ط.
177. نبيلة إبراهيم قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية دار العودة بيروت 1974. د.ط.
178. نقرة التهامي سيكولوجية القصة في القرآن الكريم الشركة التونسية للتوزيع تونس 1974. د.ط.
179. نور الدين طوالبي الدين والطقوس والتغيرات ترجمة وجيهة العيني منشورات عويدات بيروت. د.ت،د.ط.
180. هو لتكرانس إيكه قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي دار المعارف مصر ط2 1973.

181. ياقوت الحموي معجم البلدان دار صادر للطباعة والنشر دار بيروت للطباعة 1957. د.ط.

182. يوسف القرضاوي كي تتعامل مع القرآن العظيم دار الشروق القاهرة ط1 1419هـ.

ب- المراجع الأجنبية:

1) Dictionnaire des symboles – J. Chevalier / Agheerbrant P861, 1982 – Paris.
2) Martine Segalen : ethnologie concepts et aire culturelle, Armand Colin, Paris 2001, René Girard : La violence et le sacré.
3) Oxford dictionary, Oxford University, Press, Forth edition, Britain 1989, Folk.
4) Ruth Benedict, Pattern of culture, New York.

الرسائل الجامعية والدوريات والمواقع الإلكترونية:

أ- الرسائل الجامعية

1. إلهام سرير توظيف التراث الشعبي في الرواية الجزائرية دراسة لهجية رسالة ماجستير إشراف د. التيجيني بن عيسى تلمسان 2011.
2. لخضر العرابي أغراض القصص القرآني عند سيد قطب رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه، تحت إشراف أ.د. عباس محمد، 2001 جامعة تلمسان.
3. رشيد سبوح المعتقدات الشعبية في الجزائر-ظاهرةالعين نموذحا -اشراف د. شايف عكاشة والأستاذ محمد رمضان رسالة ماجستير السنة الدراسية 2000-2001، جامعة تلمسان، قسم الثقافة الشعبية.
4. موسى محمود طه سعيد كشف القرآن الكريم لانحرافات أهل الكتاب وإبطالها، رسالة ماجستير نابلس فلسطين 2003.
5. ميلود طواهري الطلبة بين الذهنية السحرية والمرجعية الدينية رسالة دكتوراه تحت إشراف عبد الجليل مرتاض 2008- 2009.
6. محمد حمادي الممارسات الصقوسية عند الصوفية ودلالتها الرمزية والثقافية، رسالة دكتوراه في الأنتربولوجيا 2007 – 2008.
7. ياسين مهداوي المعتقدات الشعبية في مقدمة ابن خلدون اشراف د.مقنونيف شعيب رسالة دكتوراه 2007 -.2008، جامعة تلمسان، قسم الثقافة الشعبية.

ب- الدوريات

1. إدوارد وليام، "الحياة العربية في العصور الوسطى" المجلد 3 ترجمة يحي الجبوري مجلة المورد دار الجاحظ العراق، د.ت.
2. عبد القادر قروش، "الأدب المسمى "شعبيا إشكالية اصطلاح" مجلة الثقافة الشعبية العدد1، 1999.

<u>المواقع الإلكترونية</u>:

1. copyright@2006-2009 aafaq.org.all rights reserved, powred by hila/net.co مقال من الإنترنت بعنوان: العادات والتقاليد اليهودية
2. http://ar.wikipeaia.org
3. http://wsbee/alislam.net.v/bshothReed
4. http:www.Khayma.com/rogia/magic main htm 02-05-2007

مقال من الإنترنت بعنوان : السحر والرقية

5. Microsoft internet explorer
مقال من منتديات يا حسين بعنوان: عباد الشيطان

6. Naell je Wish + religion saced + texts
مقال من الإنترنت بعنوان: اليهودية نظرة وتحليل

7. www.qahn15.net/F/F1 F3/ F1 F3 F10.htm-20k
مقال من الإنترنت

الفهرس

مقدمة ..... **iv**
توطئة ..... **v**
الباب الأول: التعريف بالنص المقدس **8**
الفصل الأول: التعريف بالديانات السماوية..... **13**
1. التعريف بأهل الكتاب:..... 14
1.1– اليهودية: 16
أ– التعريف بمعتقداتهم..... 19
ب– التعريف بكتبهم:..... 19
ج– التعريف بفرقهم 21
د– التعريف ببروتوكولات حكماء صهيون:..... 25
2.1– النصرانية..... 28
أ– التعريف بمعتقداتهم:..... 30
ب– التعريف بكتبهم..... 33
ج– عقائد النصارى اليوم: 35
3.1– الإسلام..... 38
أ– التعريف بالمصطلح 38
ب– مبادئ الإسلام: 39
ج– علاقة الإسلام بالأديان السماوية :..... 41
4.1– السنة..... 44
الفصل الثاني: التعريف بالمعتقد الشعبي **46**
1. 1. تصنيف المعتقدات:..... 47
2– ماهية التراث الشعبي:..... 48
1.2– التعريف بالمعتقد الشعبي: 49
1.1.2– تعريف الجن 52
أ– أنواع الجن : 54

ب- حقيقة الجن: 61
ج- الجن في المعتقد الشعبي: 62
2.1.2- الشيطان: 63
أ- الشيطان في الديانات السماوية : 64
ب- تدخل الشيطان في حياة الآدميين : 66
ج- عبادة الشيطان: 70
د- كيف نحارب الشيطان : 71
3.1.2- السحر 72
أ- أنواع السحر: 73
ب- مواقف السحر في القرآن : 75
ج- تاريخ السحر: 76
4.1.2- الكهانة والعرافة: 80
أ- طرق و مصادر الكهان في معرفة الغيب: 82
ب- علاقة الكهان بالشياطين: 83
ج- حكم الكهانة: 84
5.1.2- علم النجوم: 85
6.1.2- الخط بالرمل: 86
7.1.2- الطيرة و التفاؤل: 88
أ- أصل الطيرة: 88
ب- الطيرة في القرآن : 90
ج- علاج التطير: 91
8.1.2- العين: 91
أ- أقسام العين: 92
ب- أعراض العين : 92
ج- علاج العين: 93
9.1.2- الحسد: 96
أ. الفرق بين العين والحسد: 98

ب. علاج الحسد:..... 98
10.1.2- المعنى اللغوي للحلم: 99
الحلم في القرآن الكريم : 101
11.1.2- الرؤيا و علاقتها بالغيب:..... 103
12.1.2- تعريف العدد..... 105
أ. بعض طقوس العدد..... 107
ب. العدد سبعة عند الديانات السماوية 107
13.1.2- المعجزة: 114
أ. المعجزة و المعتقدات : 116
ب. نماذج من معجزات الأنبياء :..... 118
14.1.2- الكرامة 121
أ. مفهوم الكرامة: 121
ب- الكرامة في القرآن:..... 122
15.1.2- الفراسة: 123
16.1.2- العادات والتقاليد: 123
أ. تعريف العادات والتقاليد:..... 124
ب. أهمية العادات: 126
ج. خرق العادة: 127
د. خوارق العادات بين القبول و الرفض:..... 129
الباب الثاني: طبيعة التناول للقصص القرآني..... 135
الفصل الأول: القصص 136
1.1- تعريف القصص لغة:..... 137
2.1- تعريف القصص القرآني اصطلاحا:..... 137
أ- أقسام القصص القرآني وأنواعه:..... 138
ب- أهمية القصص القرآني:..... 139
ج- أهداف القصص القرآني: 140
د- مصدر القصة القرآنية:..... 143

3.1- القصص الشعبي: 143
4.1- أوجه التشابه والاختلاف بين القصص الديني والشعبي: 144
4.1- الفرق بين التأويل والتفسير: 148
أ- فضل علم التفسير: 151
ب- منشأ علم التفسير : 151
ج- أشهر المفسرين: 151
د- أنواع التفاسير: 152
5.1- التعريف بالإسرائيليات: 154
ب- أسباب الاستعانة بالإسرائيليات: 155
ج- منابع الإسرائيليات: 156
د- موقف الإسلام من الإسرائيليات : 158
هـ- حكم الإسرائيليات: 160
و- أقطاب الإسرائيليات: 161
ك- موقف ابن كثير من الإسرائيليات وسبب الاستعانة بها: 164
ل- ما الفائدة من الإسرائيليات في التفسير؟ 169
الفصل الثاني: توظيف المعتقدات الشعبية في قصص الأنبياء لابن كثير 170
1.2- السحر: 172
أ- ضرر السحر على الفرد والمجتمع : 174
ب- السحر الدين و العلم: 175
2.2- العرافة : 176
3.2- الخط بالرمل: 177
4.2- الاعتقاد بوجود العين: 177
5.2- ضرر الحسد بالحاسد: 181
6.2- الرؤيا: 183
7.2- الجن و الكهانة والسحر: 184
8.2- الأصنام: 189
9.2- دعوة نوح على سام أن يجيء أولاده سود: 192

10.2– القربان: 193
11.2– المسخ:..... 195
12.2– التطير: 196
13.2– علم النجوم والكواكب:..... 198
14.2– الخوارق: 199
15.2– المبالغة في الوصف: 202
16.2– المبالغة في العدد: 203
17.2– توظيف بعض العادات:..... 204
18.2– قوس قزح أمان من الغرق: 206
19.2– تدخل الشيطان في حياة بني آدم:..... 207
الفصل الثالث: القيمة العلمية: لكتاب قصص الأنبياء..... 208
1– القيمة الدينية: 211
3– القيمة الفنية: 218
الخاتمة..... 229
قائمة المصادر والمراجع 234

الملخص:

تتناول هده الرسالة أهم المعتقدات الشعبية الواردة في كتاب قصص الأنبياء لابن كثير وأخبار الغيب والسحر وخوارق العادات ومدى تأثير هذه المعتقدات في حياة الناس فردا وجماعات ، وقد استعان ابن كثير بالإسرائيليات التي هي من القسم الذي أذن الشرع في روايتها والاستئناس بها.

الكلمات المفتاحية: المعتقدات، الشعبية، قصص الأنبياء، الإسرائيليات، ابن كثير.

RÉSUMÉ :

Le présent mémoire traite les principales croyances populaires dans le livre « d'Ibn KATIR » intitulé histoire des prophètes.

Il parle des informations sur l'inconnu, la sorcellerie, les violations des traditions et les impactes de ces croyances dans la vie des gens (individus et groupes). Ibn katir s'est basé sur les israélites dont la législation a permis la narration et la confiance en elle.

Les mots clés : Les croyances, populaires, histoire du prophète, ibn katir, israélite

SUMMARY

The present search deals with popular believes coming from the « ibn katir » book :" stories of prophets".

It is about news of the unknown, sorcery, violations people, individuals and groups.

Ibn katir has recourse to the Israelite of witch legislation has permitted its narration and confidence in it.

Key words :

Believes, popular, stories of prophets, ibn katir, Israelite.